

THEOLOGY TO SING ABOUT لاهوت نتغنى به



ترجمة
أميرة عاطف

تأليف
بليك ويسترن

لاهوت نتغنى به

تأليف

بليك ويسترن

Blake Western

ترجمة

أميرة عاطف



طبعة أولى

جميع حقوق الطبع محفوظة فلا يُسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب،
أو أي جزء منه، أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقلها، أو
استنساخه بأي شكل من الأشكال بدون إذن خطي مسبق من الناشر.

الكتاب: لاهوت نتغنى به

المؤلف: بليك ويسترن

ترجمة: أميرة عاطف

الناشر: نور الحياة لخدمات الترجمة

مدير النشر: فرحان ناشد

إخراج فنى وتجهيزات طباعة : نصرالله زكريا

تصميم غلاف: هناء رمزي

الطبعة الأولى: أكتوبر 2024

رقم الإيداع: 14112 / 2024

الترقيم الدولى: 7 - 27 - 8876 - 977 - 978

مقدمة الناشر

إن الدراسات اللاهوتية من المواد المثيرة للإهتمام، والهامة جدًّا في حياتنا ومسيرتنا مع الله.

وينبغي علينا ألا نجد سعادة أكثر مما نجدنها في معرفة الله بصورة أفضل، فلطالما كان هذا الأمر بمثابة هدف عظيم لدى كل المؤمنين. وغالبًا ما يقول الناس «لا يهم ما تؤمن به»، إلا أن ما تؤمن به يهم كثيرًا. فما نؤمن به هو أساس ما نحياه.

معظم الهرطقات تقوم على لاهوت مزيف، فإذا كنا نؤمن بأن الله هو مجرد إله من بين عدة آلهة ستتخذ حياتنا شكل ما، إلا أنها ستتخذ شكلًا آخرًا إذا آمنا أن الله جزء من الوجود، فسيكون تفكيرنا وحياتنا بحسب هذا الاعتقاد، حتى أنه من الممكن أن يكون العديد من أشكال الانحطاط الأخلاقي في بلدنا بسبب أنظمة الإيمان المزيفة.

إن اللاهوت هو الأساس الذي لا نجرؤ أن نهمله، إذا أهملناه فكأننا نبني إيماننا على الرمال أو على جبل من الجليد أو على رياح تهب، فنحن في حاجة إلى أمر راسخ ومتين؛ أمر يُمكننا الاتكال عليه وبالتالي يُمكننا أن نتغنى به.

وعندما نتفكر في كلمة الله تُصبح كالأغنيات. إن الكتاب المقدس هو إعلان الله المكتوب، هو معجزة في حد ذاته. إن الإله الذي يقدمه لنا الكتاب المقدس

إله حي، فهو كان هناك دائماً وسيظل دائماً، هو إله أبدي؛ كان هناك قبل وجود أي مخلوق أو أي كيان، وهو لا يعتمد على هذا الكون بأي شكل، أيضاً هو ليس كياناً تصورياً، بل إن واقعه حقيقي جداً أكثر من أي وجود للإنسان

وعندما نفكر في المسيح ونسأل، مَنْ هو هذا الشخص الذي له مثل هذا التأثير الكبير على حياة الكثيرين؟ وَمَنْ هو هذا الشخص الذي يُحاربه الكثيرون؟ وَمَنْ هو هذا الشخص الذي يعبده ويوقره العديد من المؤمنين؟ إنه يسوع المسيح، رب الكل ومخلص العالم وابن الإنسان وابن الله؛ عمانوئيل الذي تفسره «الله معنا».

إن معتقداتنا التي تخص المستقبل تكتسب سلطانها مما يكشفه الله في كلمته. الكتاب المقدس لا يُخبرنا عن كل شيء إلا أنه يُخبرنا عما يلزمنا، وهذا يكفي ليملاًنا بالكثير من التوقعات العظيمة، ويكفي لِيُبين لنا أن المستقبل أعظم بكثير من الحياة التي نعيشها هنا. ويكفي أيضاً ليُظهر لنا أنه لا يمكن أن نتخيل أو نتوقع ما هو أفضل من ذلك المستقبل.

وأننا نقدم هذا الكتاب المليء بالتحاليم الكتابية واللاهوتية البسيطة والعميقة، لكل قارئ عربي، لكي يساعدك على معرفة الله والمسيح والثالوث والمستقبل والكثير من الموضوعات الأخرى. ونشجعك لتأتي بكل اتضاع امام الله وامام كلمته، وبرغبة حقيقية في التعلم، وسيعلم الله لك كنوزاً من كلمته. وعندئذ تستطيع أن تتغنى بلاهوت ينتغى به.

نور الحياة للنشر والتوزيع

الفهرس

٣	 مقدمة الناشر
٧	 مقدمة
٩	 الفصل الأول: كتاب نتغنى به
٢٧	 الفصل الثاني: إله نتغنى به
٤٩	 الفصل الثالث: مُخلص نتغنى به
٦٥	 الفصل الرابع: مُرشد نتغنى به
٧٩	 الفصل الخامس: ثالوث نتغنى به
٩٧	 الفصل السادس: خليفة نتغنى بها
١١٣	 الفصل السابع: خلاص نتغنى به
١٣٥	 الفصل الثامن: كنيسة نتغنى بها
١٥٥	 الفصل التاسع: بر نتغنى به
١٧٧	 الفصل العاشر: مستقبل نتغنى به
٢٠١	 الخلاصة
٢٠٣	 كلمة أخيرة
٢٠٧	 الحواشي الفصلية

مقدمة

إن الدراسات اللاهوتية من المواد المثيرة للاهتمام، فهي من الأمور التي علينا إطورؤها، فقد كان عيد الميلاد المجيد - الذي تُمثل قصته مادة لاهوتية - في الماضي بمثابة مناسبة يتغنى بها المسيحيون، وتجد أن سفر الأمثال مليء بالحقائق اللاهوتية، وتجد أيضًا كُتب الترانيم واحدة من أفضل الأمثلة على الفرح الذي نجده في دراسة اللاهوت، فما هو اللاهوت إذًا؟ إنه دراسة في ماهية الله، فينبغي ألا يجد المسيحيون سعادة أكثر مما يجدونه في معرفة الله بصورة أفضل، فلطالما كان هذا الأمر بمثابة هدف عظيم لدى المؤمنين.

يبيكي كاتب المزامير عطشًا لمعرفة الإله الحي، فكلما نعرف أكثر كلما ازدادت رغبتنا في المزيد من المعرفة، فهو عطش ودراسة لا ينتهيان، بل في حقيقة الأمر هذه الدراسة تستمر حتى الأبدية، فلا نهاية لها.

غالبًا ما يقول الناس «لا يهم ما تؤمن به»، إلا أن ما تؤمن به يهم كثيرًا، فقد قرأت ذات مرة عن أناس أكلوا كرات لحم بها سم، وكانوا يعتقدون أن هذا الطعام ليس به ضررًا، إلا أنه لم يكن كذلك، فكان ما يعتقدونه مهم. فما يقوله الطبيب أمر هام، وأيضًا ما يقوله البنك، وكذلك أيضًا ما يؤمن به المسيحي، فما يؤمن به هو أساس ما نحياه.

تقوم الهرطقات على لاهوت مزيف، فإذا كنا نؤمن بأن الله هو مجرد إله من بين عدة آلهة ستخذ حياتنا شكل ما، إلا أنها ستخذ شكلاً آخرًا إذا آمنّا أن الله جزء من الوجود، فسيكون تفكيرنا وحياتنا بحسب هذا الاعتقاد، حتى أنه من الممكن أن يكون العديد من أشكال الانحطاط الأخلاقي في بلدنا بسبب أنظمة الإيمان المزيفة.

ليس الهدف من هذا الكتاب أن يكون شاملاً ولا أن يكون تعليمي مثله مثل كتاب يُدرّس في فصل مدرسي، فإن المواضيع التي يغطيها هذا الكتاب محدودة والهدف منها هو تعليم أن المعتقدات المسيحية الأساسية ليست بالأمر الممل والعديم الفائدة، بل هي تحفزنا حتى تجعلنا نتغنى بها. إن اللاهوت هو الأساس الذي لا نجرؤ أن نهمله، إذا أهملناه فكأننا نبني إيماننا على الرمال أو على جبل من الجليد أو على رياح تهب، فنحن في حاجة إلى أمر راسخ ومتين؛ أمر يُمكننا الاتكال عليه وبالتالي يُمكننا أن نتغنى به.

بليك ويسترن

الفصل الأول

كتاب نتغنى به

تقول الترنيمة «غنيها لي مرة أخرى تلك كلمات الحياة الرائعة، دعني أرى المزيد من جمال كلمات الحياة الرائعة هذه، تلك هي كلمات الحياة والجمال، فليتكَ أيتها الكلمات تعلميني الإيمان والخدمة.»^(١) عندما نتفكر في كلمة الله تُصبح كالأغنيات. إن الكتاب المقدس هو إعلان الله المكتوب، هو معجزة في حد ذاته.

فكّر كيف تم كتابة الكتاب المقدس، فقد استخدم روح الله أناس من أماكن مختلفة وفي أوقات مختلفة ليكتب ما قد قادهم لكتابته بأسلوبهم الخاص في الكتابة. فبهذا الشكل كان من الصعب أن يكون هناك وحدة، حتى وإن كان هناك العديد من الأسفار التي كُتبت في ثقافة واحدة وفي نفس الوقت ولنفس الهدف. لقد كُتب الكتاب المقدس على مدار مئات السنين، إلا أن هناك وحدة في فكر الأسفار جميعًا، وهذا هو ما يوضحه الإنجيل عندما يقول «عَالَمِينَ هَذَا أَوَّلًا: أَنَّ كُلَّ نُبُوَّةِ الْكِتَابِ لَيْسَتْ مِنْ تَفْسِيرٍ خَاصٍّ. لَأَنَّهُ لَمْ تَأْتِ نُبُوَّةٌ قَطُّ بِمَشِيئَةِ إِنْسَانٍ، بَلْ تَكَلَّمَ أَنَا اللهُ الْقَدِيسُونَ مَسُوقِينَ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ.» (بطرس الثانية ١: ٢٠-٢١).

ماذا نجد دائمًا في الـ ٦٦ سفرًا الذين كتبهم كُتاب مختلفين في فترة زمنية يتخللها مئات السنين من انقطاع الوحي؟ هناك العديد من الاختلافات

والتناقضات في الآراء، إلا أن الكتاب المقدس لا يُقرأ كمجموعة من الأسفار، بل ككتاب واحد متكامل وكقصة واحدة. يُمكن أن نرى هذا عندما نقارن أول سفر بآخر سفر، فهناك ذكر لجَنَّة في السفر الأول ورجل يترك هذه الجَنَّة بأذيال الخزي تلاحقه بسبب خطيئته. ونجد في السفر الأخير جَنَّة أيضًا ورجل يدخلها ليحيا فيها مع الله إلى الأبد. فهناك فكرة واحدة تربط كل الكتاب، فوحدة الكتاب المقدس بمثابة شهادة على موثوقيته ووحْيِهِ.

إن الكتاب المقدس متكامل بصورة ممتازة، كل أجزاءه متحدة معًا، فالعهد القديم يدور حول مجيء المسيح، بينما يدور العهد الجديد حول تكميم نبوات العهد القديم. نحن نحتاج العهد القديم لفهم العهد الجديد. ففي العهد القديم نجد إشارات ورموز لشخصية المسيح، كانت خيمة الاجتماع والذبائح المتعددة تشير إلى المسيح، بالتالي المسيح هو الفكرة التي تربط أطراف الكتاب المقدس، وليس من المبالغة القول بأن المسيح واضح في كل صفحة من صفحات الكتاب المقدس. فقد عبّر آر جي لي R. G. Lee عن هذا الأمر ببلاغة حين قال: «المسيح هو التكميم للعهد القديم ومركزه، وهو أيضًا مصدر جاذبيته الساحرة، فالعهد القديم يُخبئُ المسيح بينما يُعلنه العهد الجديد. العهد القديم يَطوي المسيح بداخله، بينما يُظهره العهد الجديد. العهد القديم يَعد بالمسيا، بينما يقدمه العهد الجديد. العهد القديم يَصوّر المسيح، والعهد الجديد يُقدِّم المسيح. يتنبأ العهد القديم بالمسيح، والعهد الجديد يُنادي به. العهد القديم يُوطِّن المسيح، والعهد الجديد يُعممه للجميع. يشير العهد القديم للمسيح كرمز، بينما يُقدمه العهد الجديد كذبيحة. إن العهد القديم بمثابة قوانين قد حققها المسيح، بينما العهد الجديد بمثابة محبة يُظهرها المسيح.»^(٢)

ليس الكتاب المقدس كتابًا يُجيب عن فضولنا تجاه كل الأمور، بل هو كتاب يأتي بنا إلى الله، وهو كمكان يُمكننا أن نتقابل فيه مع الله، وهدفه أن يأتي بنا إليه عن طريق المسيح، فعندما نقرأ أغلب الكتب لا يهم إذا كنا نعرف أي شيء عن الكاتب، لكن ليس هذا الحال مع الكتاب المقدس، فالهدف من الكتاب المقدس هو تعريفنا بالكاتب نفسه. عن طريق الكتاب المقدس عَرَفَ الملايين والملايين من الناس من مختلف البلاد احتياجاتهم لمخلص، وعرفوا المسيح يسوع ووجدوا حياة أبدية عن طريقه.

هناك تصريح آخر جميل عن المسيح والكتاب المقدس قدمه قلم آر جي لي R. G. Lee حيث يقول: «المسيح باعتباره الموضوع الأسمى للكتاب المقدس، فالكتاب كآلة الأرغن التي تدوي عندما تعزف عليها أصابع الله.» وباعتبار المسيح المركز، تجد أن الكتاب المقدس بمثابة الموسيقى التي تتغناها كل الجوقات بنشيد واحد. وباتخاذ المسيح مركزه في الكتاب المقدس، يصبح كالقصر الذي تجد على كل باب من أبوابه حق المسيح منقوش عليه وكل نافذة من نوافذه تشع نور مجده. ويكون المسيح متوجًا في مكانه الشرعي في الكتاب المقدس، يصبح كالجنة التي تتكتل أزهارها حوله وهو يقف كسوسنة الأودية ونرجس شارون. وباعتبار المسيح الفكرة المركزية، يكون الكتاب المقدس كسماء مليئة بالنجوم، تقدم كل منها طاعتها له باعتباره «كوكب الصبح المنير.»^(٣)

ومثل أوركسترا قوية ذات لحن تناوبي، تأتي كلمات «قال الله.» مثال جيد على هذا هو الإصحاح الأول من سفر التكوين حيث نجد كلمات «وقال

الله» أو ما يشابهها إحدى عشرة مرة. لم يكن كُتاب أسفار الكتاب المقدس المختلفين يُعبرون عن آراء شخصية، بل كان الروح القدس يقودهم ويوجههم فيما يكتبون، فهم كتبوا الرسالة التي قدمها الله لهم. ذكر المئات والمئات من المرات في الكتاب المقدس أن الله قال أو تكلم، وهذا الأمر يُميّز الكتاب المقدس عن باقي الكتب، ففي الكتاب المقدس يتكلم الله إلينا.

تُرجم الكتاب المقدس بأكمله إلى أكثر من خمسمائة لغة، وتُرجمت أجزاء منه إلى أكثر من ألفين وسبعمائة لغة. ويتساءل الناس أحياناً لماذا هناك العديد من الترجمات المختلفة للكتاب المقدس في لغة واحدة - حتى في اللغة الإنجليزية - ذلك لأن البعض من هذه الترجمات حرفية، حيث تتم ترجمة كل كلمة، بينما يركز البعض الآخر من الترجمات على الاستقرارية وذلك لمساعدة القراء المعاصرين. بعض الأحيان يصعب وجود ترجمة حرفية. مثلاً، قد لا يكون هناك الكثير من المصطلحات في لغة مجموعة ما من الناس، فكلمة «ثلوج» لها القليل من المعاني - إن وُجدت - لدى الناس الذين يعيشون في المناطق الاستوائية الذين لم يسبق لهم رؤية الثلوج. ولهذا السبب قد يستخدم المترجمون مصطلحات أخرى أكثر ألفة لهم ليوضحوا كيف يُمكن أن تصبح آثامنا أبيض من الثلج.

يقول كاتب مقالة ما جاءت في كتاب «الخبز اليومي»، أن هنود المسكيثو الذين يقطنون نيكاراغوا وهندوراس يتحدثون عن «آلام القلب» عندما يُعبرون عن الحب، فيقول (يوحنا ٣: ١٦) الخاص بهنود التزوتزيل الذين يقطنون المكسيك «لأنه هكذا تألم الله في قلبه حتى بذل ابنه الوحيد».

ناقشت إحدى المقالات المفيدة بمجلة مودي Moody Magazine الصادرة عام ١٩٨٧ - لم تعد هذه المجلة تُنشر - الترجمات المتعددة للكتاب المقدس المتاحة بين أيدي المسيحيين اليوم. وقد أشارت إلى أنه بشكل تقريبي كل ترجمات الكتاب المقدس المتاحة لنا اليوم جيدة وبها القليل من الاختلافات. «لذلك لا تقلق من الاختلافات بين النسخ الحرفية وتلك المُصاغة للكتاب المقدس، فالكلمات في كلا النوعين تم تعريفها بحسب السياق وترُجمت الجُمل بمرونة. وبالرغم من اختلاف الترجمات في الشكل والكلمات، نادرًا ما تجد اختلافات في المعاني الأساسية. ومن الممكن أن تكون الترجمات الحرة، كالترجمة الإنجليزية المعاصرة «Today's English Version» بدقة الترجمة الأمريكية القياسية American Standard Version الصارمة».(٤)

تدّعي كُتب أخرى بأنها موحى بها كالكتاب المقدس، وتحمل هذه الكتب تعاليم جيدة، ولدى البعض منها أحداث تتناقض بالكامل مع تعاليم المسيح. فتقول بعض هذه الكتب أن الصبي يسوع كان يخلق أشياءً غير معتادة، إلا أن المسيح لم يصنع معجزة واحدة لمجرد التظاهر أو التسلية. لقد تم الاعتراف عبر قرون عدة بالسنة وستون سفرًا باعتبارها كلمة الله المكتوبة، ويحذرننا الكتاب المقدس من أن نحذف أو نضيف إلى أي كلمة من كلام الله. لدى المسيحيين اختلافات صادقة في الرأي حول العديد من الأشياء التي يتحدث عنها الكتاب المقدس، وهذا الأمر لا يُسيء للكتاب المقدس، بل يُبين ضعف الإنسان، فعلى أن نحترم الآخرين بينما يقرأون الكتاب المقدس ويبحثون عن رد لأسئلتهم، لكن ما لا يتوجب علينا فعله هو تجاهل التعاليم الواضحة للكتاب المقدس. فحتى بطرس لاحظ أن هناك بعض الأمور التي يصعب

فهمها، ويستحسن بنا أن نصلي لنحصل على إرشاد مستمر بينما ندرس الكتاب المقدس، فنحن نتعلم الكثير والجديد من الأمور بينما نقرأ كلمة الله.

يقول الناس عن بعض الكتب أنها مُلهمة أو أن الكاتب مُلهم، لكن عندما نقول إن الكتاب المقدس مُوحى به، فنحن نقصد ما هو أكثر من ذلك، فكلمة «مُوحى به» التي تُستخدم في الكتاب المقدس تعني أنه «أنفاس الله»، أي أن الله قد أشرف على كتابة الكتاب المقدس، فالروح القدس قام بتوجيه الكتاب نحو كلماتهم وأفكارهم. فلم يكن هؤلاء الكتاب يجلسون ويكتبون بحريتهم، بل كانوا منقادين بالروح القدس لما ينبغي عليهم كتابته.

وبسبب الإلهام الإلهي للكتاب المقدس يُمكننا الثقة فيه، فهو كلمة الله وما يريد الله منا أن نعرفه عنه وعن العالم حولنا وعن أنفسنا. وهو خالي من الأخطاء، وتشهد بذلك أغلب المستندات التي تم العثور عليها. يُشارك رون رودس Ron Rhodes بهذه الحقائق المذهلة عن الكتاب المقدس عبر موقع Reasoning from the Scriptures Ministries.^(٥) فكتب مقالة بعنوان «دعم المخطوطات لمصادقية الكتاب المقدس»، تشير إلى أن هناك أربع وعشرون ألف نسخة أو جزء من العهد الجديد، العديد منهم قديم جداً، وفقط خمسين نسخة من النسخ المتغايرة لها أهمية قليلة إلا أنها لا تُناقض أي من التعاليم أو العقائد. فمثلاً تذكر بعض هذه النسخ المتغايرة «المسيح يسوع» بدلاً من «يسوع المسيح». يقتبس روديس Rhodes كلمات نورمان جيسلر Norman Geisler عندما قال: «لا يوجد كتاب يقترب من كونه في المرتبة الثانية من الكتاب المقدس سواء فيما يتعلق بعدد النسخ أو تأريخها المبكر».

يُشير روديس Rhodes أيضًا أن هناك ما يكفي من الاقتباسات من آباء الكنيسة الأوائل، حتى أنه من الممكن إعادة تجميع كل العهد الجديد إذا فُقد، فيما عدا أحد عشر عددًا. يا له من أمر مذهل! فهذه الاقتباسات من آيات الكتاب المقدس تأتي في غضون ١٥٠ وحتى ٢٠٠ سنة منذ ميلاد المسيح. من الحقائق المذهلة أيضًا هي أن مخطوطات البحر الميت تؤكد دقة العهد القديم، فيعود تاريخ هذه المخطوطات إلى حوالي ألف عام قبل المخطوطات التي تسبقها بحوالي مائة وخمسين عامًا قبل ميلاد المسيح، فهذه وتلك «نفس الشيء». ويُشير روديس Rhodes إلى «الدقة البالغة للعهد القديم»، فيقول إن الاختلافات التي يبلغ نسبتها حوالي ٥% ترجع إلى أخطاء هجائية أو «زلة قلم». وتذكّر دائمًا أن كل هذه المخطوطات القديمة كان لابد من نسخها باليد. لقد حفظ الله كلمته عبر القرون.

هناك أمر واحد علينا أن نكون واضحين فيه وهو أننا لا نعبد الكتاب المقدس، فهو كلمة الله، لكنه ليس الله. لقد سمعت عن أناس ينامون على الكتاب المقدس أو يُبقونه بجوارهم باعتباره تعويذة، لكن الكتاب المقدس مجرد كتاب وليس له قوة سحرية، فهو كلمة الله، لكننا لا نعبدّه. وهو رسالة الله التي تقود إليه، ويستخدم الروح القدس كلمة الله ليأتي بنا إلى المسيح، فهو برهان الله ليجلب لنا الخلاص. إلا أن الكتاب المقدس ليس هو خلاصنا، بل هو وعد الله لنا، فهو يُدعى «سيف الروح» ويُسبّه بالمطرقة أو النار، وهو أيضًا نور لأرجلنا، والمرآة التي تنعكس فيها ذواتنا. وهو غذاء لأرواحنا ورسالة الله المحبّة لنا. يُمكننا أن نشبه الكتاب المقدس بأي وسيلة اتصال، كالهاتف أو الحاسوب، تلك الوسائل التي يتمكّن من يُحبنا من التواصل معنا من خلالها.

فنحن نتلقى الرسائل من خلالها، إلا أن هذه الوسائل ليست هي مَنْ نُحب،
وأيضاً الرسالة التي يرسلونها إلينا ليست مَنْ نُحب.

إن عبادة الكتاب المقدس تجعله كالوثن، فنحن نقدر ونكرم الكتاب المقدس ونفرح بما يُظهره الله لنا من خلاله، فكلمة الله ثمينة جداً وذات قيمة كبيرة لنا. وقد أظهر مزموران بصفة خاصة قيمة الكتاب المقدس والاتجاه الذي يجب أن نتخذه ناحيته، وذلك حينما قال «أَشْهَى مِنَ الذَّهَبِ وَالْإِبْرِيْزِ الْكَثِيْرُ، وَأَخْلَى مِنَ الْعَسَلِ وَقَطْرُ الشَّهَادِ» (مزمور ١٠: ١٩)، وأيضاً «سِرَاجٌ لِرِجْلِيْ كَلَامُكَ وَنُورٌ لِسَبِيْلِي» (مزمور ١١٩: ١٠٥). الكتاب المقدس يقودنا إلى الواحد الذي ينبغي عبادته، ويُعلِّمنا كيف نتعبّد. فنحن نتعبد بالروح والحق، وعلينا أن نتعلم كلمة الله ونحيا بحسبها، إلا أننا لا ينبغي أن نركع أمامها، فحرفياً هي مجرد كلمات على ورق، ما هو مكتوب في الكتاب يقودنا إلى الله حتى نعرفه ونعبده.

سيأتي يوم تتغير فيه القيم، لذلك نحن نحتاج إلى أساس قوي من الإيمان الذي لا ينهار. إن كلمة الله هي ذلك الأساس الذي يقوم عليه إيماننا، هو ليس ما يعتقدّه أو يقوله بعض القادة، وليس ما تقوله بعض المنظمات الدينية. السؤال الوحيد الذي لا بد أن يسأله المسيحي هو: «ماذا يُعلِّم الكتاب المقدس؟»، «إِلَى الْأَبَدِ يَا رَبُّ كَلِمَتُكَ مُثَبَّتَةٌ فِي السَّمَاوَاتِ» (مزمور ٨٩: ١١٩)، لهذا نحن نُعلِّم ونُكرز بكلمة الله، فهي الحق، «قَدَّسَهُمْ فِي حَقِّكَ. كَلَامُكَ هُوَ حَقٌّ» (يوحنا ١٧: ١٧). الإيمان يتمسك بمواعيد الله، وهو أيضاً ينبع من كلمة الله ويكبر كلما تغذينا على كلمة الله «إِذَا الْإِيْمَانُ بِالْخَبَرِ، وَالْخَبَرُ بِكَلِمَةِ اللَّهِ» (رومية ١٠: ١٧).

كيف نعرف أن الكتاب المقدس هو كلمة الله؟ واحدة من الطرق التي نعرف بها أن الكتاب المقدس هو كلمة الله هي النبوات العديدة التي تحققت، فقد جاءت النبوات الخاصة بالمسيح قبل ولادته بمئات السنين، إلا أن كلها قد تحققت بالضبط. فقد وُلد المسيح من عذراء كما جاء بالنبوة، ووُلد بيت لحم كما جاء بالنبوة أيضًا، وبيع بثلاثين من الفضة كما تقول النبوة، وصُلب كما تقول النبوة أيضًا وقام من الموت في اليوم الثالث كما تقول النبوة. لا يُمكن لأي إنسان أن يعلم هذه الأمور قبل أن تحدث بآلاف السنين، وبالتأكيد ليس بإمكان أي إنسان أن يخلق هذه النبوات ويراهها تتحقق بالكامل. يُشير روبيرت جيفريز Robert Jeffress إلى مقولة ذكرها بيتر ستونير Peter Stoner بخصوص النبوات، فقال ستونير Stoner أن احتمالية تحقق ثمانية نبوات هي واحد في عشرة يليها سبعة عشر صفرًا،^(٦) أي واحد في ١٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠، ويقترح جيفريز Jeffress توضيحًا لهذا الأمر، أن يتم وضع دولارات فضية بهذا العدد على ولاية تكساس. إذا حدث ذلك ستكون تكساس بعمق قدمين، ونقوم بوضع علامة على واحدة من تلك العملات، ثم نطلب من رجلًا معصوب العينين أن يجدها، وبالطبع لن يكون هناك احتمالية أن ذلك الرجل المعصوب العينين سيجد تلك العملة.

لا يُمكننا أن نقرأ الكتاب المقدس كأَي كتاب آخر، فنحن نحتاج إلى معلّم بينما نقرأه. وهذا المعلّم هو الروح القدس، فهو يُنير أذهاننا لنفهم. بعض الأشخاص يقرأون الكتاب المقدس ولا يفهمون شيئًا، وذلك لأن أذهانهم مُظلمة، فهم يحتاجون إلى نور الروح القدس ليفهموا المكتوب. الروح القدس هو بمثابة المترجم الذي يُخبرنا بما نقرأه «وَأَمَّا الْمُعَرِّي، الرُّوحُ الْقُدُسُ، الَّذِي

سِرْسِلُهُ الْآبُ بِاسْمِي، فَهُوَ يُعَلِّمُكُمْ كُلَّ شَيْءٍ، وَيَذَكِّرُكُمْ بِكُلِّ مَا قُلْتُهُ لَكُمْ»
(يوحنا ١٤: ٢٦).

كيف يُمكننا أن نقرأ الكتاب المقدس؟ علينا أن نقرأه كله بروح الصلاة والطاعة، وقبل أن نقرأه نطلب من الروح القدس أن يشرح لنا معانيه. ومن المهم أن ننظر إلى السياق الذي كُتِب فيه كل جزء، أي ما الذي كان يعلمه للأشخاص الذين كُتِب لهم. نحتاج أيضًا أن ندرك أن هناك أنواع أدبية مختلفة في الكتاب المقدس، فهناك أسفار تاريخية وأسفار شعرية وأمثال ورسائل، وأخيرًا الأسفار التي تحكي عن نهاية العالم. غالبًا ما يستخدم الوحي رموز، فعلى أن نتساءل عن معاني هذه الرموز. ويتضح هذا الأمر بصفة خاصة في سفر الرؤيا، يجب أن ندرك طبيعة الكتابات وسياقها وذلك حتى نقرأ الكتاب المقدس بصورة حرفية. من الهام وبشدة أيضًا أن نقارن كل آية بغيرها من التعاليم الكتابية.

مثلاً إذا كنا ندرس الإيمان في الكتاب المقدس، سيكون من الأفضل أن نستخدم فهرس أبجدي ونرى كيف ذُكرت كلمة «إيمان» في الكتاب المقدس. سيساعدنا هذا الأمر أن نرى المعنى الأوسع للإيمان، وسيساعد أيضًا أن يُزيل أي سوء فهم قد يكون لدينا في قراءة فقرة واحدة. لابد أيضًا أن نتساءل كيف تتوافق الفقرة التي نقرأها مع باقي الكتاب المقدس، وماذا كانت تعلم هذه الفقرة الأفراد الذين وُجهت إليهم في ذلك الزمان؟ وكيف أدركوها؟

إذا كنا سنقرأ سفر الرؤيا كما نقرأ سفر ملوك الأول، لن نفهم الرسالة المُقدمة. فقد كتب يوحنا سفر الرؤيا في وقت اضطهاد عظيم، وبالتالي فقد

استخدم العديد من الكلمات المشفرة، والتي كانت بمثابة رموز لا يفهمها أغلب الناس. كتب جون نيوبورت John Newport قائلاً: «إن سفر الرؤيا هو نوع مختلف من الأدبيات، فهي كلمات تم تمثيلها، أو كلمات مسرحية أو كلمات مرسومة يتم ضبطها على موسيقى ما، فهي كلمات يُمكنك رؤيتها والشعور بها وتذوقها.»^(٧) وكتب أيضاً وليام هيندريكس William Hendricks عن الرموز والحرفية قائلاً: «يتمكن الكثير من البالغين من التمييز بين الرموز والحرفية عندما يفسرون الكتاب المقدس، إلا أن هذا الأمر يُؤسف له، فالحرفي يُمكن التلاعب فيه في مقابل الرمزي، وتجد من يقول أن الحرفي أفضل وأكثر واقعية من الرمزي، إلا أن هذا التمييز يضع مصداقية أكثر على الواقع الجسدي والقليل من التأكيد على الواقع الروحي.»^(٨)

إن موقف يسوع من العهد القديم ليس موضع شك. فكان يؤمن أنه كلمة الله، وقد استشهد به، «لَا تَظُنُّوا أَنِّي جِئْتُ لَأَنْقُضَ النَّامُوسَ أَوْ الْأَنْبِيَاءَ. مَا جِئْتُ لَأَنْقُضَ بَلْ لَأَكْمِلَ» (متى ٥: ١٧ - ١٨)، فقد كان يسوع يعرف أسفار العهد القديم واستشهد بها، واستشهد أيضاً بكلمة الله في مواجهة الشيطان في التجربة.

كلمة الله في حد ذاتها هي إثبات قوي، فيقول جاي سيدلو باكستير J. Sidlow Baxter «إن أفضل الإثباتات لعقلي بأن الكتاب المقدس مُوحى به من الله ليست هذه التي «نقرأها» في مجلدات الأدلة الدينية والدفاعيات المسيحية، بل تلك التي نكتشفها بأنفسنا أثناء دراستنا للكتاب المقدس.»^(٩) إن الكتاب المقدس كتاب قوي، فبدون شهود آخرين جاء

أناس كثيرون للمسيح عن طريق قراءة لهم للكتاب المقدس «لأنَّ كَلِمَةَ اللَّهِ حَيَّةٌ، وَقَعَالَةٌ، وَأَمْضَى مِنْ كُلِّ سَيْفٍ ذِي حَدَّيْنِ، وَخَارِقَةٌ إِلَى مَفْرِقِ النَّفْسِ وَالرُّوحِ وَالْمَفَاصِلِ وَالْمِخَاحِ، وَمُمَيِّزَةٌ أَفْكَارَ الْقُلُوبِ وَنِيَّاتِهِ» (عبرانيين ٤: ١٢).

كان جلين شامبرز Glen Chambers مسافراً إلى الأكوادور، وكان يعتزم أن يعمل مع الـ HJCB، وهي قناة بث إذاعي في جبال الأنديز، وفي طريقه إلى هناك تحطمت الطائرة التي كان يستقلها وبدى أن حلمه قد مات. وبعد مرور سنوات كان هناك كارز في هذه المنطقة الجبلية، وتقابل هذا الكارز مع قبيلة هندية كانت تدعي أنها مسيحية، فسألهم هذا الكارز كيف أصبحوا مسيحيين، وأجابه هؤلاء الهنود بأن قدموا له كتاباً مقدساً كانوا قد قرأوه وأصبح الكثير منهم مؤمنين بالمسيح يسوع. كان بداخل هذا الإنجيل اسم جلين شامبرز Glen Chambers الذي مات بعد أن تحطمت طائرته منذ حوالي سبعة وعشرون عاماً. فقد وجد هؤلاء الهنود الكتاب المقدس في حقيبة كانت على متن تلك الطائرة التي تحطمت. (١٠)

يُخبرنا الدكتور جاك ماك جورمان Jack MacGorman، وهو أستاذ فخري في المدرسة اللاهوتية المعمدانية الجنوبية الغربية، كيف كان مريضاً جداً بالمستشفى، ولم يكن هناك كتاب مقدس لديه عندما جاء والداه لزيارته، إلا أنهما تركا له كتاباً مقدساً عندما غادرا. فيُخبرنا عن قراءة الكتاب المقدس. وكيف تغيّرت حياته جذرياً حين تقابل مع الله أثناء قراءة الكتاب المقدس.

ليس من العجيب إذاً أن نتغنى بكلمة الله. فهي تشير لنا إلى الله الحي وتوجّهنا إلى السماء. فهي السلاح الذي يستخدمه روح الله للتوبيخ والدفاع

عنا في معارك الحياة. فنحن نرتاح في كلمة الله ونتلذذ بها كما فعل كاتب المزامير. فتقودنا الكلمة المكتوبة إلى الكلمة الحيّة، كما تعبّر كلمات هذه الترنيمة قائلة «أكسر لي خبز الحياة يا الله يا من أحب كما كسرت الخبزات عند البحر، فأني أدعو أن أراك في كلماتك المقدسة يا الله، عطشت نفسي إليك يا كلمة الله الحيّة.» (١١)

لطالما كان هناك أعداء لكلمة الله، فقد أحرق يهوياقيم، وهو واحد من ملوك يهوذا، مخطوطة تحمل الكلمات التي أعطاهها الله لأرميا، فلم يعجبه ما كُتب فيها، وحاول تحطيمها. أيضًا حاول الكثير من الناس عبر القرون أن يُحطموا كلمة الله، وحاول أيضًا من يزعمون بأنهم علماء حذف بعض من أجزاء كلمة الله. وفي بعض الدول قامت السلطات بمصادرة نسخ من الكتاب المقدس، وحدث أن صدر حكم بالإعدام على رجل مؤمن كان قد جلب نسخ من الأناجيل لهذه البلد، فكانت تهمته الوحيدة هي جلب أناجيل للبلاد.

وبدون أدنى شك ستستمر هذه المواجهات، لماذا؟ إذا كنا لا نثق في صلابة الكتاب المقدس فلن نثق في رسالته. لقد شكك الشيطان منذ البداية في كلمة الله حينما سأل حواء قائلاً: «هل حقًا قال الله ...؟» (تكوين ٣: ١). ومنذ ذلك الوقت أصبح هذا الأسلوب هو خطته المتبعة. فإذا لم يكن الكتاب المقدس صلبًا بصورة كافية، لكان مادة يقول فيها كل إنسان أنه صائب أو مخطئ، ولن يكون هناك مركز قوي للوقوف فيه. ففي الكتاب المقدس نقرأ عن الخبر السار وعن احتياجاتنا.

لم يتمكن كل المعارضين للكتاب المقدس من إخفاء تأثيره أو إيقاف توزيعه. فحتى في الدول التي فيها معارضات قوية له، يتم نقل الكتاب إليها

عن طريق الوسائل التكنولوجية الحديثة وأيضًا عن طريق الوسائل التقليدية، وفي بعض الدول المنغلقة يُمكن للمسيحيين الوصول إلى الكتاب المقدس عن طريق ذاكرة بيانات صغيرة (فلاش ميموري) بحجم الإبهام والتي يسهل حملها ونقلها بسبب حجمها الصغير. هناك أيضًا أقراص مضغوطة مُصغرة (ميموري كارد) تُمكن الناس من سماع كلمة الله على هواتفهم المحمولة. كما يُمكن للناس الدخول على مواقع متعددة للكتاب المقدس بلغاتهم. فتأثير كلمة الله ينمو ويزداد في بعض البلاد التي بها أقصى أشكال المعارضة عنفًا، فلما هذا؟ عندما يحارب الناس الكتاب المقدس فهم يحاربون الشخص الذي أعطى هذا الكتاب المقدس، وأيضًا الشخص الذي يشير إليه هذا الكتاب. قد يتمكن الناس من تدمير نسخ عديدة للكتاب المقدس، إلا أن الأمر الأكثر فظاعة هو أنهم سيعانون بفعلتهم هذه من دمار روحي وسيأتي اليوم الذي يقفون فيه أمام الذي أعطى هذا الكتاب ليعطوا جوابًا.

ونحن كمسيحيين ينبغي دائماً أن يكون أساس إيماننا وممارساتنا هو الكتاب المقدس. فقد تكون التقاليد جيدة أو سيئة، إلا أنه لابد من الحكم عليها بحسب الكتاب المقدس، وأيضًا قد تتباين وبشدة قرارات المجامع المسيحية أو الأفراد الكنسيين؛ لكن لابد من الحكم عليهم بحسب كلمة الله. لا يقدم الكتاب المقدس أجوبة على كل الأسئلة التي لدينا حول الأخلاقيات، وقد يكون هناك اختلافات فيما يتعلق بالصحيح والخطأ، ففي هذه المناطق الرمادية لابد أن نأخذ بمبدأ الكتاب المقدس ونسأل الروح القدس أن يقود أفكارنا. علينا أيضًا أن نحترم قناعات المؤمنين الآخرين الذين يأخذون بنفس المبادئ ويأتون بأجوبة أخرى.

يوجد في كتاب كتبه آتش آي هيسٽير H. I. Hester بعض التصريحات لبعض الأفراد عن تأثير الكتاب المقدس في حياتهم.^(١٢) فتقول البعض منها «إن الكتاب المقدس هو الصخرة التي تستقر عليها جمهوريتنا». قال أيضًا ابراهام لينكولن Abraham Lincoln: «إني أجد أن انخراطي في الكتاب المقدس أمر نافع، يُمكنك البحث في هذا الأمر كيفما شئت ووزنه أيضًا بميزان الإيمان، وستجد أنك تعيش كإنسان أفضل». قال أيضًا تيودور روزفيلت Theodore Roosevelt: «تقريبًا كل الأفراد الذين لديهم في حياتهم عملاً أُضيف إلى إنجازات البشر - وهو الأمر الذي ينظر إليه الجنس البشري بافتخار - تجدهم أتموا العمل الرائع هذا بناءً على تعاليم الكتاب المقدس». أخيرًا، ذكر وودرو ويلسون Woodrow Wilson قائلاً: «إني أشعر بالأسف تجاه الأفراد الذين لا يقرأون الكتاب المقدس كل يوم، وأتساءل كيف يجردون أنفسهم من هذه القوة والمتعة، فإني أخشى المضي قدمًا إذا لم أتأكد أن هناك أساس لكل التعاليم وكل الأفكار في كلمة الله التي لا تُضاهى ولا يرقى إليها الشك».

وحتى يومنا هذا يبقى الكتاب المقدس واحدًا من أفضل الكتب مبيعًا لكل الأزمنة، وتثبت صحة هذا الأمر عامًا بعد الآخر. فقد تغيرت حياة الملايين بسبب قراءة الكتاب المقدس، ووجد عدد لا يُحصى من الناس تشجيعهم وقوتهم لمواجهة يوم آخر في حياتهم من خلال قراءة الكتاب المقدس. إن الكتاب المقدس بمثابة خريطة تبين لنا الطريق ونور يشرق في الظلمة، فهو يستمر في تأثيره رغم إهمال الكثيرين له ومواجهة وسخريّة البعض الآخر له، فهو لا يزال يغيّر حيوات الناس ويشير لهم إلى الله.

تستمر عملية ترجمة الكتاب المقدس بوتيرة سريعة، فهناك عددًا لا يُحصى من القبائل والأفراد الذين ليس لديهم كتاب مقدس بلغتهم، وفي العديد من الدول هناك جمعيات للكتاب المقدس تروّج له، وهناك العديد من المنظمات التي تكون إرسالياتها الأساسية هي ترجمة الكتاب المقدس إلى لغات الأفراد الذين لم يصل إليهم. وقریبًا سيكون هناك احتياج إلى كلمة الله حيثما يُكرز بالإنجيل.

لدى الكتاب المقدس جاذبية عالمية، فعندما يقرأه الناس يشعرون أنه كُتب خصيصًا لهم، ومن المستحيل أن نحصى التأثير الذي تركه الكتاب المقدس على الأفراد والأسر والمؤسسات الحكومية. فإن الكثير من بنود الدستور الأمريكي في الولايات المتحدة تقوم على مبادئ الكتاب المقدس. عندما تتأمل في العديد من المستشفيات والمدارس التي تأسست على تعاليم الكتاب المقدس، ستُدرِك مدى التأثير الهائل له.

يشرق الكتاب المقدس كضوء منارة عظيم في الظلام الروحي الذي بداخلنا. فالكتاب المقدس هو الحق الذي يقود التائهين والحيارى إلى الإله الحي. هو كتاب إرشادي عظيم للمسافرين التعالَى في طريقهم إلى السماء، وهو ليس مجموعة من الاحتمالات والافتراضات والتكهنات، بل هو وعد الله الصادق والأمين. وليس من المبالغة القول بأن الكتاب المقدس ككل هو وعد من الله. هو مفتاح روحي أعطاه الله لنا، فالكتاب المقدس هو النعم والأمين، إنه مكان حيث يقف الناس عندما تغمر الخطية حياتهم، وملجأ نحتمي فيه من رياح الخداع. هو أيضًا مكان يُمكن أن يجد فيه الجياع والعطاش مأكلهم بقدر ما يحتاجون وبدون أن يقل مخزون احتياجهم الروحي. فيه أيضًا مكان

لغير المتعلمين حيث يمكنهم التعلّم من أعظم معلم على الإطلاق. هو أيضًا مكان حيث يُمكن للمؤمن الباحث أن يُنقّب على ثروات أغلى من الذهب والفضة. ويُمكن أيضًا أن يجد فيه المؤمن المولود ولادة ثانية للتو قوة وتوجيه مثلما يجده المسيحي الناضج الذي اقترب من اكتمال رحلته.

باختصار، ما هو الكتاب المقدس إذًا؟ لقد أطلق كالفين Calvin على الكتاب المقدس اسم «كلام الله الطفولي» وهو لا يقصد بهذا أن الكتاب المقدس ليس حقيقي، بل يقصد أن الإله الغير محدود هذا، لكي يتحدث مع كائنات محدودة مثلنا عليه أن يُبقي الطعام الذي يقدمه لنا منخفضًا بحيث يُمكننا الوصول إليه.»^(١٣) وما ذكره أليكساندر ماك لارين Alexander Maclaren عن الأناجيل يُمكن أن نقوله عن الكتاب المقدس ككل، حيث قال: «إذا لم يكن هناك المسيح، أو إذا كان المسيح الذي عاش وسطنا ليس المسيح الذي تقدمه لنا الأناجيل، فإن كُتاب هذه الأناجيل عباقرة بارعون، وإن أعمالهم هذه تتصدر قمة الأعمال الأدبية التخيلية على مستوى العالم. من الصعب جدًّا أن نفسر بحسب الأناجيل إذا كانت كتب تاريخية، بقدر ما نفسر بحسب المسيح الذي نتحدث عنه هذه الأناجيل.»^(١٤)

تشير وحدانية الكتاب المقدس والنبوات التي تحققت فيه والقوة التي ظهرت في الكثيرين الذين تغيرت حياتهم، إلى حقيقة أن الكتاب المقدس هو كلمة الله. إن كلمة الله لا تتغير وهي أيضًا أزلية. فكل مواعيد الله فيها النعم والآمين، ولكلمة الله جاذبية عالمية، فرجال وسيدات من كل الأمم يقرأونها ويسمعون الله يتحدث إليهم عبر صفحاته، وليس من العجيب أن

تكون كلمات هذه الترنيمة كالآتي:

«الكتاب المقدس هو كتاب إلهي، كنز ثمين، وهذا كله لي،
فهو لي ليعلمني من أين أتيت، وهو أيضًا لي ليعلمني ما أنا عليه،
هو لي ليؤبخي عندما أتوه، وهو أيضًا لي ليُريني محبة الفادي،
هو لي ليرشدني ويحرسني، هو أيضًا لي ليؤدبني ويكافئني،
هو لي ليعزيني في ضيقاتي وآلامي في البرية،
هو لي ليُريني الإيمان الحي، حتى أنتصر في وقت الموت،
هو لي ليُخبرني عن أفراح قادمة ومصير الخاطئ العاصي،
الكتاب المقدس هو كتاب إلهي، كنز ثمين، وهذا كله لي.» (١٥)

الفصل الثاني

إله تتغنى به

هناك العديد من الآلهة التي لا يرغب أحد في تقديم الثناء لها، فتجدهم في بعض الأحيان أنانيين وأشرار، فمن يرغب في تقديم الثناء لإله بعيد جدًا وليس له علاقة بالجنس البشري؟ ومن يرغب في ثناء إله ليس له قوة أو معرفة أكثر مما لدينا؟ أيضًا من يرغب في ثناء إله يحاول جاهدًا أذيتنا؟ ومن يرغب في ثناء إله حدوده هذا الكون؟

إن الإله الذي يقدمه لنا الكتاب المقدس إله حي، فهو كان هناك دائمًا وسيظل دائمًا، هو إله أبدي؛ كان هناك قبل وجود أي مخلوق أو أي كيان، وهو لا يعتمد على هذا الكون بأي شكل، أيضًا هو ليس كيانًا تصوريًا، بل إن واقعه حقيقي جدًا أكثر من أي وجود للإنسان. لا يجادل الكتاب المقدس عن وجود الله، فكل ما حولنا هو دليل على وجوده، «السَّمَاوَاتُ تُحَدِّثُ مَجْدَ اللَّهِ، وَالْفَلَكَ يُخْبِرُ بِعَمَلِ يَدَيْهِ. يَوْمٌ إِلَى يَوْمٍ يُذِيعُ كَلَامًا، وَلَيْلٌ إِلَى لَيْلٍ يُبْدِي عِلْمًا. لَا قَوْلَ وَلَا كَلَامَ. لَا يُسْمَعُ صَوْتُهُمْ. فِي كُلِّ الْأَرْضِ خَرَجَ مَنْطِقُهُمْ، وَإِلَى أَقْصَى الْمَسْكُونَةِ كَلِمَاتُهُمْ. جَعَلَ لِلشَّمْسِ مَسْكَنًا فِيهَا» (مزمو ١٩: ٤-٤).

إن هذا الدليل على عظمة الله ومجده لا يرى فقط في السماويات بل أيضًا في أصغر المخلوقات التي نعرفها وأيضًا في الإنسان، فكلما نرى رجلًا أو

امراً أو طفلاً أو طفلةً نعرف على الفور أن الله الحي موجود، فمن يستطيع أن ينظر إلى زهرة الأور كيد ولا يسمع همس صوت الله؟ ومن يستطيع أن ينظر إلى مملكة الطيور والحيوانات ولا يسمع همس صوت وجوده؟ ومن يستطيع أن ينظر إلى مولود جديد ولا يشعر بشيء خارق للطبيعة؟ ليس أنا من أقول هذا، بل الله، «قَالَ الْجَاهِلُ فِي قَلْبِهِ: «لَيْسَ إِلَهُ»» (مزمو ١٤: ١).

إن الله ليس محدوداً بوقت، فهو من خلق الزمن، إلا أنه يحيا فوق الزمن، فهو الأبدى. وقد عبّر كاتب المزامير عن هذا قائلاً: «مِنْ قَبْلِ أَنْ تُوَلَدَ الْجِبَالُ، أَوْ أَبْدَتْ الْأَرْضُ وَالْمَسْكُونَةُ، مُنْذُ الْأَزَلِ إِلَى الْأَبَدِ أَنْتَ اللَّهُ» (مزمو ٩٠: ٢). نقرأ في سفر (التثنية ٣٣: ٢٧) «الِإِلَهُ الْقَدِيمُ مَلَجًا، وَالْأَذْرُعُ الْأَبَدِيَّةُ مِنْ تَحْتٍ. فَطَرَدَ مِنْ قُدَّامِكَ الْعَدُوَّ وَقَالَ: أَهْلِكِ». إن هذه الكلمات ينبغي أن تكون ما نتغنى به، فالله ليس مثلنا، فهو ليس محدوداً بزمن بأي شكل من الأشكال، بل يقول الوحي أن ألف سنة كيوم عند الرب، فنحن نبقي في عجلة من أمرنا، بينما الله لا يستعجل أبداً، فهو إله أبدي.

ليس فقط الله أبدي بل هو أيضاً إله له ذات. فهو ليس «بشيء»؛ هو من أعطانا الوجود، وبالتالي لا بد له أن يكون إله له ذات أكثر من البشر. نعم هو روح، ونحن قد نفكر أن الروح بالأمر الغامض ويشبه الظل. كتب ستيفن بوير StevenBoyer وكريستوفر هال Christopher Hall في كتابهما الذي جاء تحت عنوان «لغز الإله»، كتباً يقولان «إن لله أيضاً شخصية سامية جداً وكبيرة جداً ولا يضاهاها شخصية، فشخصيته هذه تتوافق بدرجة ما أو بطريقة ما - بما لا يمكن إدراكه - مع صورة اعتلاء الخالق على المخلوق. وليس هناك كياناً له شخصية في كل هذا الكون أكثر من الله الحي».^(١)

يكتب وايان جرودين Wayne Gruden في علم اللاهوت المنهجي أو النظامي يقول: «إنه نوع من الوجود الذي يفوق ويتفوق بشدة عن وجودنا المادي، يُمكننا القول أن الله «كائن نقي» أو أنه «كمال الوجود وجوهره». بالإضافة إلى ذلك، إن هذا النوع من الوجود ليس أقل حقيقةً أو أقل أهميةً من وجودنا نحن كبشر، بل هو أكثر واقعية وأكثر أهمية من الوجود المادي وغير المادي لكل الخليقة.»^(٢)

يُعجبني ما قاله إيريك سوير Erich Sauer عندما كتب: «إن الله هو الوجود الأبدي المختلف تمامًا عن الكل، وهو الأعلى والأعظم وليس لجوهره نهاية مطلقة، ولا يُمكن للذكاء البشري أن يدرك عمق كيانه الإلهي.»^(٣) ليس الله بضعة أبخرة متصاعدة، وهو ليس مادة غامضة، بل هو شخص حي، وحقيقة وجوده تفوق جدًا حقيقة وجودنا. يشرح سي إس لويس C.S.Lewis لماذا لا بد أن يكون الله كذلك فيقول: «إذا كان الله هو المصدر المطلق لكل الأشياء المادية والأفراد والأحداث، فلا بد أن يكون الله ذاته ماديًا وأيضًا ذات بكل ما تحمله الكلمة من معاني، إلا إذا كان أصل الأشياء هو في الأصل أمر مادي وبشري. ولا يُمكن أن يكون الأمر كذلك لأنه لا يوجد وسيلة تكاثر يتمكن عن طريقها الشيء المجرد والعام أن ينتج حقيقة ملموسة.»^(٤)

هناك حقائق عن الله لا يُمكن لأذهاننا أن تدركها، ولن يُمكنها أن تدركها أبدًا. فمعرفةتنا محدودة، والله يتعالى عنّا وهو ليس مثلنا في أمور عديدة، وهذا ما نعينه عندما نقول إن الله سامي. فلدى الله العديد من الصفات التي لا يتشارك فيها مع الإنسان ولا يُمكن للإنسان أن يحصل عليها، فهو

الخالق ويختلف عن كل الأشياء المخلوقة. فالاختلاف بين الكائنات المجهرية والإنسان كبير جدًّا، إلا أن كليهما مخلوقين، وكذلك الفرق بين الله والإنسان أكبر بكثير جدًّا. أشار إيه دابليو توزر A.W. Tozer أنه ربما يكون لله صفات لا نعرف عنها شيء، ولا ينبغي أن يُزعجنا هذا الأمر فالله أعظم مما قد نتصور أو ندرك، وأن ما أعلنه لنا من أمور حقيقي جدًّا، إلا أننا محدودين بقدرتنا على الإدراك، وسيُخبرنا الله بالكثير عن شخصه عندما نصل إلى السماء، إلا أنه سيظل دائماً الله الأزلي والأبدي.

نحن نبتهج بالرب الذي ليس فقط يسكن الأبد بل أيضاً قريب منا، فوجوده في كل مكان، وهذا ما يُسمى بالله كلي الوجود، فلا يوجد مكان يخلو منه. ينبغي ألا نفكر في الله باعتباره كائن ضخم ينتشر في كل مكان، بل إن في كيان الله كل الأشياء موجودة، فهو يعيش في أبعاد مختلفة عنا، ولكي نكون أكثر دقة، الله بُعدُه مختلف عن بُعدنا، وهذا يعني أنه قريب لكل واحد منا، وقد لا ندرك وجوده إلا أنه موجود. فبينما يبُعدُ عنك مَنْ تُحب بآلاف الأميال، إلا أن الله موجود مع كليكما. ولذلك فعندما نصلي جميعاً، يسمع الله لكل واحد منا، فالمكان لا يحده. نحن نوجد في مكان محدد وفي زمان محدد، إلا أن الله في كل مكان في ذات الوقت.

قد تُبهرك هذه الحقائق عن الله، إلا أنها من أكثر الأمور التي تجلب طمأنينة. فهو قريب منك ومعك أينما تذهب. عبّر كاتب المزامير عن هذا الأمر عندما قال: «أَيْنَ أَذْهَبُ مِنْ رُوحِكَ؟ وَمِنْ وَجْهِكَ أَيْنَ أَهْرُبُ؟ إِنْ صَعِدْتُ إِلَى السَّمَاوَاتِ قَانَتْ هُنَاكَ، وَإِنْ فَرَشْتُ فِي الْهَوَايَةِ فَهَا أَنْتَ. إِنْ

أَخَذْتُ جَنَاحِي الصُّبْحِ، وَسَكَنْتُ فِي أَقَاصِي الْبَحْرِ، فَهَتَاكَ أَيُّضًا تَهْدِينِي يَدُكَ
وَمُتْسِكُنِي يَمِينِكَ.» (مزمور ١٣٩: ٧-١٠). لقد سأل الله في سفر (إرميا ٢٣: ٢٤)
أَسْئَلُهُ تَجِيبْ عَنْ نَفْسِهَا حِينَ قَالَ: «إِذَا اخْتَبَأَ إِنْسَانٌ فِي أَمَاكِنَ مُسْتَتْرَةٍ أَفَمَا أَرَاهُ
أَنَا، يَقُولُ الرَّبُّ؟ أَمَّا أَمْلَأُ أَنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ، يَقُولُ الرَّبُّ؟» فإن الشخص الذي
يملاً السماوات والأرض دائماً موجود.

إن وجود الله غير محدود، فهو لا يحده مكان أو أشخاص. في أعمال
ستيفين شارنوك Stephen Charnock الأدبية عن صفات الله، كتب يقول:
«إن كان الله قد خلق مليون عامًا، فهو سيكون فيها جميعًا، ولا يتوجب عليه
أن يقوم بتمديد كيانه كي يحدث هذا، بل إن هذا بسبب عدم محدودية
كيانه؛ وليس بأن وجوده ينمو، بل يحدث هذا بذات الجوهر الذي له منذ
الأزل، وبنفس الأسباب التي دُكرت بالأعلى، وأيضًا ببساطته وعدم تجزئته.»^٥
يقول ميلارد جاي إيريكسون Millard J. Erickson في كتاب له صدر حديثًا،
يقول: «إن الله لا يتحرك من مكان لآخر باعتباره نوع من أنواع السوبرمان
الإلهي الذي يمكنه التحليق بسرعة غير محدودة، بل لدى الله إمكانية
الدخول لكل الخليقة في أي زمن.»^(٦)

ويشرح جاك كوتريل Jack Cottrell صفة كُلي الوجود الخاصة بالله
كالتالي: «إن مكان الله ليس في بقعة بذاتها، مثل جبل معين أو سحابة
محددة أو حتى في عرش سماوي بعينه. بإمكان الله أن يجعل مكانه معروفًا
عندما يتجلى لنا، وهذا سيكون في مكان بعينه، إلا أن هذا الظهور المرئي لا
يحد الله بمحدودية هذا المكان الذي يظهر فيه؛ بإمكان الله أن يُعرّف ذاته

بملايين من التجليات المتزامنة ويظل متواجداً لكل الخليقة في ذات الوقت، فيمكانه أن يفعل ذلك ليس لأنه روح بل لأنه الله الروح الذي لم يُخَلَق.»^(٧)

ليس فقط الله في كل مكان بل هو أيضاً يعرف كل شيء، ونحن نسمي هذه الصفة الإلهية بكُلِّي العلم. الله يعرف كل الماضي وكل الحاضر وكل المستقبل. هو لم يتعلم هذا الأمر، بل في عظمة كيانه يعرف كل أمر عن كل شخص وكل شيء. فكّر في الأمور التي يعرفها أي إنسان وكم هي ضئيلة جداً، فنحن نعرف القليل جداً مما قد يُعرف سواء عن الماضي أو عن الحاضر، والكثير من المستقبل مجهول لدينا، فيما عدا ما أظهره الله لنا في كلمته.

قد يُعلّل بعض الناس أنه بما أن الله يعرف كل شيء فإن كل الأمور مُقررة لديه، إلا أن المعرفة بأمر لا يقرر أمراً، فمن الممكن أن أعرف أن طفلاً ما سيستهي مخبوزات طازجة تصنعها الأم في المطبخ، ومعرفة ميوله هذه يُمكن أن أعرف أنه سيأخذ البعض من هذه المخبوزات، فهل يعني هذا أنني من قرر ما فعل هذا الطفل؟ ليس على الإطلاق. فالله يعرف كل شيء عنك، وهو يرى النهاية من البداية، وعندما افتداك كان على علم بكل الخطايا التي ارتكبتها، وهو لا يتفاجأ بما تفعله أو لا تفعله، وهو أيضاً لا يجعلك تفعل الأمور التي تفعلها.

ظهر حديثاً بعض اللاهوتيين الذين يدّعون أن الله لا يعرف كل الأشياء التي ستحدث في المستقبل، وإني أؤمن أن هذا الفكر غير مقبول لأي مسيحي، فالكتاب المقدس يُعلّم أن الله عَرَفَ عنا حتى قبل أن نُولد، فهو يعرف كل شيء عنك، فنحن غالباً ما لا نعرف أو نفهم كل شيء عن ذاتنا أو عن أصدقائنا، إلا أن الله يعرف، وهذا سبب آخر يجعلنا نسبح الله، فهو يعرفنا بالاسم!

يقول الكتاب في رسالة (العبرانيين ١٣: ٤) «وَلَيْسَتْ خَلِيقَةً غَيْرَ ظَاهِرَةٍ قُدَّامَهُ، بَلْ كُلُّ شَيْءٍ عُرْيَانٌ وَمَكْشُوفٌ لِعَيْنَيَّ ذَلِكَ الَّذِي مَعَهُ أَمْرُنَا». ويقول أيضًا في (مزمور ١٤٧: ٥) «لِفَهْمِهِ لَا إِخْصَاءَ». بكلمات أخرى يقول الوحي إن علم الله غير محدود.

تحدث ستيفن شارنوك Stephen Charnock عن علم الله الكلي بتعبيره: «إن معرفة كل الحاضر وكل ما مضى وكل ما سيأتي، أقل بكثير من علم الله، فالله غامض في طبيعته أكثر من الأشياء التي خلقها مجتمعة.»^(٨)

ولأن الله يعلم بكل شيء فيمكننا أن نتأكد أن قراراته صائبة، فنحن ليس لدينا ما يكفي من معرفة لنحكم على الآخرين، إلا أن الله يرى خبايا القلوب، ويعرف كل ما حدث ويعرف كل الحقائق وكل الاحتمالات.

ليس الله فقط كَلِّي الوجود وكَلِّي المعرفة، هو أيضًا كَلِّي القوة. يتحدث الكتاب عدة مرات عن الله القدير، ف قوة الله غير محدودة، أي أنه ليس هناك ما يحدها، فما يحدها فقط هو كيان الله. والله لا يُمكن أن يكذب، ولا يُمكن أن يفعل أي شيء يتعارض مع شخصه، الله يستطيع أن يفعل كل ما يعد به وهو قادر أن ينفذ إرادته، وليس هناك قيودًا على قوته من الخارج. ليس بإمكان الشيطان أن يحد قوة الله، وليس بإمكان ما يفعله أي إنسان أو مجموعة من البشر أن يحد قوة الله.

قال الملاك لمريم واليصابات عندما بدا الأمر مستحيلًا: «لأنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ غَيْرَ مُمَكِّنٍ لَدَى اللَّهِ» (لوقا ١: ٣٧). وبعد أن سمع أيوب أسئلة الله العديدة

التي لم يستطع أن يقدم لها أجوبةً، قال: «فَأَجَابَ أَيُّوبُ الرَّبَّ فَقَالَ: «قَدْ عَلِمْتُ أَنَّكَ تَسْتَطِيعُ كُلَّ شَيْءٍ، وَلَا يَعْسُرُ عَلَيْكَ أَمْرٌ.»» (أيوب ١: ٤٢). أيضًا نرى جزءًا من قوة الله في الأشياء التي صنعها، وبإمكانه أن يصنع أكثر جدًّا مما يُمكن أن نرى أو نفكر، ولا يُمكننا أن نطلب أكثر مما يُمكن أن يصنعه الله، ولا يُمكن أن نتخيل أكثر ما يُمكن أن يصنعه، فيقول الوحي عنه «يُحْصِي عَدَدَ الْكَوَاكِبِ. يَدْعُو كُلَّهَا بِأَسْمَاءٍ. عَظِيمٌ هُوَ رَبُّنَا، وَعَظِيمُ الْقُوَّةِ. لِفَهْمِهِ لَا إِحْصَاءَ. (مزمو ١٤٧: ٤-٥).

إن قوة الله تختلف كثيرًا عن قوتنا، فبعض الأحيان يُمارس الديكتاتوريون قوة عظيمة لصنع الشر، ويبدو أن للشيطان قوة واسعة الانتشار، إلا أن قوة الله لا تُضاهي قوة الإنسان وقوة الشيطان. ودائمًا ما يستخدم الله قوته بما يتوافق مع طبيعته وخطته، وهذا الأمر يفهمه المسيحيون أكثر من غيرهم، فهو يعني أنه بإمكاننا أن نطلب من الله أمورًا عظيمة تفوق قوتنا.

إن ما يفعله الله دائمًا ما يتوافق مع كيانه، فهو لن يستخدم قوته أبدًا بصورة عشوائية وبلا غرض أو معنى، «فلا يُمكنه قتل ذاته الإلهية، فهو خالد، ولا يُمكنه إنكار ذاته لأنه أمين، ولا يُمكن أن يكذب لأنه الحق، ولا يُمكن أن يكون ظالمًا لأنه العدل. ولأن الله قدير لا يجب الضغط عليه اعتقادًا منا أن بإمكانه فعل أي شيء.»^(٩) كتب هذه الكلمات كلارك بينوك Clark Pinnock.

كان روبرت موري Robert Morey جديرًا حينما قال: «إن صفة كلي القدرة لا تعني أن الله له حرية مطلقة أن يفعل أو أن يكون أي شيء حتى وإن كان هذا يتعارض مع طبيعته، فبينما الله حر ليكون الله في ملء طبيعته

الإلهية، إلا أنه ليس حرًا ليكون أي شيء غير الله أو أن يتصرف بطريقة لا تتوافق مع طبيعته الثابتة والكاملة والعظيمة والتي تتصف بالقداسة.» (١٠)

إن الإله الحي هذا هو سيد على الكل يجلس على عرشه، ومملكته دائمة، فماذا تعني سيادته؟ يعنى هذا الأمر أن الله يحكم الكل. يفسّر بعض الناس هذا الأمر بأنه يعني أن الله يقرر كل شيء يفعل كل فرد، وأنا أتفق مع هذا الرأي. فالله أعطانا حرية لنختار وحرية لنعبّر عن أنفسنا، وحرية حتى أن نرفضه أو نعمل أمورًا سيئة. سيادة الله تعني أنه يعمل مقاصده في العالم، ولا يُمكن للشّرير أن يتصدى لمقاصد الله، بل هو ببساطة يستغلها ويعمل حولها. عندما تحدث أمور سيئة في حياتنا أو عندما نرتكب نحن أمورًا سيئة، يعمل الله ببساطة في هذه الأمور السيئة التي ارتكبتها ويحولها لخيرنا ولمجده.

تؤكد لنا سيادة الله «أَنَّ كُلَّ الْأَشْيَاءِ تَعْمَلُ مَعًا لِلْخَيْرِ لِلَّذِينَ يُحِبُّونَ اللَّهَ، الَّذِينَ هُمْ مَدْعُودُونَ حَسَبَ قَصْدِهِ.» (رومية ٨: ٢٨). فهناك العديد من الأمور التي تحدث في الحياة لا يسببها أو يرسلها الله، إلا أننا نلقي باللوم على الله في كثير من الأمور المأساوية والعديد من الأمور السيئة، لكن ما يُمكننا أن نعرفه هو أن الله يعمل من خلال هذه الأمور، فهو لا يُعاملنا كإنسان آلي، بل كبشر مخلوقين على صورته.

كتب إيه دابليو توزير A. W. Tozer جملة رائعة صاغها كالتالي: «قرر الله أن يكون الإنسان حرًا في اختياراته الأخلاقية. وقد كان الإنسان هكذا منذ البداية، وذلك باختياراته بين الخير والشر، فعندما اختار فعل الشر لم يكن بذلك يتعارض مع سيادة الله عليه، بل كان يُحقق قوانينها، وذلك حيث

أن المرسوم الأزلي الذي وضعه الله لم يقرر أي خيار يجب على الإنسان أن يتخذه، بل أن يكون الإنسان حرًا في اختياره. وإذا كان الله في حريته المطلقة أراد أن يُعطي الإنسان حرية محدودة، فمن كان سيعارضه أو يقول له «ما هذا الذي تفعله؟» إن إرادة الإنسان حرة وذلك لأن الله يسود عليه. لو كان الله أقل من كونه سيد لما تمكّن من إعطاء خليقته حرية أخلاقية، فكان سيخشي هذا الأمر. (١١)

استخدم توزر Tozer في توضيحه لهذا الأمر سفينة ركاب كبيرة تخوض المحيط. فلدى الركاب حرية تامة في التحرك بداخل السفينة، إلا أن اتجاهات السفينة ومصيرها هو أمر محدد سابقًا. قال توزر Tozer إن هذا التوضيح يُبين كلاً من سيادة الله والحرية التي أعطاها للإنسان.

في أحسن الأحوال تفشل كلمات البشر في التعبير عن عظمة الله المحب، فما يوضحه الكتاب المقدس عن الله حقيقي جدًّا، إلا أن إمكانية إدراكنا لذلك هو أمر محدود. فما نعرفه عن الله يبهجنا ويرفعنا ويدعمنا بل وأيضًا يجعلنا نتغنى به في طريقنا. يقول إيفيرت بليكينك Evert Blekkink أن الله كيان نشيط جدًّا، فهو يصنع أكثر مما نراه يُصنع في هذا الكون، يقول أيضًا: «قد يكون لله التقدير اهتمامات أخرى أكثر من هذا الكون الذي نعرفه نحن، وربما يكون هناك كائنات أخرى أكبر حجمًا وعمرًا منا، إلا أن عظمة الله ومجده ليست فيما فعله ويفعله، بل في ذاته وشخصه.» (١٢)

واحدة من التسابيح التي تعبّر عن عظمة الله تُدعى «الله الخالد غير المرئي الحكيم وحده»، تقول:

«الله الخالد غير المرئي الحكيم وحده، يختبئ عن أعيننا في ضوء لا يُمكن الوصول إليه، هو المبارك والمُجد وحده، فهو القديم الأيام والقدير والمنتصر. نحن نسيح اسمك العظيم، فأنت تحكم هذا الكون بدون توقف وبلا عجلة من أمرك، فأنت هادئ كالنور ولست محتاجاً أو مسرفاً. عدلك كالجبال يرتفع عالياً فوق سحابك التي هي بمثابة ينبوع الصلاح والمحبة.» (١٣)

تحدثنا حتى الآن عن الصفات التي ينفرد بها الله، فلا يُمكن أن يتشارك أي كائن حي بهذه الصفات، فهي تخص الله وحده بصفة خاصة. الصفات التالية التي سنتحدث عنها يتشارك فيها الإنسان بحدود. بالطبع هذه الصفات تجد كمالها في الله، بل هي في حقيقة الأمر أبدية في الله؛ المحبة واحدة من صفات الله. فالكتاب يقول بصراحة أن الله محبة ولا يُمكننا تغيير هذه الآية لتكون المحبة هي الله.

يبدو أن البعض من الناس يظن أن محبة الله تغطي على صفاته الأخرى، إلا أن هذا ليس بالأمر الصحيح، فالله قدوس وهو مُحَبٌّ، فمحبتة تظهر في كل ما يفعل، وهو أيضاً قدوس في كل ما يفعل، وكذلك أيضاً هو بار في كل ما يفعل. كل هذه الصفات حقيقية والله لا يتغير فيما يقول أو يفعل، وتظهر محبة الله في عطاءه وفي رغبته في فعل الأفضل للآخرين. إن ما نسميه نحن محبة هو في حقيقة الأمر أنانية «أَنَّهُ هَكَذَا أَحَبَّ اللَّهُ الْعَالَمَ حَتَّى بَدَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ، لِكَيْ لَا يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ، بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الْأَبَدِيَّةُ» (يوحنا ٣: ١٦). يوضح الكتاب المقدس نوع المحبة التي يتصف بها الله، فيقول:

«الْمَحَبَّةُ تَتَأَنَّى وَتَرْفُقُ. الْمَحَبَّةُ لَا تَحْسِدُ. الْمَحَبَّةُ لَا تَتَفَاخَرُ، وَلَا تَتَنَفِّخُ، وَلَا تُقَبِّحُ، وَلَا تَطْلُبُ مَا لِنَفْسِهَا، وَلَا تَحْتَدُّ، وَلَا تَنْظُنُّ السُّوءَ، وَلَا تَفْرَحُ بِالْإِنِّمَ بَلْ تَفْرَحُ بِالْحَقِّ، وَتَحْتَمِلُ كُلَّ شَيْءٍ، وَتَصَدِّقُ كُلَّ شَيْءٍ، وَتَرْجُو كُلَّ شَيْءٍ، وَتَصْبِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ. الْمَحَبَّةُ لَا تَسْقُطُ أَبَدًا. وَأَمَّا النُّبَوَاتُ فَسَتَبْطُلُ، وَالْأَلْسِنَةُ فَسَتَنْتَهِي، وَالْعِلْمُ فَسَيَبْطُلُ.» (كورونثوس الأولى ١٣: ٤-٨). يُمكنك في هذه الآيات أن تضع كلمة الله بدلاً من كلمة محبة، فستجد أن هذا وصفاً ممتازاً لمحبة الله.

كيف يُمكننا أن نتحكم في محبة الله؟ إن الإجابة على هذا التساؤل هو أننا لا نستطيع التحكم في محبة الله، إلا أنه بإمكاننا أن نغوص فيها أكثر وأكثر. يقول الكتاب في (رومية ٥:٥) «وَالرَّجَاءُ لَا يُخْزِي، لِأَنَّ مَحَبَّةَ اللَّهِ قَدْ انْسَكَبَتْ فِي قُلُوبِنَا بِالرُّوحِ الْقُدُسِ الْمُعْطَى لَنَا.» فالله لم يبدأ في محبتنا يوماً ما وذلك لأن محبته أبدية، ليس هناك بداية ولا نهاية لمحبة الله «مَحَبَّةٌ أَبَدِيَّةٌ أَحَبَبْتُكَ، مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ أَدَمْتُ لِكَ الرَّحْمَةِ.» (إرميا ٣:٣١). لقد أحب الله الإنسان من قبل أن يخطئ وأحبه أيضاً بعد أن أخطأ. فليس هناك أمر يجعل الله يحبنا، ولا يوجد هناك أمر بإمكانه أن يمنع عنا محبة الله، فالمحبة هي طبيعة الله.

وليس من المدهش إذًا أن نجد المسيحيين يصيحون ترفعاً عندما يتفكرون في محبة الله؛ تتحدث التسيحة التالية عن محبة يسوع العميقة نحونا، ويُمكننا أن نقول ذات الشيء عن الله الآب والله الروح.

يا لمحبة يسوع العميقة والكبيرة التي لا تُقاس،

تلك المحبة الحرة بلا حدود!

تسير فوق كيماء المحيط الغامرة، وتحتي وحولي في كل مكان،

محبة تأخذني إلى الأمام وتقودني إلى بيتي وراحتي المجيدة التي تنتظري هناك.
يا لمحبة يسوع العظيمة والكبيرة، فأمام كل أشكال الحب، محبتك الفضلى،
إنها بركات بحجم محيط واسع، وهي ملاذ جميل من الراحة.
يا لمحبة يسوع الكبيرة والعميقة، فهي سماء السماوات بالنسبة لي،
وهي تحملني للمجد الأعلى، وذلك لأنها تحملني إليك يا الله.» (١٤)

ليس فقط الله إله محب، بل هو أيضًا قدوس، ويُعبّر عن هذه الصفة
بعدة أشكال في الكتاب المقدس؛ عندما تواجه إشعياء مع الله، سمع السرافيم
يقولون: «وَهَذَا نَادَى ذَاكَ وَقَالَ: «قُدُّوسٌ، قُدُّوسٌ، قُدُّوسٌ رَبُّ الْجُنُودِ. مَجْدُهُ
مِلءُ كُلِّ الْأَرْضِ» (إشعياء ٦: ٣)، ونقرأ أيضًا في (بطرس الأولى ١: ١٦) «كُونُوا
قَدِيسِينَ لِأَنِّي أَنَا قُدُّوسٌ»، فما الذي نعنيه عندما نقول أن الله قدوس؟ يحمل
التفسير الأولي معنى أن الله بعيد، فهو يختلف عن الكل وهو أيضًا يعلم
فوق كل الخليقة. أما التفسير الثانوي فهو أن الله طاهر؛ ليس هناك مناطق
رمادية أو مناطق سوداء في شخصيته، فهو إله حق، ولا يعتريه تغيير. فصفاته
ثابتة طول الزمان منذ الأزل وإلى الأبد.

كتب كريستوفر بيرنر Christopher Berner الكلمات التالية عن
قداسة الله، «تعني قداسة الله أنه إله فريد، فهو بحق وبصورة مطلقة ليس
له مثيل. وهو بعيد كل البعد عن كل ما هو عادي أو مشترك مع الإنسان،
ويختلف عن كل ما نعرف، كما أنه يختلف أكثر مما يُمكن أن نتصور. الله
فريد بصورة غير محدودة، فهو فريد جدًا ومختلف جدًا بحيث لا يُمكننا أن
نبدأ في فهم كل ما هو مكنون في شخصيته المجيدة.» (١٥)

كيف يُمكن للمسيحي أن يختبر هذا النوع من القداسة؟ ينبغي علينا نحن أيضًا أن نختلف عن العالم الذي نحيا فيه. لا بد أن نحيا بطريقة مختلفة، فعلينا أن نتحلى بالاستقامة، وأن نعيش ما نقول ونقول ما نعبه ونعبه ما نقول. فنحن آنية مخصصة لله. قد أعطانا الله قداسه بحسب مقامنا، وعلينا أن نحيا في هذه القداسة بينما نحن على الأرض.

كتب آر سي سبرول R. C. Sproul في كتابه الذي صدر تحت عنوان «قداسة الله»، يقول: «عندما يقول الكتاب المقدس أن الله قدوس، فهو يعني بصفة أولية أن الله بعيد بطريقة متعالية، فهو يعلو عنا جدًا حتى أنه يبدو غريبًا عنا، فلكي تكون قديسًا عليك أن تكون «آخرًا» وأن تكون مختلفًا بطريقة خاصة.» (١٦)

لا يُمكن لله أن يتعدى قداسه لكي يُعبّر عن محبته، فمحبته محبة مقدسة، وليس هناك صفة من صفات الله تعمل بعكس صفة أخرى. فليس هناك تناقضات، فلطالما كان الله قدوسًا وسيبقى هكذا، إن قداسه هي طبيعته، والسماء مكان مقدّس وهناك سنجيا حياة القداسة.

يتحدث الكتاب المقدس أيضًا عن غضب الله. يجب ألا نعتقد أن الله يفقد صوابه كما يفعل الإنسان، فغضبه يتوافق مع صفاته الأخرى. الله يغضب من الخطية، فهي تمرد وانتهاك لقداسه، والله يُعبّر عن غضبه بمحبة وقداسة. فالأب الذي يحب ابنه ويراه يفعل أمرًا سيئًا، لا يقف مكتوف الأيدي، وكذلك الله الذي يعتني بما خلقه. يعتني بالإنسان وبما يحدث معه، ولأن الله يهتم لأمرنا فهو يغضب من كل ما يؤذي الإنسان وكل ما يؤذي خليقته.

يوضح لنا يسوع غضب الله البار بصورة جيدة. ففي الهيكل حيث كان من المفترض أن يتعبد الناس لله، أصبح هذا الهيكل سوقاً لبيع الطيور والحيوانات، فقلّب يسوع موائد الصيرافة وطردهم من الهيكل. أظهر ذلك موقف يسوع تجاه الأشخاص الذين دنسوا مكاناً مقدساً، فكانت أقسى الكلمات التي خرجت من فم يسوع هي تلك التي وجهها للمرائيين وذوي البر الذاتي.

كثيراً ما يتجاهل الإنسان العصري غضب الله، وقد يقول أن الغضب يعود إلى أفكار قديمة عن الله. ويرفض البعض فكرة الغضب باعتباره صفة جائرة عن الله، إلا أن الغضب يرتبط بقداسة الله ومحبته، بل أن غضب الله جزء من كمال كينونته.

إن الله إله حكيم، وحكمته تختلف عن حكمة الإنسان. فنحن غالباً ما نصبح حكماء من جراء التجارب والأخطاء التي نقع فيها وكذلك من جراء العديد من الخبرات الحياتية، إلا أن الله لطالما كان حكيماً. يفسر جيمس موير James Muir الحكمة باعتبارها «اختيار أفضل الأهداف، واختيار أفضل الوسائل للوصول لذلك الهدف». (١٧) «يَا لَعُمُقٍ غِنَى اللَّهِ وَحِكْمَتِهِ وَعِلْمِهِ! مَا أَبْعَدَ أَحْكَامَهُ عَنِ الْفَحْصِ وَطُرُقَهُ عَنِ الْاسْتِقْصَاءِ!» (رومية ١١: ٣٣).

نحن نرى حكمة الله في الأشياء التي سبق وصنعها، وأن غرضه للخليقة لم يتغير أبداً، وسيأتي يوماً يفتدي الله هذا الكون ويجعله جديداً. هناك غرض من خلاصنا، فالله لم يفشل في الإنسان عندما دخل الإثم والموت التاريخ البشري، بل صنع الله طريقاً لخلاصنا، وهذا أمر يفعل فقط إله يتحلى بالحكمة «أَنَّهُ إِذْ كَانَ أَلْعَالَمُ فِي حِكْمَةِ اللَّهِ لَمْ يَعْرِفِ اللَّهَ بِالْحِكْمَةِ، أَسْتَحْسَنَ اللَّهُ أَنْ يُخَلِّصَ الْمُؤْمِنِينَ بِجَهَالَةٍ أَلْكِرَاةِ» (كورنثوس الأولى ١: ٢١).

الصبر من الصفات الأخرى التي يتصف بها الله، فالله صبور جدًّا على الإثم. هو ينتظر وينتظر، مثلما فعل الأب في قصة الابن الضال. نرى أيضًا صبر الله مرارًا وتكرارًا في العهد القديم، فقد وقع الإسرائيليون في خطية عبادة الأصنام مرات عديدة، وكان الله يرسل لهم نبيًّا ليحذرهم أو ينقذهم. لماذا لم يُعِدْ يسوع- حتى الآن -إلى عالمنا هذا؟ واحد من الأسباب وراء هذا الأمر هو أن الله صبور؛ يريد أن جميع الناس يتوبوا ويعودوا إليه، وهو ينادي ويلتمس من الناس أن يعودوا إليه ويصبر لهم، وإن صبر الله أعظم بكثير من أي صبر قد يتحلى به أي إنسان أو مجموعة من البشر مجتمعين.

قد يجادل البعض بأن الصبر جزء من محبة الله، إلا أننا نجد في القائمة التي سردها الوحي عن ثمر الروح القدس، أن الصبر وكذلك المحبة من ثمر الروح القدس. ونجد ذكر عن صبر الله في (مزمور ١٠٣: ٨)، حين قال: «الرَّبُّ رَحِيمٌ وَرَوْوْفٌ، طَوِيلُ الرُّوحِ وَكَثِيرُ الرَّحْمَةِ». ويُعَبِّرُ الوحي جِدًّا عن صبر الله في (بطرس الثانية ٣: ٩) حيث يقول: «لَا يَتَّبَاطُ الرَّبُّ عَنْ وَعْدِهِ كَمَا يَحْسِبُ قَوْمُ التَّبَاطُؤِ، لَكِنَّهُ يَتَأَنَّى عَلَيْنَا، وَهُوَ لَا يَشَاءُ أَنْ يَهْلِكَ أَنَا، بَلْ أَنْ يُقْبَلَ الْجَمِيعُ إِلَى التَّوْبَةِ».

الله ليس فقط صبور بل هو أيضًا صالح؛ صالح للأبرار وللأشرار. فهو يُرسل الكثير من الأشياء العظيمة لكل البشر، وحتى الذين يقاومونه يستقبلون من يديه أمورًا عظيمة، ولأن الله صالح يمكننا أن نعيش حياة هنيئة هنا على الأرض. لا يجب أن نتشكك فيما يتعلق بالله، فلننا مضطرين لاسترضاء إله غير عقلاني، يقول عنه الكتاب: «صَالِحٌ أَنْتَ وَمُحْسِنٌ» (مزمور ١١٩: ٦٨). قال ستيفن شارنوك Stephen Charnock: «إن الله صالح بصورة غير محدودة؛

فصلاحه لا يعرف حدودًا، صلاح مطلق كجوهره، وهو ليس فقط صالح بل هو الأفضل على الإطلاق، ليس فقط صالح بل هو الصلاح ذاته؛ وهو الصلاح الأسمى الذي لا يُمكن تصوّره.» (١٨)

الله أيضًا مُحسن، وهو لا يعطينا ما نستحق، فإذا كان يعطينا ما نستحق فلن يوجد أي منا؛ إذا كان يعطينا ما نستحق لكنا قد متنا على الصليب بدلًا من ابنه يسوع المسيح؛ إذا كان يعطينا ما نستحق لكنا في الجحيم الآن. غالبًا ما تتصف النعمة بكونها الفضل الذي لا يستحقه مَنْ يأخذه، وهذا أمر حقيقي، فالابن الضال لم يستحق ترحيب أبوه له بعدما عاش بتلك الطريقة وبعدها أهلك ذاته وأنفق كل ما يملك، هو أيضًا لم يستحق غفران والده بسبب الطريقة التي قابل والده بها، إلا أنه بعدما عاد إلى بيته، تلقى ما لا يستحق.

بغض النظر عن مدى صلاحنا أو مدى شرنا، فإن نعمة الله هي التي ستأتي بنا إلى بيتنا الأبدي، «أَنَّهُ قَدْ ظَهَرَتْ نِعْمَةُ اللَّهِ الْمُخَلِّصَةُ، لِجَمِيعِ النَّاسِ» (تيطس ٢: ١١). فإن النعمة العظيمة التي كتب عنها جون نيوتن John Newton هي بذاتها التي ستصل إلينا. ودائمًا ما يأخذ الله زمام المبادرة، فهو يسعى نحونا قبل أن نسعى نحن نحوه، فهو الإله الذي يجهّز لخلاصنا ومن ثم يأتي ليعرفنا ما فعل.

إن الله إله أمين وهو جدير بالثقة، فلا ينبغي أن نقلق حيال ما إذا كان سيفي بكلامه أم لا. يتحدث الكتاب المقدس كثيرًا عن أمانة الله، ولا تجد مثالًا واحدًا في الكتاب المقدس أو في حياتنا المعاصرة كان الله فيه غير أمين. هناك بعض الرجال والنساء الذين بإمكاننا أن نثق فيهم عندما يعدوا بشيء،

ولكن هناك الكثير ممن لا يمكن الاعتماد على كلمتهم. في بعض الأحيان يقدم الناس وعوداً إلا أن الظروف تحول بين إيفائهم لوعودهم تلك، إلا أن الله الحي يفي دائماً بوعوده، ففيه النعم والأمين «أَنْ مَهْمَا كَانَتْ مَوَاعِيدُ اللَّهِ فَهُوَ فِيهِ «النَّعْم» وَفِيهِ «الْأَمِينُ»، لِمَجْدِ اللَّهِ، بِوَاسِطَتِنَا» (كورنثوس الثانية ١: ٢٠).

تأتي كثيراً في الكتاب المقدس، وكنعمة قوية، حقيقة أن الله أمين، فقد أصبحت الآية التالية أساساً لأكثر التسابيح جمالاً، تلك التسيبحة التي تُدعى «عظيمة هي أمانتك»، تقول الآية: «إِنَّهُ مِنْ إِحْسَانَاتِ الرَّبِّ أَنَّنَا لَمْ نَفْنِ، لِأَنَّ مَرَا حِمَهُ لَا تَزُولُ. هِيَ جَدِيدَةٌ فِي كُلِّ صَبَاحٍ. كَثِيرَةٌ أَمَانَتُكَ» (مراثي إرميا ٣: ٢٢-٢٣).

إنه لأمر محزن لكن الكثير من الناس يعتقدون أن الله غاضب، أو أنه متقدم جداً في الأيام ودائماً ما يكون منحرف المزاج، إلا أن هذا الأمر بعيد عن الحقيقة. فإن الله إله يتغنى، وهو يفرح بنا كما يفرح العريس بعروسه. ويتحدث الكتاب المقدس عن فرح الرب، فيقول: «يَبْتَهِجُ بِكَ بِرَّتْمٌ» (صفنيا ٣: ١٧). فهل يُعقل أن الذي خلق الإنسان وأعطاه حساً فكا هيئاً، يكون بلا فرح أبدي؟ وهل يُعقل أن يكون الإله الذي هو مصدر السعادة الأبدية هو ذاته لا يفيض بالسعادة؟

لا ينبغي أن نتفكر في الله باعتباره رجلاً عجوزاً وهامداً، بل هو دائم الشباب ومصدر الحياة. يكتب بيتر كريفت Peter Kreeft: «إن الله ينبوع سعادة فائض، وانفجار بركاني من الفرح، هو أيضاً ترليون شمساً تحترق من السعادة. فهو فرحاً من شأنه أن يشعل قلوبنا بالتمام إذا لمسنا نقطة منه في مصدره.»^(١٩) يقول توماس دوباي Thomas Dubay: «إن الله ليس فقط

كمال الفرّح، بل هو أيضًا جوهر الفرّح والنشوة الطاهرة والسعادة بلا حدود، وهذا كله بالتمام.» (٢٠)

يتحدث الكتاب المقدس عن الفرّح في السماء، أفلا يكون لدى الله إذًا ملء الفرّح؟ فهو مصدر كل فرّح دائم. إنه الإله المبهج والحي إلى الأبد والمعطاء دائمًا. يكتب جيمس موير James Muir يقول: «إن الإله الذي يقدمه الكتاب المقدس هو إله السعادة الغامرة.» (٢١) صفة أخرى من صفات الله هي الجمال، نحن نتحدث كثيرًا عن الجمال الذي في أمور الطبيعة، مثل جمال الغروب والزهور الجميلة أو الجبال الرائعة، وقد نصف شخصًا ما بأنه جميل، إلا أن الله هو المصدر اللانهائي لكل أنواع الجمال. فإن الذي خلق كل هذا الجمال من حولنا لابد وأنه يفوق الجمال جمالًا، فكل هذا الجمال الذي نراه أو نختبره ليس إلا انعكاسًا لله، فهو الجميل فوق كل المقاييس. يقول سام ستورمز Sam Storms: «إن الله وحده هو الجميل بالمعنى المطلق وغير المشروط.» (٢٢)

كتب نورمان جيسلر Norman Geisler في كتاباته في علم اللاهوت النظامي يقول: «إن الله جميل، فهو في حقيقة الأمر المعيار النهائي لكل أشكال الجمال، فكل ما هو جميل يكون جميلًا بسبب أنه يُشبهه. لكل جمال نظام ووحدة، والله أيضًا هو مصدر النظام والوحدة، وبالتالي فإن الله هو مصدر كل جمال. عندما نرى الله كما هو، سنرى الجمال - الجمال المطلق واللامتناهي والنقي - كما هو بحق.» (٢٣)

إن مجد الله من الصفات الأخيرة التي سنتحدث عنها، فقد أظهر الله مجده بعض الأحيان، كان ذلك في صورة سحاب أو في صورة نور شديد

قد يُصيب الإنسان بالعمى، فعندما تقابل بولس مع يسوع في طريقه إلى دمشق، أُصيب بالعمى من جراء ضوء أقوى من ضوء الشمس. قد يتجادل الناس حول ما إذا كان «المجد» ينتسب إلى الله، فقد كتب جيمس موير James Muir قائلاً: «عندما كنت أدرس الحقائق الكتابية منذ عدة سنوات، أدركت أن مجد الله بمثابة مادة حقيقية تخصه، فأدركت أن المجد في حد ذاته صفة من صفات الله، واستخلصت أيضًا أن مجد الله هو الصفة الوحيدة المرئية بعيون الناس؛ نحن لا نرى الأبدية والأزلية وكلية القدرة والقداسة والنعمة وغيرها من الصفات، إلا أن العين البشرية تستطيع أن ترى نور مجد الله، فهو يحيط بعرشه.» (٢٤)

لا يُمكن لأجسادنا وأرواحنا في حالتها الراهنة هذه أن تطبق رؤية مجد الله كاملاً. فقد طلب موسى أن يرى مجد الله، إلا أن الله كان مختبئاً، فتمكن موسى من رؤية طرف مجده بينما كان يمر. وبينما كان يسوع على الأرض كان مجده مُغطى، إلا أن الوقت سيأتي عندما نرى مجد الله، فحينها ستبدو كل الأشياء الأخرى التي رأيناها كلا شيء.

كلما عرفنا عن الله كلما ازدادت رغبتنا في معرفته أكثر وكلما أدركنا صغر حجم ما نعرفه. أيضًا كلما عرفنا عن الله كلما ازدادت رغبتنا في إخبار الآخرين عن عظمته وكلما سبحنا له مجدًا. إلا أننا لا نعرف كيف نُخبر عن عظمة الله بصورة كافية، فهو أعظم مما يُمكن أن تعبّر عنه كلمات البشر. إن أفضل كتابات اللاهوتيين عبر العصور، وأفضل التسابيح عبر العصور وأفضل الرسومات عبر التاريخ، تفشل في تصوّر مجد الله، فهي تعطي فقط لمحة وبعض التعبيرات

الصغيرة عن عظمتها الساحرة. يُعبّر روبرت موري Robert Morei بصورة جيدة عن هذه الحقيقة بالكلمات التالية: «إن الله هو الله لأنه يختلف بصورة فائقة عن العالم؛ يختلف عنّا كمّا ونوعاً، فالله لا يُحد أو يفنى أو يقاس، إن شخصه ووجوده وقوته وعلمه السابق وصفاته الأخلاقية ومجده، كل هذا لا نهاية له أو حدود أو محدودية. فلا يستطيع أحدًا أن يجد نقطة نهاية لله.» (٢٥)

لابد أن تتعجب قلوبنا عندما نتأمل الله، فليس هناك مَنْ أعظم منه. تقول كلمات أف بي ماير F. B. Meyer: «إنه الإله غير المحدود، والزمن بكل عصوره ليس إلا لحظة من لحظة في أبديته! والفضاء الذي يقف وراء ارتفاع أجنحة الملائكة، ليس إلا ركنًا في مكان مسكنه. والمادة بكل كتلتها الثقيلة ليست سوى قليل من الغبار الذي لن يؤثر على مستوى الميزان! وتلك الشمس الجبارة التي هي مركز كل العوالم ليست إلا ذرة تطفو في شعاع كيانه! وكل حكمة الإنسان مجتمعة وتلك المخزّنة في مكتبات العالم، ليست إلا ضوء ضئيل بالمقارنة مع ضوء حكمته.» (٢٦)

دعنا نتأمل عظمة الإله الحي! وليتنا نتغنى بعظمته! وليتنا أيضًا نسير على خطى رجال وسيدات الإيمان الذين عاشوا في ضوء عظمته! فالعبادة هي الاستجابة المناسبة الوحيدة لهذا الإله العظيم.

«سبحوا الملك يا ذوي الأمجاد فوق،

وغنوا بحمد لمحبتة العجيبة،

فهو حصننا وناصرنا، هذا القديم الأيام،

فأجنحة تغطيه بمجد وبحمد هو مُسَبِّحُ.
أخبروا بعظمته وغنوا لنعمته،
متسربلاً بالنور وظله هو الوجود!
مركباته كزوبعة تشكل الرعود،
والظلام هو طريقه على أجنحة الريح.
أما بني التراب فهم ضعفاء ضعفاء،
إلا أننا نثق فيك، فأنت لا تعيب،
فكم حلوة رحمتك، وكم هي قوية حتى النهاية،
فأنت جابلنا وناصرنا وفاديننا وخليلنا.» (٢٧)

الفصل الثالث

مُخْلَصٌ تَتَغَنَّى بِهِ

تتباين ردود الأفعال اليوم عند ذِكر اسم يسوع، فهناك من لا يرغبون في سماع أي شيء عنه، وهناك من يظن أنه شخص قديم الطراز ولا يصلح لوقتنا هذا، بينما هناك أيضًا من يظن أنه شخص يُغضب الناس بسبب أفكاره الخاصة، إلا أن هناك الكثيرين حول العالم الذين يتبعونه، فهؤلاء يعيشون له ولهم علاقة معه، وهؤلاء أيضًا ستكون حياتهم فارغة وبلا معنى بدونه، وهناك عددًا لا يُحصى ممن قدموا حياتهم لأجله، مثل اسطفانوس الذي هو أول شهيد في المسيحية، فهؤلاء لم يستطيعوا أن ينكروا يسوع حتى عندما واجهوا الموت.

فَمَنْ هو هذا الشخص الذي له مثل هذا التأثير الكبير على حياة الكثيرين؟ وَمَنْ هو هذا الشخص الذي يُحاربه الكثيرون؟ وَمَنْ هو هذا الشخص الذي يعبده ويوقره العديد من المؤمنين؟ إنه يسوع المسيح، رب الكل ومخلص العالم وابن الإنسان وابن الله؛ عمانوئيل الذي تفسيره «الله معنا».

إنه لأمر مذهل أن يبدأ الكثير من اليهود - وهم لديهم معتقدات توحيدية قوية - في عبادة يسوع المسيح؛ وأن يؤمنوا أنه الله الظاهر في الجسد، إلا أن هذا ما حدث. فكلما سمع التلاميذ الأوائل تعاليم يسوع ورأوا صنائعه، كلما اقتنعوا بألوهيته. كان يسوع يبدو كأَي رجل عادي في زمانه، فلم يكن

هناك ما يميزه من حيث الهيئة؛ لم يكن هناك نوراً يشع من وجهه، ولم يكن على جبينه كتابات توحى بشخصه، ولم يُخبرنا الكتاب المقدس كيف كان يبدو يسوع، فمكتوب «لا صورةَ له ولا جَمالَ فننظرُ إليه، ولا منظرَ فنشتهيهِ» (إشعيا ٥٣: ٢).

فما هي بعض الأشياء التي كانت تميّزه؟ بإمكان الذين يعرفون نبوات العهد القديم أن يروا تحقيقها المذهل في يسوع. فقد قال النبي منذ مئات السنين قبل ميلاده أنه سيولد في بيت لحم، وقالت النبوات أيضاً أنه سيخرج من مصر وأنه سيُرفض من الناس وسيُصلب ويُقوم من الأموات، وقد ذكر الكتاب المقدس أنه سيتم خيانة يسوع مقابل ثلاثين من الفضة. عندما تقرأ مزمور ٢٢ وهو الذي كُتب قبل أن يُولد يسوع بمئات السنين، تشعر أنك تقف تحت صليب يسوع، فيقول عدد ١٨ أن الناس سيقسمون ثيابه ويلقون عليها قرعة، وهذا ما فعله الجنود الرومان.

هناك أيضاً نبوات أخرى تحققت في يسوع. إن احتمالات تنبؤ نبي ما بأمر واحد بدقة، هي احتمالات متناهية الصغر، فلكي يكون هناك نبوة دقيقة، سنحتاج أن نضع العديد من الأصفار أمام رقمين أو ثلاثة وذلك لنصل للاحتتمالات، ولكي نخمن بدقة كل النبوات سيكون احتمالات تحقيقها بالأمر شبه المستحيل، لكن يُمكننا أن ندرس النبوات التي تحققت بصورة حرفية في مجيء يسوع وحينها سنعرف من هو.

أمر آخر يُميّز يسوع هو الطريقة التي كان يُعلّم بها وأيضاً التعاليم التي قدمها، فهو لم يُعلّم مثل المعلمين الآخرين. استخدم المعلمين الآخرين سلطان آخر يَمكنهم من إثبات تعاليمهم، فكان لابد لهم أن يقولوا «إني أعتقد أن هذا

حق»، أو يستخدموا سلطان معلمين قدامى، لكن يسوع كان يتكلم بسلطان ولم يحتاج سلطان المعلمين الآخرين، وبإمكاننا أن نرى هذا في الموعظة على الجبل، فكثيرًا ما قال يسوع: «قَدْ سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ لِلْقَدَمَاءِ ... وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ» (متى ٥: ٢٧-٢٨). لم يقل يسوع مرة واحدة «من المحتمل» أو «ربما» أو «قد يكون»، ولم يقل أبدًا «سأحتاج أن أستشير شخصًا آخرًا» أو «سأحتاج أن أبحث في هذا الأمر».

توضح ردود أفعال الناس تجاه تعاليم يسوع إدراكهم لهويته، فيقول الكتاب: «فَلَمَّا اكْمَلَ يَسُوعُ هَذِهِ الْأَقْوَالَ بُهَتَتِ الْجُمُوعُ مِنْ تَعْلِيمِهِ، أَنَّهُ كَانَ يُعَلِّمُهُمْ كَمَنْ لَهُ سُلْطَانٌ وَلَيْسَ كَالْكَتَبَةِ» (متى ٧: ٢٨ - ٢٩). فلم يسبق لهم أن سمعوا من يتكلم بالأمور التي علّمها يسوع، ولم يسمعوا أبدًا من يُعَلِّم بهذا الأسلوب، فكانوا يندهشون تمامًا.

لم يذهب يسوع إلى أشهر المدارس، ولم يتلقى التعاليم التي تلقاها المعلمون من حوله، ومع ذلك كان يتحدث بسلطان وبوضوح وبحق، وهذا لغز تفسره إجابة واحدة، وهو أن يسوع كان معلمًا تلقى تعاليمه في مجامع السماء، فتعجب غير المؤمنين وقالوا: «كَيْفَ هَذَا يَعْرِفُ الْكُتُبَ، وَهُوَ لَمْ يَتَعَلَّمْ؟» (يوحنا ٧: ١٥)، وحتى المقاومين له تكلموا بالحق حينما قالوا: «لَمْ يَتَكَلَّمْ قَطُّ إِنْسَانٌ هَكَذَا مِثْلَ هَذَا الْإِنْسَانِ!» (يوحنا ٧: ٤٦).

عندما نأتي لسؤال «من هو يسوع؟» نجد أن تعاليم يسوع بمثابة رسم تصويري. قال يسوع أمورًا لم ولن يتمكن أي إنسان عادي من قولها، إن قال إنسان عن يسوع ما قاله هو عن ذاته سيكون مختلًا عقليًا، إذا لم يكن

صحيحًا. إذا لم تكن ادعاءات يسوع بالأمر الصحيح، لكان من أعظم الكاذبين الذين عاشوا. اعتبر اليهود إبراهيم أبًا لهم، وكانوا يؤمنون أنهم ورثة وعد إبراهيم، وقد عاش إبراهيم قبل ميلاد المسيح بحوالي ألفين عامًا، فلك أن تتخيل دهشة اليهود عندما قال يسوع: «أَبُوكُمْ إِبْرَاهِيمُ تَهَلَّلْ بِأَنْ يَرَى يَوْمِي فَرَأَى وَفَرِحَ» (يوحنا ٨: ٥٦). فيوضح يسوع هنا أنه كان كائنًا قبل أن يأتي إلى العالم، ونحن نُسَمي هذا بوجوده السابق، فلم تكن بيت لحم بدايته، بل كانت ببساطة نقطة دخوله للعالم.

تابع يسوع حديثه مع اليهود بأن قال أمرًا قد أثارهم وبشدة حيث قال: «الْحَقُّ الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: قَبْلَ أَنْ يَكُونَ إِبْرَاهِيمُ أَنَا كَائِنٌ» (يوحنا ٨: ٥٨)، يقول الكتاب المقدس أنهم بعد أن سمعوا يسوع يقول هذا رفعوا حجارة ليرجموه، إلا أن يسوع اختفى وخرج من الهيكل. فما الذي أثار غضبهم بهذه الصورة وجعل رد فعلهم عنيفًا لهذه الدرجة؟ إن الذي أثار غضبهم هو ادعاء يسوع؛ لم يقل يسوع فقط أنه كان قبل إبراهيم، بل قال بوضوح إنه الله، فالله اسمه «أنا هو». عندما سأل موسى الله عن اسمه، قال له «أهيه الذي أهيه»، يعني هذا التعبير أنه الله القائم بذاته والذي لا يعتمد على أحد، فهو الله الأزلي، وقد استخدم يسوع هذا التعبير عن ذاته، ولهذا أرادوا قتله، فهم رأوا أن يسوع قد دخل التوحيد الإلهي، وهذا يُعتبر تجديف، أي أن يدَّعي أحد أنه الله!

لم تكن هذه المرة الوحيدة التي يتحدث فيها الكتاب المقدس عن يسوع باعتباره الله، فبعد القيامة ظهر يسوع لتلاميذه عدة مرات، وتشكك توما

فيما قاله التلاميذ عن يسوع، إلا أنه عندما رأى المسيح المقام من الموت لأجله كان تعبيره «رَبِّي وَإِلَهِي» (يوحنا ٢٠: ٢٨). نجد في سفر الرؤيا أن التعبيرات التي استخدمها العهد القديم عن الله قد أُستُخدمت عن يسوع، ومن هذه التعبيرات نجد تعبير «الأول والآخر»، فكانت كلمات يسوع في آخر فصل من فصول الكتاب المقدس «أَنَا الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ، الْبَدَايَةُ وَالنَّهَايَةُ، الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ» (رؤيا ٢٢: ١٣). وقال يسوع ذات الشيء عندما رآه يوحنا في بطمس، فقد سقط يوحنا عند رجليه كमित وكان قول يسوع له «لَا تَخَفْ، أَنَا هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ، وَالْحَيُّ. وَكُنْتُ مَيِّتًا، وَهَآ أَنَا حَيٌّ إِلَى أَبَدِ الْأَبَدِينَ! آمِينَ. وَلِي مَفَاتِيحُ الْهَلَاوِيَّةِ وَالْمَوْتِ» (رؤيا ١: ١٧-١٨). قارن ما قاله يسوع عن ذاته بتلك الكلمات التي ذُكرت عن الله في العهد القديم، حيث يقول: «هَكَذَا يَقُولُ الرَّبُّ مَلِكُ إِسْرَائِيلَ وَقَادِيهِ، رَبُّ الْجُنُودِ: «أَنَا الْأَوَّلُ وَأَنَا الْآخِرُ، وَلَا إِلَهَ غَيْرِي»» (إشعياء ٤٤: ٦).

مَنْ يستطيع أن يقول هذه التصريحات عن ذاته مثلما فعل يسوع؟ لكي يقولها أي شخص آخر سنعرف على الفور أنها غير حقيقية، لكن تلك التصريحات تتناسب وبشدة مع شخصية يسوع وأفعاله، فهو الذي قال عن ذاته: «أنا هو الراعي الصالح»، «أنا هو خبز الحياة»، «أنا هو القيامة والحياة»، «أنا هو الطريق والحق والحياة»، «أنا هو الباب»، «أنا هو نور العالم»، «أنا هو ماء الحياة». سيُعرف أي إنسان مُفَكِّر أن ما يقوله يسوع هذا أكثر جدًّا مما يُمكن أن يقوله أي إنسان، فيسوع هو إله كامل، وهو لم يتحول ليصبح إلهًا، وعندما كان على الأرض لم يتوقف للحظة عن كونه الله.

عندما كان يسوع على الأرض كانت صفاته الإلهية محجوبة، فلم يتمكن أحد من رؤية الإعلان الكامل عن ذاته الإلهية هنا على الأرض، وقد عبّر بولس الرسول عن ذلك بقوله: «الَّذِي إِذْ كَانَ فِي صُورَةِ اللَّهِ، لَمْ يَحْسِبْ خُلْسَةً أَنْ يَكُونَ مُعَادِلًا لِلَّهِ. لَكِنَّهُ أَخْلَى نَفْسَهُ، أَخَذًا صُورَةَ عَبْدٍ، صَائِرًا فِي شِبْهِ النَّاسِ. وَإِذْ وُجِدَ فِي الْهَيْئَةِ كَانِسَانٍ، وَضَعَ نَفْسَهُ وَأَطَاعَ حَتَّى الْمَوْتِ مَوْتَ الصَّلِيبِ» (فيلبي ٢: ٦-٨). قال دوايت جاي بينتيكوست Dwight J. Pentecost: «إذا ظهر مجد المسيح الأبدي والكامل عندما كان على الأرض دون أن يكون محجوبًا، لما نال العالم الخلاص بمجيء المسيح، بل لكان قد تدمر بسبب لمعان مجده.»^(١)

تساعدنا معجزات يسوع في فهم السؤال الذي يدور حول من هو يسوع. فلا يتعلق الأمر فقط بما فعله من معجزات بل بالأحرى بالأسلوب الذي أتم به هذه المعجزات. يُسمى يوحنا المعجزات «آيات»؛ فهي بمثابة علامات تُخبرنا من هو يسوع وهي أيضًا تُظهر غرضه ومحبته، فكانت تنبؤات بما سيفعله أخيرًا عندما يتم فداء كل الخليقة، وعندما تختفي الأسقام، وعندما يسود الموت، يقول الكتاب: «هَذِهِ بَدَايَةُ الْآيَاتِ فَعَلَهَا يَسُوعُ فِي قَانَا الْجَلِيلِ، وَأَظْهَرَ مَجْدَهُ، فَأَمَنَ بِهِ تَلَامِيذُهُ.» (يوحنا ٢: ١١). فكانت العلامات بمثابة إعلانات للتلاميذ وقد آمنوا به.

إن قيامة يسوع من الموت تجعله منفردًا عن الجميع، فيمكننا أن نسمى القيامة بكونها معجزة المعجزات، بقيامه يسوع أثبت كل ما قاله عن ذاته، وقد أدرك بولس هذا الأمر جيدًا عندما كتب يقول: «وَتَعَيَّنَ ابْنُ اللَّهِ بِقُوَّةٍ مِنْ

جِهَةِ رُوحِ الْقَدَاسَةِ، بِالْقِيَامَةِ مِنَ الْأَمْوَاتِ: يَسُوعَ الْمَسِيحِ رَبَّنَا. (رومية ١: ٤)، كتب وليام هيندريكس William Hendricks تعليقًا على هذا يقول: «إن قيامة المسيح من الموت هي أعلى فعل في الدراما التاريخية الإلهية، فينبغي تسويتها بعمل الله الأصلي ألا وهو خلق العالم وأيضًا تسويتها بعمل الله النهائي الذي هو تغيير العالم.»^(٢)

عندما نتحدث عن ألوهية يسوع فقط نحن لا نجيب عن التساؤل حول شخصية يسوع. هذا الأمر حقيقي، فيسوع أصبح إنسانًا عندما وُلد بصورة معجزية بقوة الروح القدس، فلم يكن له أبًا أرضيًا، بل وُلد من مريم، ونحن نُسمى هذا بالميلاد العذراوي. كتب آر جي لي R.G. Lee يقول: «لقد أصبح يسوع وهو القديم الأيام طفلًا يبلغ من العمر بضعة أيام - أي طفلًا يبلغ عمر أبيه السماوي وعمره أكبر من عمر أمه مريم.»^(٣) فالذي خلق هذا العالم الواسع دخل رحم امرأة ووُلد على كوكب صغير بحجم بقعة من التراب في السماء، والذي خلق كل ما هو جميل وحسن دخل مكانًا مظلمًا من العصيان في هيئة طفل لا حول له ولا قوة. يؤكد جاي سيدلو باكستر J. Sidlow Baxter إن هذا كان تجسّد حقيقي فيقول: «اندмجت الطبيعة البشرية مع الطبيعة الإلهية! وليس هناك أمرًا مصطنعًا عن التجسّد، فلم يكن الأمر ببساطة أن الله اتخذ جسدًا بشريًا، فهذا لن يكون أكثر من مجرد تجلي، ولم يكن الأمر أيضًا أن الله قد احتكر - كما لم يفعل سابقًا - ذاتًا إنسانية، فهذا لن يكون أكثر من كونه تراكب نفسي جسدي. ولم يكن الأمر أيضًا أن الله الابن اتخذ فقط الهيئة الإنسانية - أي تجسّد ظاهري فقط - فليس الأمر كذلك لأن يسوع وُلد من أم بشرية.»^(٤) فقد كبر يسوع كما

يكبر الأطفال الآخرين، وتعلم مثلهم تمامًا، ولا يُخبرنا الكتاب الكثير عن حياة يسوع الطفل، فلم يكن هناك أمرًا غريبًا يميّزه عن باقي الأطفال، فيذكر الكتاب المقدس عندما كان يبلغ يسوع اثني عشر عامًا وذهب إلى أورشليم مع والديه الذين لاحظا غيابه وهما في طريقهما إلى بيتهما فعادا مرة أخرى إلى أورشليم حيث وجداه في الهيكل، فكان يطرح أسئلة على المعلمين هناك ويجب أسئلتهم. ورد يسوع على والديه بهذا التعبير الذي هو بمثابة إعلان حيث قال: «لِمَاذَا كُنْتُمَا تَطْلُبَانِي؟ أَلَمْ تَعْلَمَا أَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ أَكُونَ فِي مَآ لَأَي؟» (لوقا ٢: ٤٩).

تُسمى السنوات التي تلي بالسنوات الصامتة، فلا يُذكر أي شيء عن يسوع منذ حادثة الهيكل هذه حتى بلوغه الثلاثين من عمره، فلا بد أن هذه الفترة كانت بمثابة سنوات تحضير لعمله، سنوات من الشراكة مع أبيه السماوي، وأيضًا سنوات عمَل فيها يسوع الأعمال الحياتية التقليدية والبسيطة، فمن الواضح أن يسوع عمل مع يوسف في حرفة النجارة، فالذي خلق الأشجار كان يستخدم يديه ليصنع أشياء من الأشجار!

والذي خلق العالمين بكلمة فمه كان يستخدم المطرقة ليصنع أشياء!

لماذا تبلغ إنسانية يسوع بهذا القدر من الأهمية؟ لا يُمكن أن نفهم حياة يسوع إلى أن نعرف هذا الحق، الذي هو أن يسوع لم يكن يضع قناع الإنسان، بل قد اتخذ دَمًا حقيقيًا ولحمًا حقيقيًا؛ بكى مثل باقي الأطفال ورضع وهما مثلهم. أظهر لنا يسوع كيف ينبغي أن يكون الإنسان، فالله خلق الإنسان ليكون له علاقة مع الله، فكان يسوع رجل صلاة، وكان كثيرًا ما يختلي ليقضي وقتًا مع أبيه السماوي.

لقد أتى يسوع ليُظهر لنا الله الآب، فقد سبق وأرسل الله الأنبياء الذين أعلنوا الحق، وأرسل في بعض الأحيان ملائكة ليتدخلوا في التاريخ البشري، إلا أنه لكي يُظهر ذاته أكثر لنا أرسل ابنه يسوع المسيح. قال يسوع: «أَنَا هُوَ الطَّرِيقُ وَالْحَقُّ وَالْحَيَاةُ. لَيْسَ أَحَدٌ يَأْتِي إِلَى الْآبِ إِلَّا بِي. لَوْ كُنْتُمْ قَدْ عَرَفْتُمُونِي لَعَرَفْتُمْ أَبِي أَيْضًا. وَمَنْ الْآنَ تَعْرِفُونَهُ وَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ» (يوحنا ١٤: ٦ - ٧). لقد علّمنا يسوع أن نفكر في الله باعتباره أبينا، فهو كان يدعو أبيه آبا التي تعني «أبي» أو «بابا». أراد يسوع أن نعرف الله بصورة شخصية وقرية. قد يكون الآباء الأرضيين مصدرًا لمشاعر سلبية عن كيف لابد أن يكون الأب. هؤلاء ليسوا نموذجًا للآب السماوي، فهم قد يُظهرون بعض الأمور التي هي موجودة في الله، إلا أن الله أعظم بكثير من أي أب أرضي ومن كل الآباء الأرضيين مجتمعين.

لقد فشل آدم الإنسان الأول عندما عصى الله وذهب في طريقه، وأدى فعله هذا إلى سقوط الجنس البشري بأكمله وكل الطبيعة أيضًا، فإن الدمار الذي نراه في الطبيعة من حولنا وكذلك الانحلال الذي نراه في المجتمع والحياة البشرية، نتج من سقوط الإنسان. ليس علينا أن نقرأ الكتاب المقدس لنعرف عن فساد الإنسان، فيمكنك فقط قراءة الجرائد أو الاستماع إلى الأخبار في التلفاز، ستجد أنه عبر كل العصور لم يتغير قلب الإنسان - فهو في تمرد دائم ضد الله.

كان هذا سبب مجيء يسوع، فقد أتى لينقذ الإنسان، ولا يُمكن فعل هذا إلا بآدم آخر، آدم كامل، آدم أخير. فقد سقط آدم الأول عندما جربه الشيطان، إلا أن يسوع عندما جربه الشيطان أطاع الله، فلم يحدث أن

يسوع انحرف عن إرادة الله الآب، بل فعل كل ما أَرادَه الله الآب أن يفعل، ولم يكن فيه خطية؛ فلم يخطئ في فكر أو في كلمة أو في فعل. غالبًا ما يعرف الناس المقربون منا بأخطائنا، إلا أن تلاميذ يسوع قضاوا معه ثلاث سنوات ليلاً ونهارًا وشهادتهم مُتفق عليها منهم جميعًا، فلم يجدوا فيه علة واحدة. مَنْ منا يجرو أن يسأل السؤال الذي سألَه يسوع «من منكم يستطيع أن يشير إلى إثم واحد في؟» (ترجمة الكاتب). لم يطلب يسوع أبدًا غفرانًا وعلم التلاميذ كيف يصلون، لكنه لم يصلي أبدًا طلبًا لمغفرة ولم يطلب من أحد أن يسامحه على فعل ما، وذلك لأن يسوع ليس فيه خطية.

يُمكن فقط لإنسان كامل أن يعلّق بدلًا منا على عود الصليب. من الصعب علينا أن نتخيل كيف كان الأمر بالنسبة ليسوع أن يموت بدلًا من خطاة، فيسوع لم يكن له خطية واحدة، إلا أنه قد وُضع عليه إثم جميعنا. فكّر في كل الخطايا البشعة التي حدثت على مر التاريخ، يسوع قد حمل هذه الخطايا طواعية بدلًا منا. يرى بعض الناس عندما ينظرون إلى الصليب، تنفيذاً لحكم بالإعدام، ويرى البعض الآخر مثالاً للمحبة، إلا أن ما حدث على عود الصليب كان أكبر من هذا، فهناك حمل يسوع خطايانا وأخذ مكاننا، فهو مات الموت الذي كان محكوم عليك وعليّ، فإن أجرة الخطية هي الموت ويسوع حمل هذه الأجرة. ليتك تتأمل في هذه الكلمات التي تقول: «لأنَّهُ جَعَلَ الَّذِي لَمْ يَعْرِفْ خَطِيئَةً، خَطِيئَةً لَأَجْلِنَا، لِنَصِيرَ نَحْنُ بِرًّا لِلَّهِ فِيهِ.» (كورنثوس الثانية ٥: ٢١).

لقد حمل يسوع كل خطايانا على عود الصليب، فهو كان حَمَل الله الكامل، فكل ذبائح العهد القديم تُشير إليه، أما الآن فإن الذبيحة الكاملة الوحيدة قد

قُدِّمَتْ لِلَّهِ الْقُدُوسِ، وَصَرَخَ يَسُوعُ بِصَوْتٍ عَالٍ قَائِلًا «قَدْ أَكْمَلْتُ»، فَلَا نَحْتَاجُ إِلَى تَقْدِيمِ ذَبَائِحٍ أُخْرَى لَخَطَايَانَا، لَيْسَ عَلَى الْإِطْلَاقِ، فَقَدْ تَحَقَّقَتْ كُلُّ الذَّبَائِحِ الْقَدِيمَةِ فِي يَسُوعِ. وَقَدْ اتَّضَحَ هَذَا الْأَمْرُ جَلِيًّا عِنْدَمَا انْشَقَّ حِجَابُ الْهَيْكَلِ. وَعِنْدَمَا صَعَدَ يَسُوعُ إِلَى السَّمَاءِ وَجَلَسَ عَنْ يَمِينِ الْآبِ، كَانَ هَذَا بِمَثَابَةِ الْقَوْلِ بِأَنْ ذَبِيحَتَهُ قَدْ قُبِلَتْ، فَنَحْنُ الْآنَ مُقْبُولِينَ عَلَى حَسَابِ مَا فَعَلَهُ الْمَسِيحُ لَنَا.

كَيْفَ سَيَكُونُ الْأَمْرُ لِشَخْصٍ مَا طَالَمَا كَانَ يَتَمَتَّعُ بِصِحَّةٍ جَيِّدَةٍ وَلَمْ يَخْتَبِرْ يَوْمًا أَيَّةَ جَرَائِمٍ مَرْضِيَّةٍ فِي جَسَدِهِ؟ كَيْفَ سَيَكُونُ الْأَمْرُ لَهُ إِذَا أَخَذَ طَوَاعِيَةً فَيَرُوسًا فِي جَسَدِهِ سَيَنْهِي حَيَاتِهِ، وَذَلِكَ لَغَرَضِ تَطْوِيرِ طَعْمٍ بِإِمْكَانِهِ إِنْقَازَ الْعَدِيدِ مِنَ النَّاسِ مِنْ مَوْتٍ مُحْتَمٍّ؟ عَلَّقَى بُولُسُ قَائِلًا إِنَّهُ مِنَ الْمُمْكِنِ أَنْ يَمُوتَ أَحَدٌ مِنْ أَجْلِ إِنْسَانٍ بَارٍ، وَأَشَارَ أَنَّ يَسُوعَ قَدْ مَاتَ لِأَجْلِ فُجَّارٍ كَانُوا يَقَاوِمُونَهُ، وَمَاتَ أَيْضًا مِنْ أَجْلِ أَعْدَائِهِ. فَإِنَّ الْآبَ الْبَشَرِيَّ قَدْ يَتَبَرَّعُ بِبَعْضٍ مِنْ أَعْضَاءِهِ لِابْنِهِ حَتَّى يَنْقِذَهُ، وَقَدْ يَمُوتُ مِنْ أَجْلِهِ، لَكِنَّ الْمَسِيحَ قَدْ مَاتَ لِأَجْلِ خَطَاةِ أَدْنِيَاءٍ يَعِيشُونَ فِي حَظِيرَةِ الْخَنَازِيرِ.

إِنَّ يَسُوعَ هُوَ اللَّهُ وَإِنْسَانٌ فِي شَخْصٍ وَاحِدٍ، فَكَمَا أَنَّ يَسُوعَ لَمْ يَتَنَازَلَ عَنْ أُلُوهِيَّتِهِ عِنْدَمَا أَتَى إِلَى الْأَرْضِ، فَهُوَ لَمْ يَتْرِكْ طَبِيعَتَهُ الْبَشَرِيَّةَ عِنْدَمَا عَادَ إِلَى السَّمَاءِ. يُوَكِّدُ لَنَا الْكِتَابُ الْمُقَدَّسُ أَنَّ يَسُوعَ ذَاتَهُ سَيَعُودُ إِلَى عَالَمِنَا هَذَا، فَذَاتَ هَذَا الْإِلَهِ الْإِنْسَانِ سَيَعُودُ مَرَّةً أُخْرَى. فَطَبِيعَةُ يَسُوعِ الْآنَ فِي السَّمَاءِ اللَّهُ وَإِنْسَانٌ فِي شَخْصٍ وَاحِدٍ، فَهُوَ يَتَعَاطَفُ مَعَنَا بِالْكَامِلِ وَيَتَفَهَّمُ وَضْعَنَا بِالْكَامِلِ وَذَلِكَ لِأَنَّهُ أَصْبَحَ وَاحِدًا مَعَنَا، وَيَسُوعُ سَيَبْقَى هَكَذَا لِلْأَبَدِ، فَهُوَ عِمَّا نُؤَيِّلُ أَيُّ «اللَّهُ الظَّاهِرُ فِي الْجَسَدِ».

يتساءل بعض الناس لماذا صلى يسوع إذا كان هو أيضًا الله؟ وكيف قال إنه لم يعرف الموعود الذي سيعود فيه إذا كان هو الله؟ وكيف جُرب من الشيطان إذا كان هو الله؟ كتب واين جرودين Wayne Gruden ملاحظات مفيدة تخص العلاقة بين ألوهية يسوع وإنسانيته^(٥)، فيقول إن يسوع قد صنع بعض الأمور في إنسانيته، فهو صلى كإنسان، ولم يعرف زمن مجيئه كإنسان. هو بالطبع كان يعرف متى سيأتي وذلك باعتباره الله، وعندما مات يسوع على الصليب مات كإنسان، فهو كان بحق آدم الأخير، إلا أن الله لا يُمكن أن يموت، وأيضًا قد جُرب يسوع من الشيطان، إلا أن الله لا يُمكن أن يُجرب.

من الأفكار الهامة أيضًا التي أشار إليها جرودين Gruden في دراساته في اللاهوت النظامي هي أن ما تفعله طبيعة واحدة يفعله أيضًا يسوع^(٦)، فيقول أن يسوع قد قال أنه سيرحل وقال أيضًا أنه سيكون دائمًا معنا، فيُمكنه قول هذا الأمر لأنه ذات واحدة، حتى وإن كان لديه طبيعة إلهية وأخرى بشرية، أخيرًا يقول واين جرودين Wayne Gruden هذه الجملة التي تخص المسيح الذي أصبح شخصًا، فيقول: «إن هذه المعجزة هي الأكثر إثارة في الكتاب المقدس - فهي مثيرة أكثر من القيامة وأيضًا مثيرة أكثر من خلق الكون، حقيقة أن ذلك الأبدى الكلي القدرة، ابن الله غير المحدود، يصبح إنسانًا ويُقرن ذاته بطبيعة بشرية إلى الأبد. فقد أصبح هذا الإله غير المحدود شخصًا واحدًا مع إنسان محدود، ستبقى هذه المعجزة إلى الأبد هي الأكثر عمقًا وأيضًا ستبقى الأكثر غموضًا في كل العالم.»^(٧)

أكثر الأمور التي تُزعج الناس هي قول أن يسوع هو الطريق الوحيد للوصول إلى الله، لكن هذا ليس ما يُعلّمه الوعاظ، بل يسوع ذاته الذي قال:

«أنا هو الطريق والحق والحياة». لم يقل أنه واحدًا من عدة طرق وواحدًا من عدة حقائق وواحدًا من الطرق التي تؤدي للحياة الأبدية، بل قدم إعلان حصري خاص به. إذا تجاهلت هذا الإعلان هو بمثابة عدم إيمان منك، فإما يكون يسوع ما قاله عن نفسه، أو يكون شخصًا مخدوعًا ويخدع الآخرين.

ليس يسوع فقط رمزًا تاريخيًا بل هو أيضًا مُعاصر لنا، فهو المسيح الأبدي الذي يقول عنه الوحي: «أنه هو هو أمسًا واليوم وإلى الأبد»، فهو مسيح الماضي ومسيح الحاضر وأيضًا مسيح المستقبل. فكل من يعرفونه بصورة شخصية يعرفون أنه «الكل في الكل»، فهو كل شيء لنا؛ هو مخلصنا وربنا، ويومًا ما سنكون معه، وسنتعلم المزيد عنه إلى الأبد. جاءت هذه الكلمات التالية في كتاب كتبه ليونارد سويت Leonard Sweet وفرانك فيولا Frank Viola حيث كتب عن يسوع قائلين: «هناك في المسيح أكثر جدًّا مما يُمكن أن نتصوره، وفيه أيضًا الكثير الذي لم نعرفه أو نلمسه بعد، فلا يُمكن أبدًا أن ننتهي من معرفته. فالمسيح كبير جدًّا أكثر من استطاعة أي مجموعة بحثية في هذا الكون أن تبحث في ذرة صغيرة من عمقه اللانهائي، وهو لن يكبر في السن أو يعجز، فيسوع المسيح هو الوحيد في عالم الله الذي لا يضعف.»^(٨)

لقد تحدثنا سابقًا عن الذل الذي واجهه يسوع في مجيئه للأرض، إلا أنه لابد أن نعرف أن يسوع قد تَمَجَّدَ أيضًا. فاسمه فوق كل اسم، وهذا ما يذكره الوحي قائلاً: «لِكَيْ تَجْتَوُوا بِاسْمِ يَسُوعَ كُلُّ رُكْبَةٍ مِمَّنْ فِي السَّمَاءِ وَمَنْ عَلَى الْأَرْضِ وَمَنْ تَحْتَ الْأَرْضِ، وَيَعْتَزِّفَ كُلُّ لِسَانٍ أَنَّ يَسُوعَ الْمَسِيحَ هُوَ رَبٌّ لِمَجْدِ اللَّهِ الْآبِ» (فيلبي ٢: ١٠-١١). يوضح إيريك سوير Erich Sauer

تمجّد يسوع بهذه الطريقة حيث يقول: «في الحقيقة لا تمتلك كلمات البشر تعبيرًا مناسبًا، وذلك ببساطة لأن تعبيرات البشر ليست في مستوى ذلك الأمر الذي تعبّر عنه، وبالتالي فقد اخترع بولس تعبيرًا جديدًا حينما قال أن الله لم يُمجّد يسوع فقط بل قد «مجده جدًّا»، فلا يُضاهي تمجيد الله ليسوع أي تمجيد آخر، فكل الجبال ما هي إلا سهول مقارنة بقمة هذه السلسلة الجبلية العالية التي «مجّد» الله بعلوها يسوع، فكل الأمور العظيمة هي لا شيء مقارنة بعظمة يسوع.»^(٩)

لقد عبّر روبرت جي لي Robert G. lee عن يسوع وحياته بهذا التعبير الجميل حيث قال: «لقد كانت حياة يسوع على الأرض بمثابة سجلّ رائعًا عن الصلاح - الصلاح الذي يُضيء في كل التعبيرات، صلاح يقترح أفكارًا صالحة، صلاح يكلل الأفعال، وصلاح يُغطي الكلمات، فكانت حياة يسوع - بلا شك - حياة عطرة، كانت فيضًا غزيرًا من اللطف، إثارة لمشاعر غير معروفة ونطقًا بكلمات غير منطوقة»، يقول أيضًا «يسوع اسمه يزهر في صفحات التاريخ بعدد زهور ألف ربيع في باقة واحدة! يسوع اسمه يُضوي في ممر العصور مثل موسيقى كل الجوقات المرئية وغير المرئية مجتمعة في نشيد واحد.»^(١٠)

ما يمكن أن يقوله المؤمن أكثر من تعبير تشارلز هادون سبيرجيون Charles Haddon Spurgeon الذي قال: «نراه في النهار أو في الليل، في الزحام أو عند الانفراد، في أيام الحزن أو أيام الفرح. يسوع إلهنا لديه كل أشكال اللطف المختلفة اندمجت في شخص كامل ولطيف، فكل أشكال الكمال اجتمعت لتصور كمالًا واحدًا، وكل أشكال الجمال امتزجت لتشكّل جمالًا واحدًا

كاملاً»^(١١) لقد عُرف صموئيل روثرفورد Samuel Rutherford بالخطابات التي كتبها لأناس مختلفين، فكان يبدو في الأوقات التي يتحدث فيها عن المخلص أنه في عالم سماوي، فيقول: «إذا اجتمعت السماء والأرض، ومعهما عشرة آلاف سماء أخرى (حول هذه السماوات الموجودة بالفعل) في حديقة واحدة من حدائق الجنة التي تتزين بكل الأزهار والورود والأشجار البديعة التي لا يُمكن إلا أن تخرج من فن القدير ذاته، فنظرة واحدة إليه ورؤية واحدة له وتذوق لمرة منه، ورائحة واحدة من ألوهيته العذبة، سيفوق بكل تأكيد رائحة ولون وجمال تلك الجنة بحلوها الذي فيها»^(١٢)

فلا عجب إذاً أننا نُسَبِّح الله، فيسوع هو سبب أغانيها. هناك جماهير كثيرة يسبحون يسوع ربنا ومخلصنا، سواء كانوا مستقلقين تحت شجر أو يقفون أمام محلات أو في السجن أو في مخابئ أو في الكاتدرائيات الخلابية، وهناك الكثيرون أيضاً الذين يترغمون من قلوبهم بتلك الترنيمة الآتية التي تُدعى «يسوع هو العالم لي»:

«يسوع هو العالم بالنسبة لي، هو الحياة والفرح وكل شيء،

هو أيضاً قوتي يوماً بعد يوم، فبدونه سأفشل.

في حزني أذهب إليه، فليس من يسعدني سواه،

ففي حزني هو يُبهجني، فهو صديقي.

يسوع هو العالم بالنسبة لي، لن أحتاج لسواه،

فأنا أثق فيه الآن، وسأظل أثق فيه حتى عندما تمضي أيام هذه الحياة.
فالحياة جميلة مع مثل هذا الصديق، جميلة تلك الحياة التي بلا نهاية،
حياة أبدية، فرح أبدي، هو صديقي.» (١٣)

الفصل الرابع

مُشِيرٌ نَتَغْنَى بِهِ

أحيانًا يُسمى الروح القدس الأَقْنوم الصامت في الثالوث، وهذا أمر حقيقي لأنه غالبًا ما يعمل بصمت وبطريقة غير معروفة لنا. هو يُجَدِّد يسوع، فحينما يتحدث الناس عن يسوع ويُجدونه، تأكّد أن الروح القدس موجود. يقول جاك ماك جورمان MacGorman Jack: «يُشير الروح القدس إلى يسوع، وذلك قبل وبعد توبة الإنسان، فهو لا يُشير بعيدًا عن يسوع، عن ذاته مثلاً، فهناك ميلاد ثاني في العهد الجديد وليس هناك ميلاد ثالث!»^(١) إلا أنه من المعروف أيضًا أن الروح القدس يتعامل بجرأة وعلانية كما نرى في سفر أعمال الرسل.

يُشير دابليو إيه براتني W. A. Pratney أن هناك ٢٦١ ذِكْرًا عن الروح القدس في العهد الجديد، وتقسيمهم كالتالي: ٥٦ مرة في الأناجيل و٥٧ مرة في سفر أعمال الرسل و١١٢ مرة في رسائل بولس الرسول و٣٦ مرة في أسفار أخرى، فيما عدا رسائل فليمون ويوحنا الأولى والثانية. ويُشير أيضًا أن هناك ذِكْرًا للروح القدس في ٢٢ سفرًا من أصل ٣٩ سفرًا في العهد القديم.^(٢) ويقول أن الروح القدس يرتبط بكلاً من الخليقة والفداء.

هناك اتجاهان يختلفان عن بعضهما البعض فيما يتعلق بالروح القدس، يقول الاتجاه الأول أن نتجاهل الروح القدس، وظهر هذا الفكر بسبب

التجاوزات التي أظهرها بعض الناس، فهذه بإمكانها أن تثبط همم البعض وتُبعدهم عن الأحداث الحقيقية التي تحدث، مثلاً يحدث في بعض الكنائس أن الناس تنبح أو يُصدرون أصوات حيوانات، ولا نجد لهذه الظاهرة أساساً في الكتاب المقدس. من الأسباب الأخرى وراء تجاهل الناس للروح القدس هي الجهل بالكتاب المقدس، فقد لا يتحدث القساوسة والمعلمون عن أقنوم الروح القدس وعمله، فالروح القدس ليس حبيس فترة زمنية محددة في الماضي، بل يوضح الكتاب المقدس أن الروح القدس مُعاصر لنا وهو يعمل في الكنيسة حتى اليوم.

الاتجاه الآخر الذي يخص الروح القدس هو جعل عطايا الروح القدس وعمله بمثابة الفكرة المركزية للكنيسة، فقد تجد أن الكتاب المقدس مختبئاً بينما يعظم الناس من مواهب الروح القدس. فمع أن المواهب مطلوبة، إلا أن الروح القدس هو الذي يسود بالنعمة التي يسكبها على الكنيسة في صورة المواهب. من الأسئلة الجيدة التي يُمكن أن نطرحها في هذا الموضوع هي لماذا نحتاج مواهب الروح القدس؟ فهل نريد صداقة الروح القدس أكثر من المواهب التي يعطيها؟ هناك مواهب معينة لها مكانة خاصة، وقد يطلب الناس موهبة بعينها، في حين أن هناك العديد من مواهب الروح القدس. كتب إيريك فايف Eric Fife ملاحظاً يقول: «لقد كان الروح القدس منذ عشرين عاماً فقط مخفياً بسبب تجاهله، واليوم هو مخفي بسبب التجاوزات.»^(٣)

كان الروح القدس نشطاً في زمن العهد القديم، فتجد ذكراً له في سفر (تكوين ١: ٢) حين قال «وروح الله يرفُّ على وجه المياه»، فيؤكد هذا الأمر

أن الروح القدس كان له دور في عملية الخلق، وأعطى الروح القدس حكمةً وقدرَةً لبسلييل ليتمكن من بناء أشياء تخص خيمة الاجتماع، يقول الوحي عنه: «وَمَلَأْتُهُ مِنْ رُوحِ اللَّهِ بِالْحِكْمَةِ وَالْفَهْمِ وَالْمَعْرِفَةِ وَكُلِّ صَنْعَةٍ...» (خروج ٣١: ٣)، ويُستخدم هذا التعبير عن أناس كثيرين، فجاء الوحي يقول: «وَلَيْسَ رُوحُ الرَّبِّ...» (قضاة ٦: ٣٤)، ذكر الوحي هذا التعبير عن جدعون، وذكره أيضًا عن بلعام ونثنائيل وشاول وداود.

من الواضح أن الروح القدس جاء بصورة كاملة في يوم الخمسين، فما كان نبوات وإعلانات في العهد القديم أصبح تحقيقات في العهد الجديد، ففي يوم الخمسين حضر الروح القدس بكامله. ظل اليهود يعيدون عيد الحصاد منذ عدة قرون، أما الآن فقد جاء الروح القدس ليُحقق كل ما كان يُشير إليه هذا العيد. ولا نحتاج أبدًا أن نطلب من الله أن يرسل لنا يوم خمسين آخر، فكان هذا اليوم بمثابة حدثًا تاريخيًا مثلما كان ميلاد المسيح حدثًا تاريخيًا. ولا نحتاج أيضًا أن نطلب من الله أن يرسل لنا الروح القدس، فالروح القدس موجود بالفعل ووجوده دائم، بل يُمكن أن نصلى حتى نصيح أكثر وعيًا بوجود الروح، لكن الروح القدس موجود سواء كنا مدركين له أم لا، أدرك كاتب المزامير هذا الأمر عندما تساءل قائلًا: «أَيْنَ أَذْهَبُ مِنْ رُوحِكَ؟ وَمِنْ وَجْهِكَ أَيْنَ أَهْرُبُ؟» (مزمو ١٣٩: ٧). كتب إيريك فايف Eric Fife يقول: «لا يُمكن أن يكون لنا يوم الخمسين الخاص بنا بقدر ما يُمكن أن يكون لنا خبرة التجسّد الشخصي في مزود بيت لحم.»^(٤) كتب لويس بي سميديس Lewis B. Smedes يقول: «إن الروح القدس قريب جدًا منّا لئراه، فهو قريب كالأنف على وجوهنا، وهو طاقة أكثر منه مادة، أو هو مثل ضوء

أكثر من المادة التي تضيئه، فمن الصعب تجسيده.»^(٥) وقد اعتاد الناس أن يُشيروا إلى الروح بكونه الروح القدس وفي الإنجليزية "Holy Ghost". ما ذكرناه عن الله الآب يُمكن أن نقوله عن الروح القدس، فالغموض يحيط بشخصه وبعمله، هذا بالإضافة إلى أن إدراكنا له بالأمر المحدود، إلا أنه شخص حقيقي جداً وقريب جداً. يستخدم العهد القديم كلمة رياح للتعبير عن الروح القدس، فهناك غموض حول الرياح، فنحن لا نراها إلا أننا نرى تأثير تحركاتها.

عندما نتغى بالروح القدس فنحن نتغى بشخص وليس بـ «شيء». تُعَلِّم بعض الهرطقات أن الروح القدس مجرد تأثير، أو مجرد شيء مبهم من الله، لكن هذا ليس حقيقي. فيُعَلِّمنا الكتاب المقدس أن الروح القدس هو شخص، فهو يقود ويُعَلِّم ويُقنِع ويُقوِّي ومن الممكن أن يحزن. لاحظ استخدام الضمير الشخصي عند الإشارة إلى الروح القدس في إنجيل يوحنا. أيضًا دعا يسوع الروح القدس بكونه «المشير»، ويأتي هذا التعبير في بعض الترجمات بكونه «المعزي»، فالذي يُعزِّي ويُعَلِّم هو بالتأكيد شخص. إن أصل كلمة مُشير هو «الشخص الذي يقترب منك ليقدم لك مساعدة». ومرارًا وتكرارًا يُشار إلى الروح القدس في إنجيل يوحنا باعتباره «هو»، فهو أقنوم إلهي في الثالوث، ونحن لا نعبد أو نمجد «شيء» بل نحن نعبد ونمجد الروح القدس.

هناك العديد من الألقاب المعطاة للروح القدس. بالإضافة إلى كونه المُشير، هو أيضًا يُدعى روح الحق والروح الأبدي وروح التبني وروح المجد وروح النعمة وروح القداسة وروح الحياة، وهذه الألقاب تُشير إلى أن الروح

القدس هو أيضًا الله. يُدعى الله إله الحق، فقد قال يسوع: «أنا هو الحق»، وكل الصفات الخاصة بالله الآب والله الابن تنطبق أيضًا على الروح القدس، فقد قال المسيح أننا نعرف الحق والحق يُحررنا، فما الذي يفعله الروح القدس؟ هو يُحررنا، فهناك حرية حيث يوجد روح الله فيقول: «وَأَمَّا الرَّبُّ فَهُوَ الرُّوحُ، وَحَيْثُ رُوحُ الرَّبِّ هُنَاكَ حُرِّيَّةٌ» (كورنثوس الثانية ٣: ١٧)، يوجد في وقتنا الحالي حرب بين الجسد والحياة الجديدة، فينبغي على المسيحيين أن يسلكوا بالروح، مثلما يُعلمنا الكتاب المقدس قائلًا: «اسْلُكُوا بِالرُّوحِ فَلَا تُكَمِّلُوا شَهْوَةَ الْجَسَدِ» (غلاطية ٥: ١٦).

أليس من الغريب أن يضع المسيحيون تأكيدًا كبيرًا على مواهب الروح القدس بدلًا من ثمر الروح القدس؟ ليس لدى أي مؤمن كل مواهب الروح القدس، بل إن كل مؤمن لديه كل ثمر الروح القدس، فلا يجب أن نقرن صحة الإيمان بوجود موهبة واحدة، بل إن ثمر الروح هو ما يجب أن ننظر إليه. يقول الوحي: «وَأَمَّا ثَمَرُ الرُّوحِ فَهُوَ: مَحَبَّةٌ فَرَحٌ سَلَامٌ، طُولُ أَنَاةٍ لُطْفٌ صِلَاحٌ، إِيمَانٌ وَدَاعَةٌ تَعَفُّفٌ» (غلاطية ٥: ٢٢). استخدم الوحي هنا كلمة ثمر، وهي كلمة مفردة، في حين أن مواهب الروح القدس تأتي بصيغة الجمع. لا يأتي الثمر دفعة واحدة، فالبعض منه صغير جدًا وفي بدايته، وقد يكون البعض من هذا الثمر واضح أكثر من غيره، وسيكون هناك دلائل على الثمر كلما كان الروح القدس ساكن.

إذا شكك أحد في أهمية وحقيقة الروح القدس، عليه أن يقرأ سفر أعمال الرسل، ففيه واصل الروح القدس عمل المسيح، بل في حقيقة الأمر هو يُدعى

في رسالة رومية روح المسيح. وعندما عاد المسيح إلى السماء أرسل الروح القدس ليواصل عمله، وهذا ما نراه في سفر الأعمال. إن الكنيسة تنمو بسرعة والإنجيل ينتشر بغزارة، فما هو عمل الروح القدس لنا اليوم؟

قال يسوع: «وَأَمَّا الْمَعَزِّي، الرُّوحُ الْقُدُسُ، الَّذِي سَيُرْسِلُهُ الْآبُ بِاسْمِي، فَهُوَ يُعَلِّمُكُمْ كُلَّ شَيْءٍ، وَيَذَكِّرُكُمْ بِكُلِّ مَا قُلْتُهُ لَكُمْ» (يوحنا ١٤: ٢٥)، توضح هذه الآية كيف كُتِبَ العهد الجديد، فقد قام الروح القدس بتذكير كتبة العهد الجديد بكل ما قاله يسوع، فكيف كتبوا الكتاب المقدس؟ يقول الوحي: «أَنَّهُ لَمْ تَأْتِ بُبُوَّةٌ قَطُّ بِمَشِيئَةِ إِنْسَانٍ، بَلْ تَكَلَّمَ أَنَا اللهُ الْقِدِّيسُونَ مَسُوقِينَ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ» (بطرس الثانية ١: ٢١). كُتِبَ الكتاب المقدس بتوجيه وإرشاد الروح القدس.

بلا شك قد حدثت معك هذه الخبرة، أن تقرأ الكتاب المقدس وفجأة تدرك أمراً ما لم تكن تعرفه من قبل، فهذا هو الروح القدس الذي يُعَلِّمُك، وهو يستمر في تعليمنا اليوم. قال يسوع في الحقيقة أنه من الجيد له أن يرحل عنا، وشرح السبب بأن قال لأنه حينها سيرسل لنا الروح القدس، سيواصل الروح القدس العمل الذي بدأه يسوع في دويلة صغيرة وسينشره في باقي العالم.

إن الروح القدس يُوبخ الناس على خطيتهم ويأتي بهم إلى المسيح. تحدّث يسوع مع نيقوديموس عن الولادة من الروح القدس. يجعلنا الروح القدس ندرك احتياجنا للمسيح وبعد ذلك يأتي بنا إلى المسيح، فهو مثل الطبيب الذي يُساعد في الولادة. والروح أيضاً يطبّق رسالة الإنجيل في قلوبنا، فهو يأتي بنا

إلى النور، عندما نحيا في الظلام لن نتمكن من أن نجد الطريق للخارج، فيأتي الروح القدس بنا إلى النور، ولأننا موق بالذنوب والخطايا قد نحاول أن ننقذ ذواتنا، فيأتي الروح القدس ليأخذنا إلى مصدر الحياة.

واحدة من المشكلات التي تواجهنا حين نتحدث عن الروح القدس هي المعنى المرتبط بالتعبيرات. مثلاً يعتقد بعض الناس أن هناك معمودية خاصة بالروح القدس تلي الخلاص. يتحدث الكتاب المقدس عن الامتلاء بالروح القدس، كما يتحدث عن الحصول على قوة من الروح القدس. فقد يكون ما يدعوه بعض الناس بأنه معمودية الروح القدس، هو اختبار الخلاص، أيضاً قد يكون ما يدعوه الناس معمودية الروح القدس قد يكون قوة من الروح ذاته. سيتضح المعنى أكثر عندما نقرأ (كورنثوس الأولى ١٢: ١٣) التي تقول: «أَنَّا جَمِيعًا بِرُوحٍ وَاحِدٍ أَيْضًا اعْتَمَدْنَا إِلَى جَسَدٍ وَاحِدٍ، يَهُودًا كُنَّا أَمْ يُونَانِيِّينَ، عَبِيدًا أَمْ أَحْرَارًا، وَجَمِيعًا سَقِينَا رُوحًا وَاحِدًا».

من الخطأ أن يصلي المؤمنون طلباً للحصول على الروح القدس. إذا كنت مؤمناً فإن الروح القدس يسكن في داخلك. إذا صلى المؤمن لكي يحصل على الروح القدس، فهو يصلي للحصول على أمر موجود بالفعل. كتب بولس الرسول هذه الكلمات لمؤمنين في كنيسة تعاني من مشكلات عديدة. كان هناك انقسامات وحدث بها أمور لا تليق، فكان هذا ما قاله بولس: «أَمْ لَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ جَسَدَكُمْ هُوَ هَيْكَلٌ لِلرُّوحِ الْقُدُسِ الَّذِي فِيكُمْ، الَّذِي لَكُمْ مِنْ اللَّهِ، وَأَنْتُمْ لَسْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ؟ لِأَنَّكُمْ قَدْ اشْتَرَيْتُمْ بِثَمَنِ. فَمَجِّدُوا اللَّهَ فِي أَجْسَادِكُمْ وَفِي أَرْوَاحِكُمْ الَّتِي هِيَ لِلَّهِ» (كورنثوس الأولى ٦: ١٩-٢٠)، كمؤمن

أنت هيكَل يسكنه روح الله، فلست بحاجة لأن تسأله أن يأتي، وذلك لأنه بالفعل معك.

من الأمور التي تهَم المؤمنين هي ما إذا كانوا قد وقعوا في الخطية التي لا تُغتفر ألا وهي التجديف على الروح القدس، ولكي نجيب على هذا التساؤل نقول: إذا كان الفرد منشغلاً بهذا الأمر فعليه الاطمئنان أنه لم يرتكب هذه الخطية. هناك العديد من الأفكار التي تدور حول طبيعة الخطية، فيعتقد بعض المعلمين أنها ربط أعمال الشيطان بالروح القدس، وهذا بمثابة عمى كامل تجاه الروح القدس؛ فيه تصبح القلوب حجرية تجاه الروح القدس بحيث لا تسمع تحذيراته، لكن لا يعني هذا أن هؤلاء الناس بعيدون عن الرجاء، بل لا يزال أمامهم فرصة للتوبة والإيمان بالمسيح.

من الأمور الشائعة لمعظم المؤمنين هي أنه يمكننا أن نُحزن الروح القدس، فكيف يُمكن أن نفعل هذا؟ يحدث هذا عندما لا نراعي توجيهاته وأيضاً بتجاهله وعدم طاعته، فهذه الأمور بإمكانها أن تُحزن أي أب وأم، وبإمكانها أيضاً أن تُحزن الشخص الذي يحبنا. يوضح هذا الأمر حال العديد من الكنائس، فيحزن الروح القدس بسبب أمور تحدث فيها، فهناك برود في العلاقات، وقد تشعر بداخل تلك الكنائس أن هناك أمراً ما غير مريح، فقد ترى أن الناس يفعلون كل ما هو صحيح فيما يخص الخدمة، إلا أنك قد تشعر أن هناك أمر ما مفقود - فهناك شخص ما ليس موجود، وهذا هو الروح القدس.

يرتبط الروح القدس ارتباطاً وثيقاً بالصلاة، فعندما لا نعرف كيف نُعبر عن صلاتنا، يشفع الروح القدس لنا، فهو يرشدنا لنصلي من أجل أمور ينبغي

أن نصلي من أجلها وذلك في الوقت المحدد. عندما كنت في اليابان، كان هناك كارراً بالإنجيل مريض بشدة بداخل مستشفى، وعندما اشتدت آلامه، شعرت سيدتان في تلك المدينة بتثقل ليصليا من أجله، وهو لم يعلم ذلك. اكتشف لاحقاً أن ذلك هو ذات الوقت الذي كان يحتاج فيه لصلاة، وقد تعافت صحته مرة أخرى. فقد ثقل الروح القدس هاتين السيدتين بالرغم من أنهما لم يعرفا احتياجه الحقيقي في ذلك الوقت. ولا شك أن هذا الأمر يحدث لنا كثيراً كمسيحيين بأن نشعر بتثقل لنصلي لأجل شخص ما.

من الأمور الهامة التي يفعلها الروح القدس أيضاً هي أنه يشهد مع أرواحنا أننا أبناء الله. يُمكن أن نُسَمي الإصحاح الثامن من رسالة رومية بإصحاح الروح القدس، ففيه يُسمى الروح القدس «روح البنوة»، فهو يجعلنا نصرخ لله «يا أبا الآب» وليس أن نتذلل له كعبيد، فيشهد الروح أننا أبناء الله، وهؤلاء الأبناء لا يصرخون قائلين «بابا» أو «أبي» لأي شخص، بل هم يعرفون أبيهم، والروح القدس يعطيهم الثقة في الخلاص، وعلامة على ذلك هو أنهم يعرفون أبيهم، فيصلون إليه كما يقول الوحي: «إِذْ لَمْ تَأْخُذُوا رُوحَ الْعُبُودِيَّةِ أَيْضًا لِلْخَوْفِ، بَلْ أَخَذْتُمْ رُوحَ التَّبَيُّنِ الَّذِي بِهِ نَصْرُحُ: «يَا أَبَا الْآبِ». أَلرُّوحُ نَفْسُهُ أَيْضًا يَشْهَدُ لَأَرْوَاحِنَا أَنَّنَا أَوْلَادُ اللَّهِ.» (رومية ٨: ١٥-١٦)، وقد أوضح بولس ذات الحقيقة لمؤمني غلاطية عندما قال: «ثُمَّ يَمَا أَنْكُمْ أَبْنَاءُ، أَرْسَلَ اللَّهُ رُوحَ ابْنِهِ إِلَى قُلُوبِكُمْ صَارِحًا: «يَا أَبَا الْآبِ». إِذَا لَسْتُ بَعْدُ عَبْدًا بَلِ ابْنًا، وَإِنْ كُنْتُ ابْنًا فَوَارِثٌ لِلَّهِ بِالْمَسِيحِ» (غلاطية ٤: ٦-٧).

إن الروح القدس هو ضمان خلاصنا، فكيف نتأكد من خلاصنا الأبدي؟ هناك سبب واحد يجعلنا نتأكد من ذلك وهو أن الروح القدس هو العربون

الضامن لخلاصنا، فيقول الوحي: «وَلَكِنَّ الَّذِي يُثَبِّتُنَا مَعَكُمْ فِي الْمَسِيحِ، وَقَدْ مَسَحَنَا، هُوَ اللَّهُ الَّذِي خَتَمَنَا أَيْضًا، وَأَعْطَى عَرْبُونَ الرُّوحَ فِي قُلُوبِنَا» (٢كورنثوس ١: ٢١-٢٢). لاحظ أيضًا كيف أن الختم والعربون مرتبطين ببعضهما البعض في (أفسس ١: ١٣-١٤) حيث قال: «الَّذِي فِيهِ أَيْضًا أَنْتُمْ، إِذْ سَمِعْتُمْ كَلِمَةَ الْحَقِّ، إِنَجِلَ خَلَاصُكُمْ، الَّذِي فِيهِ أَيْضًا إِذْ آمَنْتُمْ خُتِمْتُمْ بِرُوحِ الْمُوعِدِ الْقُدُّوسِ، الَّذِي هُوَ عَرْبُونُ مِيرَاثِنَا، لِفِدَاءِ الْمُقْتَنَى، لِمَدْحِ مَجْدِهِ»، لكن حتى متى نحن مختومون؟ يقول الوحي أيضًا: «وَلَا تُحْزِنُوا رُوحَ اللَّهِ الْقُدُّوسَ الَّذِي بِهِ خُتِمْتُمْ لِيَوْمِ الْفِدَاءِ» (أفسس ٤: ٣٠). يشير يوم الفداء هنا إلى يوم مجيء المسيح ثانية، ويشير أيضًا إلى الأحداث النهائية عندما يتم فداء حتى الطبيعة.

تحمل الآية السابقة فكرتين تثيرا إعجاب كل مسيحي، أولهما أن الأمان الذي لك في المسيح أكبر جدًا مما يُمكن أن تتصور، ثانيهما هو أننا مختومون بالروح القدس، فهذا الختم هو بمثابة علامة ملكية. كنت أستخدم ختمًا لإجراء بعض الأعمال المكتبية عندما كنت أعيش في اليابان، وكان يتوجب على استخدام ذلك الختم الخاص بي عندما أحتاج إلى سحب أموال من البنك، فهذا الختم خاص بي، وهو يُعرِّفني ويبيِّن أنني مالك هذا الحساب البنكي، فقد ختمنا الروح القدس وليس بإمكان أحد أن يكسر هذا الختم، ولا حتى قوة الشيطان أو إخفاقاتنا. لقد ختمنا الروح القدس، فليس هناك ضمان أعظم من هذا! الروح القدس هو «الرصيد الذي يضمن ميراثنا». نعرف جميعًا ماذا يعني دفع مقدم مالي، فهذا يُصرِّح بأن هناك نيَّة لدفع الباقي من المبلغ، إلا أننا قد نتعذَّر في بعض الأحيان في دفع باقي المبلغ، لكن ليس هذا الحال مع

الروح القدس، فهو ضمان الخلاص النهائي، أفلا يتوجب علينا إذًا أن نتغنى بروح النعمة هذا؟

هناك العديد من قوائم مواهب الروح القدس في العهد الجديد، فنقرأ عن واحدة منها في (رومية ١٢: ٦-٨)، ونقرأ عن غيرها في (أفسس ٤: ١١). أما القائمة التي تحمل أكثر المواهب فهي تلك التي جاءت في (كورنثوس الأولى ١٢: ٧-١١). من المهم أن ندرك أن هذه المواهب تُعطى لتجهيز الكنيسة، وليست للتباهي بالروحانيات أو بما يُعمل. «فهناك أنواع مختلفة من المواهب ولكن الروح واحد». لطالما كان الميل هو إظهار المواهب المذهلة وإغفال غيرها، إلا أنه لابد من استخدام كل المواهب لمجد المسيح. من المواهب التي قد نغفل عنها هي تلك المذكورة في (رومية ١٢: ٦-٨)، وتشمل هذه المواهب: الخدمة والتعليم والتشجيع والعطاء والقيادة والرحمة. لا يُمكن أن تغطي موهبة ما على المواهب الأخرى، فجميعهم هام للغاية وجميعهم عطايا الروح القدس. كتب جاك ماك جورمان Jack MacGorman في كتابه الذي جاء تحت عنوان «مواهب الروح»، يقول: «لا ينبغي اعتبار أي من المواهب الكاريزماتية موهبة، فقط الروح القدس هو الموهبة الحقيقية!»

أيّما يعمل الروح القدس هناك العديد من استعلانات المواهب المختلفة. يعلّق إيريك فايف Eric Fife قائلاً: «لا أنكر أن موهبة التكلم باللسنة بركة حقيقية، إلا أن هناك تعاليم تقول بأن هذه الموهبة هي الأقل في الأهمية من كل المواهب الروحية، لكنه من الخطأ أن نسمح لهذه الموهبة بأن تسود على كل المواهب الروحية الأخرى وكذلك على الخدمة.»

يعطينا الروح القدس القوة لنقوم بالخدمة التي يمنحها لنا، فهو يعطي القوة اللازمة لنشر الإنجيل، وهذا يوضح كيف نمت الكنيسة الأولى. لم يكن النمو نتيجة خطتهم أو خبراتهم، فكان العديد من المسيحيين الأوائل أناساً عاديين؛ كان البعض منهم صيادي سمك، ولم يكن تعليمهم بحجم تعليم العديد من القادة الدينيين اليوم، ومع ذلك فقد قلبوا المسكونة رأساً على عقب بكرازتهم وتبشيرهم، وحملوا الإنجيل إلى جميع أنحاء العالم المعروف في ذلك الوقت، فكيف تمكنوا من فعل ذلك؟ كان ذلك بفضل قوة الروح القدس. قال المسيح قبل أن يصعد للسماء بوقت قليل: «لَكِنَّكُمْ سَتَنَالُونَ قُوَّةَ مَتَى حَلَّ الرُّوحُ الْقُدُسُ عَلَيْكُمْ، وَتَكُونُونَ لِي شُهُودًا فِي أُورُشَلِيمَ وَفِي كُلِّ الْيَهُودِيَّةِ وَالسَّامِرَةِ وَإِلَى أَقْصَى الْأَرْضِ» (أعمال الرسل ١: ٨).

حدث بعد يوم الخمسين أن بطرس كرز بجرأة بالإنجيل، وكان رد الفعل تجاه رسالته عظيماً. بدأ رسالته بأن أشار إلى الوعد الذي جاء في يوثيل والذي يقول أن الله سوف يسكب من روحه في آخر الأيام، وعندما جاء إلى نهاية رسالته ربط «مواهب الروح القدس» بالخلاص، وذلك كما جاء في سفر (أعمال الرسل ٢: ٣٨)، فقد أعطى الروح القدس قوة وجرأة لإعلان الإنجيل. ويمكن أن تجد توضيحاً جيداً لهذا في (أعمال الرسل ٤: ٣١) حيث يقول: «وَلَمَّا صَلَّوْا تَزَعَزَعَ الْمَكَانُ الَّذِي كَانُوا مُجْتَمِعِينَ فِيهِ، وَامْتَلَأَ الْجَمِيعُ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ، وَكَانُوا يَتَكَلَّمُونَ بِكَلَامِ اللَّهِ مُجَاهَرَةً». لقد كان المسيحيون الأوائل مدركين للروح القدس، فقالوا في الأوقات التي تعرضوا فيها لظلم: «نَحْنُ شُهُودٌ لَهُ بِهَذِهِ الْأُمُورِ، وَالرُّوحُ الْقُدُسُ أَيْضًا، الَّذِي أَعْطَاهُ اللَّهُ لِلَّذِينَ يُطِيعُونَهُ» (أعمال الرسل ٥: ٣٢).

من المؤهلات الخاصة بالشمامسة الأوائل هي أن يكونوا «مَمْلُؤِينَ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ» (أعمال ٦: ٣)، فقد قدّم اسطفانوس - الذي كان شماسًا - أطول رسالة دَوَّنَها سفر أعمال الرسل أمام السنهدريم، فهو لم يكن يرد لكلمات قاتليه عندما كان يقول: «أَنْتُمْ دَائِمًا تُقَاوِمُونَ الرُّوحَ الْقُدُسَ» (أعمال الرسل ٧: ٥١)، وقد نظر اسطفانوس عند موته إلى السماء وقال عنه الوحي أنه كان ممتلئًا من الروح القدس. لقد انتشر الإنجيل من أورشليم حتى أوروبا وآسيا الصغرى، وكانت النتيجة واحدة في كل مكان، وهي أن الروح كان يقود الرسل إلى أماكن ليكرزوا وكان الروح يُعضدهم. والروح أيضًا كان يُبَكِّت قلوب الناس فيؤمنوا بالمسيح. أيضًا يُمكن الروح القدس من تكوين الكنائس.

يوضح هذا الكثير من الأمور التي نراها تحدث اليوم حول العالم، فهناك أماكن ينتشر فيها الإنجيل بصورة كبيرة، وأماكن أخرى كثيرة تنكسر فيها العوائق التي تقف أمام انتشار الإنجيل، وكذلك أيضًا نرى أماكن فيها الناس يقبلون المسيح عالمين أنهم قد يفقدون حياتهم إذا لم يفعلوا ذلك، فلماذا يحدث كل هذا؟ إنه بسبب عمل الروح القدس، فالمسيحيون يتحركون بقوة الروح القدس. كتب بولس في (أفسس ٥: ١٨) يقول: «وَلَا تَسْكُرُوا بِالْخَمْرِ الَّذِي فِيهِ الْخَلَاعَةُ، بَلْ امْتَلِئُوا بِالرُّوحِ». فعندما يكون الإنسان سكيرًا بالخمر، فإنه يكون تحت تأثير الكحول الذي يتحكم فيه ويهيمن عليه تأثيره؛ أن تمتلئ بالروح القدس هو أن تنقاد به. وهناك معمودية روح واحدة في جسد المسيح إلا أن هناك العديد من أشكال الامتلاء بالروح القدس، فيأتي الأمر الإلهي «امتلئوا» في صيغة تشير إلى الاستمرارية، فهو ليس حدثًا يحدث مرة واحدة فقط. فعلينا أن نمتلئ بالروح القدس عدة مرات خلال حياتنا، فنحن نحتاج إليه ليمدنا بالقوة لنفعل أي أمر يأمرنا به الله.

وبالتالي فمن اللائق أن نتغنى بالروح القدس وأن نصلي طلباً لقوة الروح القدس وأن نطلب قيادة الروح القدس وأن نعبد الروح القدس. هناك واحدة من التسابيح العظيمة بحق عن الروح القدس والتي يندر الترنم بها، تلك المُسمّاة «يا روح الله تعالى إلى»، تقول:

يا روح الله تعالى إلى قلبي
وأفطمه عن العالم وشهوات نبضاته
تعالى إلى ضعفي بقوتك يا الله
واجعلني أحبك كما يجب
فأنا لا أطلب أحلام أو نشوات الأنبياء
ولا أطلب استبدال إناء خلقتي الطيني
ولا أطلب زيارات ملائكية أو فتح السماوات
بل أريدك أن تأخذ ظلمة روحي بعيداً
علمني لأشعر أنك قريب دائماً
علمني حروب الروح حتى أتحمّلها،
ولكي أدرك تزايد الشكوك وتنهدات التمرد،
علمني صبر الصلوات التي بلا انقطاع
علمني أن أحبك كما تحبك ملائكتك
فهذه رغبة مقدسة واحدة تملأ كل كياني
فإن ألسنة النار تهبط من السماء
قلبي هو المذبح وحبك هو اللهب.»^(٦)

الفصل الخامس

ثالثوث نتغنى به

هناك بعض التلميحات التي تشير إلى الثالث في العهد القديم، إلا أننا نرى حقيقة هذا الثالث أكثر وضوحًا في العهد الجديد، وهذا الأمر حقيقي فيما يخص كل العقائد الأخرى في الكتاب المقدس، فقد أعلن الله لنا عن الأمور الخاصة به خطوة تلو الأخرى، فكان هذا بمثابة إعلان تدريجي، فنرى في العهد الجديد تحقيقًا للتعاليم الأساسية التي قُدمت من قبل في العهد القديم، مثلًا أنه قيل في العهد الجديد الكثير عن السماء وعن الأبدية. وتتلاحق الإعلانات كلما تبحرنا في قراءة الكتاب المقدس، ونجد نفس الأمر عن عمل المسيح، فنرى أنواع تعاليمه وتصويرها في العهد القديم بينما نرى حقائق عن المسيح في العهد الجديد، وينطبق هذا الأمر أيضًا على الثالث.

نجد في (تكوين ١: ٢٦) تلك الصياغة غير التقليدية التي تقول: «وَقَالَ اللهُ: «نَعْمَلُ الْإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِنَا كَشَبَهِنَا». قارن هذه الآية بتلك التي في عدد ٢٧ التي تقول: «فَخَلَقَ اللهُ الْإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِهِ. عَلَى صُورَةِ اللهِ خَلَقَهُ. ذَكَرًا وَأُنْثَى خَلَقَهُمْ». ففي عدد ٢٦ هناك صيغة الجمع في الإشارة إلى شخص الله، مثلما يقول «صورتنا» «شبهنا»، أما في عدد ٢٧ نجد استخدام الصيغة المفردة عند الإشارة إلى نفس الأفعال الإلهية المذكورة في عدد ٢٦، وهذا ليس خطأ في الترجمة. بالتالي فهناك في بداية الكتاب المقدس تلميحات بأنه يوجد أكثر من مجرد أقنوم واحد في الذات الإلهية.

من الإعلانات الأخرى عن الثالوث تلك التي نجدها في زيارة ملاك الرب، فيعتقد العديد من معلمي الكتاب المقدس أن ملاك الرب هذا يشير إلى المسيح قبل أن يتجسّد. عندما تلقت هاجر - جارية سارة - زيارة من ملاك الرب، قال لها كلمات بإمكانها أن تخرج فقط من الله، وكان ردها: «فَدَعَتِ اسْمَ الرَّبِّ الَّذِي تَكَلَّمُ مَعَهَا: «أَنْتَ إِيْلُ رُبِّي». لِأَنَّهَا قَالَتْ: «أَهْهْنَا أَيْضًا رَأَيْتُ بَعْدَ رُؤْيَا؟» (تكوين ١٦: ١٣)، هل بإمكانك أن ترى الربط هنا؟ فقد تكلم معها ملاك الرب وهي آمنت أن ملاك الرب هذا هو الله.

يتكلم الوحي في أول أعداد الكتاب المقدس عن الله، إلا أنه يتكلم أيضًا عن روح الله، فجاء التعبير «قال الله» عدة مرات. أيضًا يُسمى يسوع في إنجيل يوحنا بـ «الكلمة» وذلك عندما قال: «في البدء كان الكلمة»، أفلا يشير هذا إلى الثلاثة أقانيم الذين في الثالوث؟ فكلهم قد شاركوا في عملية الخلق.

من الأمثلة الأخرى عن الثالوث هي زيارة «الثلاثة رجال» لإبراهيم عندما أعطوه رسالة أن سارة سوف تحمل وتلد طفلًا وهي متقدمة في السن، فأثناء الحديث مع الثلاثة رجال كان إبراهيم يتحدث معهم باعتبارهم الرب وليس ثلاثة رجال، وبالتالي فإن الثلاثة رجال هؤلاء بمثابة تلميح بوجود تعددية في الذات الإلهية، وهذا ما ندعوه بالثالوث.

لا يستخدم الكتاب المقدس تعبير «الثالوث»، إلا أن الإعلان عنه واضح، مثلًا تحدث الله الآب بالتأييد للمسيح في معموديته، فيقول الوحي أن يسوع رأى الروح نازلًا عليه في صورة حمامة، هذا بحسب (متى ٣: ١٦-١٧)، وتجد أيضًا أن المسيح يُعلّمنا أن نعتمد باسم الله الآب والابن والروح القدس، فيأتي

التعبير «اسم» هنا في صيغة المفرد، إلا أنه ذكر ثلاثة أقانيم. تجد كذلك في التحية المُقَدِّمة في (كورونثوس الثانية ١٣: ١٤) إثباتًا واضحًا عن الثالوث، فيقول: «نِعْمَةُ رَبَّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، وَمَحَبَّةُ اللَّهِ، وَشَرِكَةُ الرُّوحِ الْقُدُسِ مَعَ جَمِيعِكُمْ»، وتجد أيضًا إشارة عن الثالوث في (أفسس ٢: ٢٢)، حيث يقول: «الَّذِي فِيهِ (أي المسيح) أَنْتُمْ أَيْضًا مَبْنِيُّونَ مَعًا، مَسْكَنًا لِلَّهِ فِي الرُّوحِ».

نقرأ في (إنجيل يوحنا ١٥: ٢٦) «مَتَى جَاءَ الْمُعَزِّي الَّذِي سَأَرْسِلُهُ أَنَا إِلَيْكُمْ مِنْ الْآبِ، رُوحَ الْحَقِّ، الَّذِي مِنْ عِنْدِ الْآبِ يَنْبَشِقُ، فَهُوَ يَشْهَدُ لِي»، يأتي هنا ذكر الروح القدس بمفرده مع الله الآب ومع يسوع، فيسوع سيرسل الروح القدس من عند الآب، فزى وحدانية الله الآب والله الابن في الإصحاحات من الرابع عشر وحتى السابع عشر، أيضًا صلى يسوع طلبًا أن نكون واحدًا كما أنه هو واحد مع الله الآب، وذلك حينما قال: «يَكُونُ الْجَمِيعُ وَاحِدًا، كَمَا أَنَّكَ أَنْتَ أَيُّهَا الْآبُ فِيَّ وَأَنَا فِيكَ» (يوحنا ١٧: ٢١). قال يسوع أيضًا أن كل ما للآب هو أيضًا له، وذلك في «كُلُّ مَا لِلآبِ هُوَ لِي. لِهَذَا قُلْتُ إِنَّهُ يَأْخُذُ مِنِّي لِي وَيُخْبِرُكُمْ» (يوحنا ١٦: ١٥).

من الجيد أن نسأل ما المقصود بالثالوث. نحن لا نعني أنه يوجد ثلاثة آلهة، فهذا بمثابة تعددية، وهناك من وقعوا في هذا الخطأ، ونحن لا نعني بالثالوث أن هناك عدة آلهة، فهذا سيكون شرًا بالله، ونحن أيضًا لا نعني به أن كل شيء هو الله، فهذا بمثابة وحدانية الوجود، بل يعني الثالوث أن هناك إله واحد في ثلاثة أقانيم. يوجد في التاريخ أمثلة عديدة عن أفراد انحرفوا بقوة لفكر أو لآخر، مثلًا هناك الموحدين الذين يُنكرون وجود ثلاثة

أقانيم، فهؤلاء يؤكدون وحدانية الله لدرجة أنه لا يوجد لديهم مكانة لله الابن والله الروح، فيما عدا كونهم كائنات أقل أهمية ولا يتحتم عبادتهما. هناك أيضًا شهود يهوه الذين وقعوا في ذات الخطأ، فهؤلاء أيضًا لا يؤمنون بالثالوث، فيقولون أن يسوع هو أعلى كائن مخلوق، إلا أن يهوه هو الله، وهؤلاء يرفضون الروح القدس ويحدّونه باعتباره مجرد تأثير الله أو قوته، وليس أقنوم.

أما المورمون فمن الممكن أن نقول إنهم يؤمنون بثلاثة آلهة، فهؤلاء أيضًا متعددي الآلهة، وذلك لأنهم يؤمنون أن الثلاثة أقانيم منفصلين عن بعضهم البعض بصورة كلية، بل ويؤمنون أيضًا أن الأفراد المورمون يُمكن أن يصبحوا آلهة هم أيضًا، ففي اعتقادهم هناك الكثير والكثير من الآلهة، وهذا حال الهندوسية التي تؤمن بوحدة الوجود، وهؤلاء لديهم الملايين من الآلهة.

أما الإسلام فيؤمن بقوة بالتوحيد. يتهم المسلمون المسيحيين أنهم يعبدون ثلاثة آلهة، إلا أن هذا ليس حال المسيحيين. فنحن نعبد إلهًا واحدًا فقط في ثلاثة أقانيم. وهذا الحق مُعلن لنا في الكتاب المقدس وليس أمرًا اختلقناه. وليس هذا مجرد إيماننا بل هذا الاعتقاد يحمل أيضًا معنى في ممارساتنا للحياة المسيحية، فالروح القدس يبيكتنا على خطية ويأتي بنا إلى الله الابن حتى نأتي إلى الله الآب. وعندما نصلي، نحن نصلي إلى أبانا الذي في السماوات ونطلب منه قوة الروح القدس أو نطلب توجيهه، وهذا في اسم المسيح.

نحن نؤمن أن كل أقنوم من الأقانيم – أي الله الآب والله الابن والله الروح القدس – هو الله بشكل كامل. فالله الآب كلي الوجود وكذلك الله

الابن والله الروح القدس. الله الآب كلي القدرة، وكذلك أيضًا الله الابن والله الروح القدس. أيضًا الله الآب كلي العلم، وكذلك الله الابن والله الروح القدس. فكل أقنوم من الثلاثة له كل الصفات الإلهية. مثلًا كتب بولس الرسول عن يسوع يقول: «فَإِنَّهُ فِيهِ يَحِلُّ كُلُّ مِلءِ اللَّاهُوتِ جَسَدِيًّا» (كولوسي ٢: ٩)، ويُمكن قول ذات الشيء عن الروح القدس. يُخبرنا الكتاب المقدس في (أعمال ٥: ١-١٠) عن خطية حنايا وسفيرة، فقد كذبا فيما يخص بيعهما ملكية من ممتلكاتهم وتقديم عطية للكنيسة من أموال تلك الملكية. قارن الكلمات التي أتت في عدد ثلاثة التي تقول: «لِتَكْذِبَ عَلَى الرُّوحِ الْقُدُسِ»، بعدد أربعة الذي يقول: «أَنْتَ لَمْ تَكْذِبْ عَلَى النَّاسِ بَلْ عَلَى اللَّهِ». الأمر واضح، فيشير الوحي أن الروح القدس هو الله. أن تكذب على واحد من الثلاثة أقانيم هو أن تكذب على الثلاثة.

إن الله الآب قدوس، وكذلك أيضًا الله الابن والله الروح القدس. الله محبة، وكذلك أيضًا الله الابن والله الروح القدس. إن الله ممتلئ رحمة ونعمة، وكذلك أيضًا الله الروح القدس والله الابن. أيضًا الله الآب صالح وكذلك الله الابن والله الروح القدس. والله الآب طويل الروح، وكذلك أيضًا الله الابن والله الروح القدس. الله الآب ممتلئ بالفرح، وكذلك أيضًا الله الابن والله الروح القدس. فكل ما يُمكن أن يُقال عن واحد يُقال عن الثلاثة. الآب هو الله، الابن هو الله، الروح القدس هو الله. نحن نعبد الله الآب والله الابن والله الروح القدس، إله واحد في ثلاثة أقانيم.

يُعجبني الأسلوب الذي يُعبّر به ناثان وود Nathan Wood عن هذا الأمر حين قال: «ليس الثالوث بمثابة انقسام داخلي لله إلى ثلاثة أجزاء، فهو ليس

١+١، بل هو حياة، أي ١×١×١، أو هو واحد X واحد X واحد = واحد، فهو واقع مُضاعف ومكثف بصورة غير محدودة»^(١) يقول أيضًا: «إن واحد X واحد X واحد ينتج وحدة مُضاعفة ومكثفة وأعمق وأكبر وأكثر وحدانية مما يُمكن أن تكونه الوحدة المبسطة»^(٢)، ويتابع قائلاً: «فإن الله واحد بصورة عميقة ومستمرة أكثر مما يُمكن أن يكون لو لم يكن مثلث الأقانيم». يُمكن أن نعبر عن هذا بكلمات أخرى، وهي أن كل أقنوم من الثلاثة ليس جزء من الله، بل كل أقنوم من الثلاثة هو الله بصورة كاملة، فنحن لا نُعدد الثالث بل نُضاعفه.

قام سي أس لويس C. S. Lewis بمقارنة الثالث بمكعب، فالمكعب له أضلع مختلفة وهو في نهاية الأمر مكعب واحد. لكن علينا أن نعترف أن كل الشروح البشرية تعجز عن توضيح الحقيقة الكاملة، فلا يُمكن لأي كائن حي أن يدرك بصورة كاملة أمر الثالث، فالثالث بالأمر الفريد، ونحن كائنات محدودة، فكيف يُمكن لنا أن نفهم الله الفائق غير المحدود؟ كتب سي أس لويس C. S. Lewis يقول: «تجد على المستوى الإلهي ما نسميه بالأقانيم، إلا أنك تجدهم متحدين بطرق جديدة لا يُمكن لنا تصورها، وذلك لأننا لا نعيش في هذا المستوى. ففي أبعاد الله - إن جاز التعبير - تجد كائناً مكوناً من ثلاثة أقانيم بينما هو كائن واحد، تمامًا مثل المكعب الذي هو ستة مربعات بينما هو في النهاية مكعب واحد. نحن بالتأكيد لا يُمكن أن ندرك وبصورة كلية كائناً كهذا. بصورة أخرى، إن كنا ونحن مخلوقين نفهم فقط بُعدين في الفضاء، فلن نتمكن وبصورة جيدة من إدراك المكعب»^(٤) يقول أيضًا: «إن كنت تبحث عن شيء ذي شخصية فائقة، أي شيء يفوق أكثر من كونه شخص

واحد، فليس السؤال إذاً أن تختار بين العقيدة المسيحية والعقائد الأخرى، فأمامك فقط العقيدة المسيحية.»^(٥)

عندما ننتهي من قول كل ما يُمكن أن نقوله عن الثالث، لابد أن نعتزف أن الله أعظم جداً من أي تفاسير يُمكن أن تُقدّم عنه، فكيف يُمكن لمخلوقات ضئيلة تعيش على تربة الأرض أن تفسر إنساناً عملاقاً؟ وكيف يُمكن لرجل أو لامرأة مخلوقين أن يقدموا شرحاً جيداً عن الله الآب والله الابن والله الروح القدس، أي الله الحي الذي هو أعظم جداً من هذا الكون الذي خلقه؟ بالإيمان نحن نعتزف بجهلنا ومحدوديتنا، لكن بعد هذا الاعتراف، نحن نعرف بعض الأمور التي أعلنها الله عن ذاته وعن الثالث. وهذه هي الأمور التي لابد أن نؤمن بها، فنحن نعرف أن الله واحد بصورة تفوق جداً إدراكنا وأنه ثلاثة أقانيم بصورة تفوق فهمنا. كتب واين جرودين Wayne Gruden يقول: «إن هذا الكائن الثلاثي الأقانيم يبعد جداً عن قدرتنا لإدراكه، فهو نوع من الوجود يختلف كلياً عن أي شيء في الكون.»^(٦) أدرك أيضاً جاي سيدلو J. Sidlow لغز الثالث هذا عندما كتب يقول: «من الصعب لأغلب الناس أن يدركوا ثالثاً الله، وذلك أكثر من أي عقيدة مسيحية أخرى، فيبدو هذا بمثابة لغز لا يُمكن فكّه، وهو أن الله واحد وهو أيضاً ثلاثة أقانيم، أو هو ثلاثة أقانيم وهو أيضاً واحد. فهذا الأمر بلا ريب غامض وبصورة تفوق إدراكنا، إلا أن لغز هذا الأمر لا يُمكن أن يدحض حقيقته أكثر مما يدحض الغموض ما هو حقيقي بالفعل.»^(٧)

يساعدنا الثالث على فهم كيف كان الأمر قبل الخليقة، فكان الله متواجداً في ثلاثة أقانيم، وكان هناك شراكة بينهم، وكان هناك أيضاً حب متبادل بينهم،

فكان الله فعّالاً في ذاته، وليس الأمر أن الله كان مثل إنسان يعيش وحيداً على جزيرة ما، بل كان بين ثلاثة أقانيم الثالث حب وفرح وسلام كاملين. أشار أحد الكتاب وهو جورج بليكنج George Blekkink أن الله فعّال جداً في محيط كيانه أكثر من أي شيء آخر في هذا الكون.^(٨) كتب أيضاً ميلارد جاي إيريكسون Millard J. Erickson يقول: «إن الربوبية بمثابة مجموعة من الأقانيم، فالحب كائن في هذه الربوبية كعلاقة مزج لكل أقنوم من الثلاثة بعضهم البعض، في حقيقة الأمر إن صفة المحبة تفوق كونها صفة من صفات الله، فالتعبير «الله محبة» الوارد في رسالة يوحنا الأولى بمثابة صفة أساسية لله لا يُمكن إدراكها ببساطة باعتبارها تعبيراً أو معادلة، بل هي أكثر جداً من مجرد التعبير «الله يُحب». إن الثالث هو عبارة عن ثلاثة أقانيم مرتبطين ببعضهم البعض بشمول وثيق لدرجة أنهم في الواقع واحد.»^(٩)

ليس هناك أسراراً أو قصصاً منفصلة بين ثلاثة أقانيم الثالث، بل هناك وحدة كاملة واتحاد ووحداية لا يُمكن إدراكها بالكامل. أشار ميلارد إيريكسون Millard J. Erickson أن تلك الوحدة المذكورة في سفر (التثنية ٦: ٤) ليست وحدة عددية، وقال إن التعبير المذكور عن الواحد هو بعينه المُستخدم في (تكوين ٢: ٢٤) عندما قال أن يصبح الرجل والمرأة جسداً واحداً، وشرح الوحداية بهذه الصورة حيث قال: «إن الله الآب والله الابن والله الروح القدس مترابطين ومتشابكين بشكل وثيق حتى أنهم لا يستطيعون أن يعيشوا بعيداً عن بعضهم البعض، فكل منهم يمد الحياة للآخر، فما يفعلوه، حتى وإن كان في الأصل عملاً واحداً، فهم يفعلوه سوياً»^(١٠).

اقتبس إيريكسون Erickson من كتابات يوحنا الدمشقي حين قال: «ولأن هذه الكيانات تعيش بداخل بعضها البعض ولا يُمكن تقسيمها، وهذا بحسب قول يسوع ذاته حين قال أنا في الآب والآب فيّ، إذًا فهم جميعًا واحدًا، وهذا لم يحدث بأن تم المزج بينهم، بل حدث هذا من جراء الالتصاق ببعضهم البعض، فكيان كل منهم ملتصق بالآخر وذلك بدون التحام أو امتزاج.»^(١١)

نحن كمسيحيين لا ننكر التعاليم المُقدمة في (تثنية ٦: ٤) والتي تقول: «اسْمَعْ يَا إِسْرَائِيلُ: الرَّبُّ إِلَهُنَا رَبٌّ وَاحِدٌ»، فنحن نؤمن بوحدانية الإله إلا أننا نؤمن أن هذه الوحدانية أعظم مما يُمكن أن نفكر فيها باعتبار أن الله واحد. نحن نؤمن أن هناك تعددية، أي مجموعة من الأقانيم في وحدانية. إني أرى أنه لابد أن يكون في قانون إيماننا كلا من: وحدانية الله، وحقيقة أنه يوجد هناك ثلاثة أقانيم في هذه الوحدانية.

لابد لنا عندما نفكر في الثالوث أن ندرك أن الله إله ذاتي أكثر جدًّا منّا نحن كبشر، وهو أيضًا حقيقي جدًّا أكثر من حقيقتنا، فنحن الظل بينما هو النور. هناك تعبير جاء في كتاب يُدعى The Mystery of God أي «لغز الإله» يقول: «إن الله أيضًا ذاتي للغاية، بصورة مكثفة ولا يُمكن مقارنتها، فهو ذاتي بصورة أو بدرجة تتشابه بالضبط بتعالى (تفوق) غير مفهوم لخالق على الخليقة. وليس هناك مخلوق ذاتي في هذا الكون أكثر من الله الحي.»^(١٢) ويتابع كلامه بأن يُعرّف الأقانيم واتحادهم، فيقول: «كان الله وحتى قبل أن يوجد العالم، متعددًا وأيضًا مفردًا، أي أنه كان ثلاثيًا (الثالوث) كما كان أيضًا واحدًا (الوحدة)، فلم يكن هناك لحظة كان الله فيها مجرد «أنا» وحده أو

خامل أو منفصل، بل لطالما كان الله - ولا يزال - يشير عن ذاته بالتعبير «نحن».^(١٣) يوضح بوير وهال Boyer and Hall هذا بصورة جميلة حيث يقولان: «ليس الله ذاتًا فقط، بل هو أيضًا نشوة متبادلة من الشراكة الذاتية الممتلئة فرحًا».^(١٤)

قال يسوع أن الله روح. عندما نفكر في الروح، نحن نفكر في شيء أقل في المستوى من الكائنات البشرية الحية، فقد يُحضر أمر الروح هذا لأذهاننا الأشباح أو أشياء مخيفة، ومن الشائع أن نفكر أن الروح أقل من كونها حقيقة، أي أنها ليست شيئًا ماديًا أو واضحًا كالأشخاص ذوي الأجساد اللحمية، إلا أننا نخطئ إن كان لدينا مثل هذه الأفكار. فإن الله حقيقي ووجوده حقيقي أكثر من واقع وجودنا، فهو من وهب لنا وجودنا، فهل من الممكن أن يصبح خالق هذا الكون أقل حقيقية من الأشياء التي صنعها؟ فهل يجدي أن يكون الرسام أقل حقيقية من الفنون التي يرسمها؟ وهل المهندس المعماري أقل حقيقية من المباني التي رسم تصميماتها؟ وهل مؤلف الموسيقى أقل حقيقية من القطع الموسيقية التي تلعبها الأوركسترا بعد أن ألفها هو؟

إن ما نقوله هذا ينطبق على الثالث، فقبل أن يأتي يسوع إلى الأرض، كان الله الآب والله الابن والله الروح القدس يعيشون بمحبة كاملة، أما الآن فقد التصق جسد بالله الابن، حتى وإن كانت هيئة هذا الجسد قد تغيرت، إلا أن الله لا يزال واحدًا ولا يزال أيضًا روحًا. يُعجبني ما يقوله وليام هيندريكس William Hendricks عن الروح عندما قال: «حقيقة أن الله روح لا تحمل معنى أنه بخار يطفو وليس له هيئة، إلا أن الأفكار الكتابية لا تعرف شيئًا

عن تلك الأمور المجردة النقية التي بلا هيئة.»^(١٥) ويتابع قائلاً: «ليس هناك شيئاً فيما ليس له جسداً، فحتى عالم الروح له جسد، وهناك أشكال جسدية وغيرها روحية، إلا أنه لا شيء يُمكن تصوّره بدون شكل. يقول الكتاب في (يوحنا ٤: ٢٤) أن الله روح، ويُعبّر هذا العدد أيضاً عن أبعاد وجود الله، إلا أنه لم يدحض فكرة وجود هيئة روحية.»^(١٦)

يقول سي أس لويس C. S. Lewis أن المشكلة هنا هي عجز لغتنا عن التعبير عما هو حقيقي، ويتابع قائلاً: «إن الله من الأمور التي لا يُمكن وصفها، وذلك ليس بسبب كونه غامض بل بسبب كونه واضح جداً أمام غموض اللغة الذي لا مفر منه. فالكلمات المعنوية وتلك المبنية للمجهول (الا شخصية) مضلّة، وذلك لأنها قد تحمل معنى أن الله يفتقر إلى بعض الحقيقة التي نمتلكها نحن، فمن الأمان أن ندعوه غير جسدي وغير شخصي، فإن الجسد والذاتية كما نعرفها بمثابة السلبية الحقيقية - فهما ما تبقى من الوجود المؤكد عندما يتم مزجه بصورة كافية ليبدو في هيئة زمنية أو هيئة محدودة.»^(١٧) ويتابع يقول: «إن الحقيقة الروحية المطلقة ليست أكثر غموضاً أو أكثر خمولاً أو أكثر شفافية من الصور، بل هي أكثر إيجابية وديناميكية وإبهاماً.»^(١٨)

كيف سيتم الإعلان عن الثالث في السماء؟ لا يُجيب الكتاب المقدس عن هذا السؤال، بل هو يُعلّم أننا سنرى يسوع. هناك آراء مختلفة حول ما إذا كنا سنرى الله بحق، فالبعض يؤمنون أن الله سيُظهر ذاته في هيئة نور مجيد، فهذه كانت الطريقة التي أظهر بها ذاته في العهد القديم. ويُمكننا أن نعرف

أن الله أكثر واقعية وحقيقية مما سنكون عليه. سنرى كل ما يريد الله أن يُرينا، وما سنراه سيكون أكثر حقيقية وجمالاً من أي شيء سبق ورأيناه.

ولأنه من الصعب علينا إدراك الثالوث، يميل المسيحيون في بعض الأحيان إلى التفكير فيه باعتباره لغز، بل ويبتعدون عن التعليم عنه. لكن العهد الجديد لا يدعو لذلك، فالآب هو الله والابن هو الله والروح القدس هو الله، ونحن نعبد الله الآب والله الابن والله الروح القدس. يقول نورمان جيسلر Norman Geisler، يتم في بعض الأحيان التعامل مع الأمور الغامضة باعتبارها معضلات، ويقول أنه علينا التعامل مع الثالوث باعتباره لغز وليس معضلة،^(١٩) ويتابع يقول: «حينما تتضح لمداركنا العناصر الأساسية ليس علينا أن نحاول فك الأمور الغامضة بخصوصها. لا ينبغي علينا أن نحللها، بل علينا أن نقر بها؛ لا نفحصها بدقة، لكن نكرس أنفسنا لها. فهي بمثابة مادة للعبادة وليست للدراسة. وكما ذكرنا سابقاً، إذا حاول أحد أن يدركها بصورة كاملة (باعتبارها معضلة)، قد يفقد عقله، وإذا لم يؤمن بها بإخلاص، قد يفقد حياته! فحينما ندرك صفات الله وطبيعته التي تفوق الوصف، سنحتاج حينها أن نقدرها وبشدة وليس أن نبحث فيها.»^(٢٠)

إن الثالوث بمثابة سبباً لنتغنى به، فتُعَبَّرُ تسابيح إيماننا عن ذلك الفرحة الذي نجده في الثالوث. من أفضل التسابيح هي تلك التي تُدعى «قدوس قدوس قدوس»، تقول:

«قدوس قدوس قدوس! الله الإله القدير!

نقوم باكراً ونسبح لك قائلين:

قدوس قدوس قدوس! رحيم أنت وقدير!

الله مثلث الأقانيم، أنت الثالث المبارك!«(٢١)

تجد في التعاليم الخاصة بالثالث أهمية عميقة للحياة المسيحية، فهي تشمل خلاصنا. فالله أرسل الابن والابن أرسل الروح القدس، وكل هذه الأمور ترتبط بخلاصنا وترتبط أيضاً بحياتنا في المسيح، فإن الثالث ليس بمثابة فكرة غريبة ابتكرها شخص ما، بل هي مذهب حيوي يجب أن نجد فرحنا فيه. كتب كورنيليوس بلانتينجا Cornelius Plantinga, Jr. في مقالة ما جاءت في مجلة Christianity Today أي المسيحية اليوم، في الرابع من مارس من عام ١٩٨٨، يقول: «إن كلاً من الله الآب والله الابن والله الروح القدس بمثابة المركز النابض بالحياة للأفعال والمعرفة وأيضاً للعلاقات المتحابّة، فكل منهم في حقيقة الأمر مرتبط بالآخر بصورة قوية ومتبادلة بحيث أن أكثر ما يُمكن أن يشير إلى كلمة الله ليست هي الله الآب أو الجوهر الإلهي، بل الاتحاد الذي يشمل الثلاثة أقانيم بذاتهم - أي ذلك الاتحاد الذي يفيض بحياة ساحرة من النور والفرح والتبادلية والحيوية.»(٢٢) ويُضيف قائلاً: «إن أرجاء السماء يشغلها أكثر من ذات إلهية واحدة. فلا بد أن يحتوي التوحيد المسيحي على أكثر من مُفكّر إلهي واحد، ومنقذ إلهي واحد، وأيضاً ممثل إلهي واحد، وكذلك أيضاً مُحَبّ إلهي واحد. وذلك لأنه إذا كان الله الآب والله الابن «واحدًا»، فهما ليسا شخصاً واحداً، فوحدتهما تشبه بصورة أكثر الزواج حيث يصبح شخصان جسداً واحداً، أو مثل أفراد مرتبطين معاً بداخل مجتمع واحد.»(٢٣)

نحن نختبر وجود الثالوث بعدة طرق بينما نحيا الحياة المسيحية، فنحن نصلي لله الآب بقيادة الروح القدس وذلك في اسم يسوع. ونطلب من الروح القدس أن يقودنا بينما نشهد لله ونتحدث عن المسيح وعمله. وكذلك أيضًا نحن نتكل على الروح القدس ليفتح قلوب الأفراد الذين نكرز لهم، فهم يدخلون ملكوت السماوات فقط عندما يستقبلون المسيح، فإذا قبلوه يكونوا قد دخلوا عائلة الله ويصبح بإمكانهم أن يدعوا الله «أبوهم». قد يساعدنا التفكير في هذا الأمر هكذا؛ الروح القدس يسكن فينا والمسيح يُثَلِّنا أمام الله الآب في السماوات، فالله بالطبع موجود معنا دائمًا في كمال كيانه، وهذا يعني أن الله الآب معنا والله الابن معنا وأيضًا الله الروح القدس معنا.

نحن نمجد الله الآب والله الابن والله الروح القدس. عندما نأتي لبعض الأمور اللاهوتية، من الأفضل لنا أن نسبح الله أكثر من أن نفهمها. يمكننا أن نفهم الأمور التي أعلنها الله لنا، فهو قد أعلن عن ذاته كآب والابن والروح القدس. وليس الثالوث بمثابة ثلاثة أمهات من الكيانات، فهو ليس ثلاثة أدوار، وهو أيضًا ليس أن الله يضع قناعًا ويظهر باعتباره الآب في التاريخ القديم، ثم يضع قناعًا آخرًا ويظهر باعتباره المسيح، وأخيرًا يضع قناعًا آخرًا ويظهر باعتباره الروح القدس، ليس هذا ما يعنيه الثالوث، بل هذا ما يعتقده بعض الأفراد. إلا أن هذا ليس الثالوث، فيعني الثالوث أن هناك ثلاثة أقانيم في ذات الله، وبالتالي فمن اللائق أن نعبد الله الآب والله الابن والله الروح القدس.

كتب فريدريك ويليام Frederick William Faber (١٨١٤ - ١٨٦٣)

القصيدة الجميلة التالية، وهي تحت عنوان «الثالوث القدوس»:

أيها الثالث المبارك! يجدر بأبنائك أن يرفعوا قلوبهم إليك،
ويُباركوا جلالك المثلث الأقانيم! يا أيها الثالث القدوس!
مبارك أنت بذاتك المثلث المتكافئ، فأنت الله واحد ونحن نُمجّدك.
يا أيها الثالث المقدس! أنت قدوس، فريد وأبدي،
فيك الحياة والحب والنور. يا أيها الثالث القدوس!
مبارك أنت بذاتك المثلث المتكافئ، فأنت الله واحد ونحن نُمجّدك.
يا أيها الثالث المقدس! أنت الله ذات الألف صفة، نحن نرى؛
أنه ليس صالح سواك، يا أيها الثالث القدوس!
مبارك أنت بذاتك المثلث المتكافئ، فأنت الله واحد ونحن نُمجّدك.
يا أيها الثالث المقدس! نحن نقر بك في خشوع وذهول،
فجمالك غير مخلوق، يا أيها الثالث القدوس!
مبارك أنت بذاتك المثلث المتكافئ، فأنت الله الواحد ونحن نُمجّدك.
يا أيها الثالث المقدس! أبسط ما فيك هو جلالك، فأنت ثلاثة في واحد؛
إلى الأبد أنت الله وحدك، يا أيها الثالث القدوس!

مبارك أنت بذاتك المثلث المتكافئ، فأنت الله واحد ونحن نمجّدك.

يا أيّها الثالوث المبارك! أنت مصدر الربوبية، في سكون؛

أنت تسكن للأبد وللأبد أنت فيّاض، يا أيّها الثالوث القدوس!

مبارك أنت بذاتك المثلث المتكافئ، فأنت الله واحد ونحن نمجّدك.

يا أيّها الثالوث المبارك! يا أيّها الآب الذي لم يولد، تعال وأعطنا دموعاً؛

تُروي حبنا وتهدئ مخاوفنا، يا أيّها الثالوث القدوس!

مبارك أنت بذاتك المثلث المتكافئ، فأنت الله واحد ونحن نمجّدك.

يا أيّها الثالوث القدوس! يا أيّها الابن اللامع، أنت فكر الله الواضح،

أنت مولود ولست مخلوق. يا أيّها الثالوث القدوس!

مبارك أنت بذاتك المثلث المتكافئ، فأنت الله واحد ونحن نمجّدك.

يا أيّها الثالوث المبارك! الروح القدس المعادل لله، والباراقليط العجيب،

فبك تكتمل الربوبية. يا أيّها الثالوث القدوس!

مبارك أنت بذاتك المثلث المتكافئ، فأنت الله واحد ونحن نمجّدك.

يا أيّها الثالوث المبارك! نحن نمجّدك ونباركك ونعبّدك أنت وليس سواك،

هناك الثلاثة يجلسون على العرش الواحد، يا أيها الثالوث القدوس!

مبارك أنت بذاتك المثلث المتكافئ، فأنت الله واحد ونحن نمجّدك.

يا أيها الثالوث المبارك! في ظلام ليالي الصلاة الهادئة؛

نحن نعبدك ويغطينا نورك. يا أيها الثالوث القدوس!

مبارك أنت بذاتك المثلث المتكافئ، فأنت الله واحد ونحن نمجّدك.

يا أيها الثالوث المبارك! نكاد نذوب من فرط حب جلالك،

يا أيها الثالوث الذي لا يُضاهيه شيء، سوى الثالوث المقدس،

يا أيها الثالوث القدوس!

مبارك أنت بذاتك المثلث المتكافئ، فأنت الله واحد ونحن نمجّدك.» (٢٤)

الفصل السادس

خليقةٌ تتغنى بها

لقد خلق الله الكون فسيحًا جدًّا وخلاّبًا، فلا يزال رواد الفضاء يكتشفون وباستمرار كواكب وكوازارات (أشباه النجوم) جديدة؛ فهذا الكون أكبر جدًّا مما تداركته الأجيال السابقة، وليس لدينا أسباب تجعلنا نفكر أنه قد تتوقف اكتشافات الإنسان لحجم هذا الكون، بل في حقيقة الأمر قد يكون هناك عوالم أخرى نحن لا نعرف عنها شيئًا، وذلك لأن الخالق أبدي وليس هناك حدود لقوته. يستهل الكتاب المقدس كلامه بقوله: «فِي الْبَدْءِ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ» (تكوين ١: ١)، وهذه الآية بمثابة المبدأ الأساسي لعلم اللاهوت الكتابي؛ فالله هو الخالق، ووجوده لم يَحْدُثْ صُدْفَةً أو من تلقاء نفسه، وهو أيضًا ليس أمرًا بلا بداية.

تعود الكثير من مشكلات الإنسان إلى معتقداته حول الخليقة. فإذا كنا نعتقد أن الإنسان ليس إلا نتاج عملية التطور وأنه مجرد حيوان، فغالبًا سيتصرف الإنسان وفقًا لاعتقاده هذا. يوضح هذا الأمر كيف يتم التقليل من شأن الحياة البشرية في بعض المجتمعات، ويفسر أيضًا هذا الأمر العديد من عمليات القتل الجماعي وأيضًا العديد من حوادث القتل العشوائية، بل ويفسر أيضًا العديد من الأفكار التي تقف وراء عمليات الإجهاض، وكذلك العديد من صور الفساد الأخلاقي في المجتمعات الحديثة؛ ما نؤمن به يُحدد كيف سنتصرف.

ولأن الله هو من خلق الكون وكل ما عليه، علينا أن نتعامل مع خليقته باحترام، بل ونعتني بها، فهذا الأمر يُحدد كيف نتعامل مع من حولنا وكذلك أيضاً مع البيئة التي تحيط بنا، وعلينا أن نمتلئ بنوع من الرهبة بينما ننظر إلى الأشياء التي صنعها الله. أتذكر عندما رأيت أشجار السيكونيا في حديقة السيكونيا المحلية بكاليفورنيا، والتي يوجد بها شجرة الشيرمان التي تبلغ من العمر ما بين ١٩٠٠ و ٢٥٠٠ عامًا، فقد يعني هذا الأمر أن هذه الشجرة موجودة قبل أن يولد المسيح، وهي ترتفع إلى السماء بطول ٢٧٤ قدمًا، وتبلغ المساحة التي تغطيها على سطح الأرض حوالي ١٠٢ قدمًا؛ فعندما رأيت هذه الأشجار العملاقة غلبتني العاطفة، فوجدت نفسي أرتل «كم أنت عظيم يا الله». يُمكنك أن تقرأ عن هذه الأشجار الساحرة في كتاب يُسمى السيكونيا العملاقة، الذي نشرته جمعية سيكونيا للتاريخ الطبيعي.^(١)

مَنْ هو إذًا خالق كل هذا الكون بما عليه؟ إنه الثالث؛ الله الآب والله الابن والله الروح القدس. جاء في سفر (نحميا ٩: ٥-٦) كلمات تمجيد للإله، تقول: «قُومُوا بَارِكُوا الرَّبَّ إِلَهُكُمْ مِنَ الْأَزَلِ إِلَى الْأَبَدِ، وَلِيَتَبَارَكِ اسْمُ جَلَالِكَ الْمُتَعَالَى عَلَى كُلِّ بَرَكَةٍ وَتَسْبِيحٍ. أَنْتَ هُوَ الرَّبُّ وَحْدَكَ. أَنْتَ صَنَعْتَ السَّمَاوَاتِ وَسَمَاءَ السَّمَاوَاتِ وَكُلَّ جُنْدِهَا، وَالْأَرْضَ وَكُلَّ مَا عَلَيْهَا، وَالْبَحَارَ وَكُلَّ مَا فِيهَا، وَأَنْتَ تُحْيِيهَا كُلَّهَا. وَجُنْدُ السَّمَاءِ لَكَ يَسْجُدُ». نحن نرى تفرّد الله في خليقته، قد نقول في بعض الأحيان أن الإنسان خلق شيئًا ما، بل في حقيقة الأمر الإنسان فقط يستخدم المواد التي هي موجودة بالفعل، لكن الله خلق من العدم، فكثيرًا ما نقرأ أن الله قال للشيء كن فكان. يقول الوحي: «فَبِمَنْ تَشَبَّهُونِي فَأَسَاوِيهِ؟» يَقُولُ الْقُدُّوسُ. ارْقَعُوا إِلَى الْعَلَاءِ عُيُونَكُمْ وَأَنْظُرُوا، مَنْ

خَلَقَ هَذِهِ؟ مَنْ الَّذِي يُخْرِجُ بَعْدَ جُنْدَهَا، يَدْعُو كُلَّهَا بِأَسْمَاءٍ؟ لِكَثْرَةِ الْقُوَّةِ وَكَوْنِهِ شَدِيدِ الْقُدْرَةِ لَا يُفْقَدُ أَحَدٌ» (إشعياء ٤٠: ٢٥-٢٦).

تشهد كل الخليقة لقوة الله ومجده، فهي مثل الكتاب المفتوح الذي يُمكن لأي فرد في أي مكان أن يقرأه، بل وهذه الخليقة أيضًا تقود الناس إلى ذلك الإله الخالق الفريد؛ فيقول الوحي: «السَّمَاوَاتُ تَحَدَّثُ بِمَجْدِ اللَّهِ، وَالْفَلَكَ يُخْبِرُ بِعَمَلِ يَدَيْهِ. يَوْمٌ إِلَى يَوْمٍ يُذِيعُ كَلَامًا، وَلَيْلٌ إِلَى لَيْلٍ يُبْدِي عِلْمًا. لَا قَوْلَ وَلَا كَلَامَ. لَا يُسْمَعُ صَوْتُهُمْ. فِي كُلِّ الْأَرْضِ خَرَجَ مَنَظْفُهُمْ، وَإِلَى أَقْصَى الْمَسْكُونَةِ كَلِمَاتُهُمْ. جَعَلَ لِلشَّمْسِ مَسْكَنًا فِيهَا» (مزمو ١٩: ٤-١٠). هذه الشهادة الصامتة لله أمر دائم ومستمر، فعندما نرى رسمًا جميلًا، نعرف على الفور أن هناك مَنْ رسمه، وعندما نرى سيارة نعلم أيضًا أن هناك مَنْ قام بتصنيعها، وكذلك عندما نرى ناطحة سحاب، نعرف وبدون أن نسأل أن هناك مهندس معماري وعُمال قاموا ببناء هذا المبنى، فلماذا يصعب أن يدرك الأفراد وجود الخالق؟

هناك سبب لهذا الأمر. يشرح بولس في رسالة رومية أن الناس يريدون أن يفعلوا كل شيء بدون أن يكونوا مسؤولين أمام الله عن أفعالهم، أي أن يصنعوا آلهة لأنفسهم بدلًا من أن يعبدوا الإله الحي، فيقول الوحي: «لَأَنَّ أُمُورَهُ غَيْرَ الْمَنْظُورَةِ تَرَى مِنْذُ خَلْقِ الْعَالَمِ مُدْرَكَةً بِالْمَصْنُوعَاتِ، قُدْرَتَهُ السَّرْمَدِيَّةَ وَلَاهُوَّتَهُ، حَتَّى إِنَّهُمْ بِلَا عَذْرِ لِأَنَّهُمْ لَمَّا عَرَفُوا اللَّهَ لَمْ يُجَدُّوهُ أَوْ يَشْكُرُوهُ كَالِهٍ، بَلْ حَمَقُوا فِي أَفْكَارِهِمْ، وَأَظْلَمَ قَلْبُهُمُ الْعَبْيُ.» (رومية ٢٠: ٢١-٢١)، فما الذي فعله الإنسان؟ صنع الإنسان أصنامًا تشير إلى أشياء في الخليقة، وبدأ يعبد أشياء مخلوقة بدلًا

من أن يعبد الخالق، ويستمر الإنسان في هذا الفعل حتى يومنا هذا. الإنسان يبحث عن إله يمكن التحكم فيه، بل ويحدث في بعض الأحيان أن الإنسان يجعل نفسه هذا الإله.

يشير الوحي في العهد الجديد أن المسيح هو الخالق، وهذا الأمر ليس تناقضاً لأن كل أقانيم الثالوث اشتركوا في عملية الخلق كما اشتركوا أيضاً في عملية الفداء. قارن ما جاء في (يوحنا ١:١) مع ما جاء في (تكوين ١:١). «فِي الْبَدْءِ كَانَ الْكَلِمَةُ، وَالْكَلِمَةُ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ، وَكَانَ الْكَلِمَةُ اللَّهُ. هَذَا كَانَ فِي الْبَدْءِ عِنْدَ اللَّهِ. كُلُّ شَيْءٍ بِهِ كَانَ، وَبِغَيْرِهِ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مِمَّا كَانَ» (يوحنا ١:١-٣)، فالمسيح لم يخلق كل شيء وحسب بل هو يحمل كل شيء، وهذا ما جاء به الوحي عندما قال: «الَّذِي هُوَ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ، وَفِيهِ يَقُومُ الْكُلُّ» (كولوسي ١:١٧). إن هذا الأمر مذهل في حد ذاته، فكوكب الأرض وغيره من الأجسام السماوية تتحرك في مجراتها بسرعة عظيمة، ولدى الشمس تلك الطاقة الهائلة التي بإمكانها تدمير الأرض، كل هذه الأشياء تتحرك بدقة متناهية وبحدود ومسافات مناسبة تماماً بحيث أن كوكب الأرض محفوظ ومتجدد.

يؤكد الوحي في (عبرانيين ٣:١١)، وهو جزء من الإصحاح الذي يتحدث عن الإيمان، أنه ينبغي أن يكون الإيمان هو رد فعلنا تجاه عظمة الخالق، فيقول: «بِالْإِيمَانِ نَفْهَمُ أَنَّ الْعَالَمِينَ أُتِفِقَتْ بِكَلِمَةِ اللَّهِ، حَتَّى لَمْ يَتَكَوَّنْ مَا يَرَى مِمَّا هُوَ ظَاهِرٌ»، أما في (عبرانيين ٢:١) فيشير الكاتب إلى المسيح باعتباره الخالق، فيقول: «الَّذِي جَعَلَهُ وَارِثًا لِكُلِّ شَيْءٍ، الَّذِي بِهِ أَيْضًا عَمِلَ الْعَالَمِينَ». مرة أخرى يُذكرنا الوحي بالخالق في آخر أسفار الكتاب المقدس حيث يقول: «أَنْتَ

مُسْتَحِقُّ أَيُّهَا الرَّبُّ أَنْ تَأْخُذَ الْمَجْدَ وَالْكَرَامَةَ وَالْقُدْرَةَ، لِأَنَّكَ أَنْتَ خَلَقْتَ كُلَّ الْأَشْيَاءِ، وَهِيَ بِإِرَادَتِكَ كَانَتْهُ وَخُلِقَتْ» (رؤيا ١١:٤).

ما يحدث عندما ننظر إلى السماء أننا ننظر إليها بخشوع، فبسبب الأضواء الصناعية التي تملأ المدينة من حولنا يصعب رؤية الكثير من النجوم؛ إلا أن هناك أماكن يُمكننا فيها أن نرى السماء مليئة بعدد مذهل من النجوم، وهذا بالعين المجردة. يُمكن أيضًا أن نرى العديد من الأمور المذهلة في السماء إذا استخدمنا تليسكوب كبير. يُشير جيمس إيروين James Irwin إلى عدد النجوم التي بإمكانها أن تُذهل عقولنا، فيقول: «يقدر العلماء عدد النجوم بنحو ١٠٠ بليون نجمًا في مجرتنا فقط، ويُقدرون أيضًا أن هناك ١٠٠ بليون مجرة، لدى كل واحدة نفس عدد النجوم التي في مجرتنا، فهذا سيساوي ١٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠ نجمًا، ولكي نضع هذا العدد في منظور بشري، سيُمكن القول أنه إذا تمكّن كل فرد على الأرض من عدّ ٥٠ بليون نجمة، سيتبقى هناك بليون نجمة غير معدودة.»^(٢)

قام جون تيمبليتون John Templeton بالتعبير عن العدد المذهل للنجوم بهذه الطريقة حيث قال: «إذا كنا نمتلك أطلس لمجرتنا، بحيث تكون كل صفحة من صفحاته خاصة بنظام نجم واحد في درب التبانة (بحيث تكون الشمس وكل كواكبها في صفحة واحدة)، ستبلغ صفحات هذا الأطلس ما يفوق عشرة ملايين مجلدًا، لكل واحد عشرة آلاف صفحة، وسيكلف هذا الأمر مكتبة بحجم مكتبة هارفارد لتحتوي هذا الأطلس، وسيطلب منك هذا الأمر أن تمر بالكاد على صفحة واحدة كل ثانية حتى تنتهي من الأطلس

بأكمله في عشرة آلاف عامًا.»^(٣) جاء في كتاب آخر ما يشير إبهارنا حيث كتب كاتبه يقول: «إذا وضعنا كل الكتب التي طُبعت في هذا العالم في كومة واحدة، سيكون هناك الكثير من النجوم التي تفوق عدد الحروف التي في صفحات البلايين من هذه المجلدات.»^(٤)

يُخبرنا الكتاب المقدس أن الله يعرف كل أسماء هذه النجوم، لا شيء في هذه الخليقة يَبْعُد عن علمه وعنايته. لكن ليس فقط الأشياء العملاقة التي خلقها الله هي التي تبهرنا، هناك الكائنات الدقيقة أيضًا، فالله خلق كل الأشياء التي لا يتمكن الإنسان من رؤيتها. فُكِّر في الذرة التي لا نستطيع أن نراها بأعيننا المجردة، إلا أننا نعرف أنها بمثابة الوحدة الأساسية في كل الأشياء. كتب ريتشارد سوينسون Richard Swenson يقول: «إذا أردنا أن نحسب عدد الذرات في قطرة ماء واحدة، سيتطلب هذا الأمر أن يقوم كل إنسان على وجه الأرض بَعْدُ ذرة واحدة كل ثانية لمدة عشرين ألف عامًا.»^(٥) يا له من أمر مذهل، الله أيضًا خلق الذرات والكائنات الدقيقة التي لا نعرف عنها شيئًا.

يشبه كوكب الأرض الذي نعيش عليه ذرة تراب في هذا الكون الهائل، وهناك أشكال متنوعة من الحياة على هذه الأرض المتناهية الصغر، فهناك آلاف الأنواع من الحيوانات والطيور والأسماك والحياة النباتية، ويُقدر أن هناك حوالي ١٠,٠٠٠ نوعًا مختلفًا من الطيور، و ٢٨,٠٠٠ نوعًا مختلفًا من الأسماك، وهناك أيضًا مليون ونصف حيوانًا منهم الحشرات؛ كذلك أيضًا هناك حوالي ٤٠٠,٠٠٠ نوعًا من الزهور، وحوالي ١٠٠,٠٠٠ نوعًا مختلفًا من

الأشجار، وهناك آلاف الأنواع المختلفة من شجر الأور كيد فقط، يا له من أمر مذهل! ففي كل مكان تجد تنوع وجمال في الطبيعة، فَمَن الذي صنع كل هذا وَمَن الذي يجعل الحياة تستمر؟ إنه الخالق الرئيسي، هو الفنان الذي لا يُضاهيه أحد، وهو أيضًا المهندس البارِع، فهو الله الحي.

يستطيع الطائر الطنان أن يحلّق على ارتفاع ٢,٠٠٠ ميلًا، وبإمكان الأور أن يطير على شكل حرف «V»، ولهذا فهي تستطيع أن تطير لمسافة أبعد بنسبة ٧١٪، وإذا حدث وأصيبت واحدة منهن، تخرج واحدة أخرى وتمكث معها حتى تتعافى. أيضًا بإمكان سمك السلمون أن يعود للبقعة التي وُلد فيها على الأقل مرة واحدة في حياته، ويعيش هذا النوع من الأسماك في مياه مالحة وأيضًا في مياه عذبة. أما النمر فهو لا يُمكن أن يُكرر أسلوب الهجمة التي يقضي بها على فريسته. فَمَن الذي منح هذه المخلوقات تلك الغرائز وجعلهم مختلفين عن بعضهم البعض؟ يحمل هذا السؤال إجابة واحدة فقط وهي: إنه الخالق.

إن كل ما يخصنا هو بمثابة شهادة تُشير إلى الخالق، واحدة من هذه الشهادات هي الثلوج، فلم يوجد أبدًا ندفتين متشابهتين من ندفات الثلوج التي تتساقط في فصل الشتاء، فُكّر في البلايين منها التي تتساقط في كل شتاء، فكل واحدة من تلك تختلف عن الأخرى. «فليس من المرجح أن تكون أي بلورتين ثلجيتين معقدتي الشكل من بين كل تلك التي تساقطت على مدار تاريخ الكوكب بأكمله، متشابهتين بالتمام»^(٦) لقد قضى رجلًا ما عمره كله يدرس ندفات الثلوج، فقد أخذ هذا الرجل ٥,٠٠٠ صورة مختلفة لندفات

الثلوج، كانت كل واحدة من تلك نموذجًا جميلًا، فهل هذا كله محض الصدفة؟ بالكاد، بل إن هذا دليل على وجود خالق.

ما احتمالية أن كل هذه الخليفة التي تتسم بالتعقيد جاءت بمحض الصدفة؟ إن النسب قليلة جدًا تبدو مستحيلة. يشير توماس دوباي Thomas Dubay إلى تلك الجملة التي قدمها عالِمان والتي تقول: «إن الحيوانات والنباتات الحية بالأمر المعقد جدًا وبصورة خلافة، بحيث أن عالم الفلك فريد هويل Fred Hoyle وعالِمة الفلك الفيزيائي كاندرا ويكراماسينجي Chandra Wichramasinghe، قد حسبوا احتمالية أن تكون الحياة وليدة الصدفة، وكانت نسب هذه الاحتمالية هي واحد في ١٠^{٤٠٠٠٠} - فهذا بمثابة استحالة لا توصف.»^(٧) فما ستكون احتمالية أن تظهر ساعة يد بالمصادفة على مدى ملايين السنين؟ وما احتمالية أن يظهر عمل فني مثل ذلك الذي رسمه ليوناردو دافنشي بالمصادفة على مدار بلايين السنين؟ فإن هذه الأسئلة تُجيب عن نفسها، وينطبق الشيء نفسه فيما يخص الخليفة التي حولنا.

لم يخلق الله فقط الأشياء التي نراها، بل أيضًا خلق حقائق غير مرئية بأعيننا. لقد خلق الملائكة، كما قال الكتاب: «فَإِنَّهُ فِيهِ خُلِقَ الْكُلُّ: مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا عَلَى الْأَرْضِ، مَا يُرَى وَمَا لَا يُرَى، سَوَاءٌ كَانَ عُرُوشًا أَمْ سَيَادَاتٍ أَمْ رِيَاسَاتٍ أَمْ سَلَاطِينَ. الْكُلُّ بِهِ وَلَهُ قَدْ خُلِقَ» (كولوسي ١: ١٠). ما ذكر هنا من العروش والسيادات والرياسات والسلطين، يُشير إلى رتب الملائكة، فهذه كائنات روحية ليس لها أجساد مثلنا، وهؤلاء قد يظهرون في أجساد في بعض

الأحيان، إلا أنهم بطبيعتهم ليس لهم أجساد، ونحن على علم ببعض أسمائهم، مثل جبرائيل الذي عرّف نفسه عندما تحدث مع زكريا في الإصحاح الأول من إنجيل لوقا، أيضًا أرسل الله جبرائيل إلى مريم ليعلن لها أنها ستحمل وستلد ابنها يسوع. ويُشير الكتاب المقدس أيضًا إلى الملك ميخائيل.

إن الملائكة أقوى جدًّا من البشر، وهم كائنات تخدم الله وقد يرسلهم لتأدية مهام معينة. يُسمون «أرواح خادمة»، فقد خدموا يسوع بعد أن جرّبه الشيطان وأيضًا خدموه في وقت آلامه في جثيماي. من الممكن أنك قد تقابلت مع ملائكة وأنت لا تعرف، فهناك من يسردون قصصًا عن رجل كان يظهر في أوقات العوز ثم يختفي، وهذا الرجل لم يجده أحد ولم يعرف أحد عنه شيئًا. كم عدد الملائكة التي خلقها الله؟ لا نعرف الإجابة على هذا التساؤل إلا أننا نعلم أن هناك الملايين منهم. نقرأ في (رؤيا ٥: ١٣) «وَنَظَرْتُ وَسَمِعْتُ صَوْتَ مَلَائِكَةٍ كَثِيرِينَ حَوْلَ الْعَرْشِ وَالْحَيَوَانَاتِ وَالشُّبُوحِ، وَكَانَ عَدَدُهُمْ رَبَوَاتٍ رَبَوَاتٍ وَأُلُوفٍ أُلُوفٍ»، لدى هؤلاء الكثير ليفعلوه في إطار خليفة الله، وهم يجدون سعادتهم في عبادة الله وخدمته، وقد استخدم الله الملائكة في خدمته على مدار التاريخ.

من الواضح أن إبليس كان ملاكًا يتمتع برتبة عالية، ويبدو أنه كان لديه كل شيء قد يحلم به أي شخص؛ كان يتمتع بذكاء وجمال وقوة. تشير هذه الكلمات التي جاءت في إشعياء عن لوسيفار وذلك حين قال: «كَيْفَ سَقَطْتَ مِنَ السَّمَاءِ يَا زَهْرَةٌ، بِنْتُ الصُّبْحِ؟ كَيْفَ قُطِعْتَ إِلَى الْأَرْضِ يَا قَاهِرَ الْأُمَمِ؟ وَأَنْتَ قُلْتَ فِي قَلْبِكَ: أَصْعَدُ إِلَى السَّمَاوَاتِ. أَرْفَعُ كُرْسِيِّي فَوْقَ كَوَاكِبِ اللَّهِ، وَأَجْلِسُ

عَلَى جَبَلِ الْاجْتِمَاعِ فِي أَقَاصِي الشَّامِ. أَصْعَدُ فَوْقَ مُرْتَفَعَاتِ السَّحَابِ. أَصِيرُ
مِثْلَ الْعَلِيِّ» (إشعياء ١٤: ١٢-١٤). لم يكن الشيطان مكتفياً بمكانته كخادم لله،
بل أراد أن يكون مثل الله، أراد أن يجلس على العرش، هل تتذكر التجربة التي
ذكرها سفر التكوين؟ فقد أخبر الشيطان حواء أنها ستكون مثل الله إذا أكلت
من الشجرة، ولا يزال الشيطان يَعد بهذا الأمر على مدار التاريخ.

وقد سقط العديد من الملائكة الآخرين عندما سقط إبليس، فهؤلاء شاركوه
الخداع وكبرياء القلب، ونحن نُسمي هؤلاء بالملائكة الساقطين «الشياطين»،
وهؤلاء يمارسون تأثيرهم بطرق عدة، فأحياناً يسكنون رجالاً ونساءً، وهذا
يحدث حتى يومنا هذا، فهم يحاربون الله، ويكذبون ويخدعون. يُصوِّر إبليس
في بعض الأحيان بأنه كان قبيح الهيئة ومُخيف، إلا أن الكتاب المقدس يقول ما
هو عكس ذلك. هو ذكي وأيضاً جذاب الشكل، فيقول الوحي عنه: «وَلَا عَجَبَ.
لَأَنَّ الشَّيْطَانَ نَفْسَهُ يُعَيِّرُ شَكْلَهُ إِلَى شَبْهِ مَلَائِكَةِ نُورٍ!» (كورنثوس الثانية ١١: ١٤).
لهذا السبب يُعجب به الناس، فهو يأتي إليهم ويقدم لهم عروضاً مغرية، هو
يأتي في شبه ملاك نور.

من الألقاب الأخرى لإبليس تلك التي تُشير إلى ما هو مزمع أن يفعله،
فيُسمى «المشتكي على الإخوة» و«أبو الكذاب» و«الخصم» و«الشيطان» و«إله
هذا الدهر» و«المجرَّب» و«المخادع». هو من يخدع الناس، فكانت هذه خطته
مع آدم وحواء، جعلهم يصدقون كذبه، وقد حاول إبليس خداع يسوع إلا أن
محاولاته هذه لم تفلح، لأن يسوع كان يعرف كلمة الله وقد استخدمها ضد
خداع إبليس.

واحدة من الحيل الكبيرة التي يستخدمها الشيطان هي جعل الناس ينكرون وجوده. إذا حدث في وقت الحرب أننا تجاهلنا العدو سنخسر، وستكون خسارتنا كبيرة، فمن الحكمة أن نعرف عدونا ونعرف غرضه وخططه. فبينما هذا الأمر حقيقي، يجب أن نعرف أن الشيطان خصمنا مهزوم، فهو ليس كلي القوة، بل قوته محدودة، قد نسمع الناس يقولوا أن الشيطان جعلهم يفعلون ذلك أو تلك، إلا أن هذا في غالب الأمر هو رغبة الجسد ومحبة العالم التي يستخدمها إبليس أو أحد الشياطين، فالشيطان لا يمكن أن يكون في كل الأماكن في ذات الوقت.

هناك قصة متداولة عن صموئيل روثرفورد Samuel Rutherford، الذي كان نائمًا وسمع صوت ضجيج، فاستيقظ من نومه ورأى أمامه إبليس جالسًا على كرسي، تقول القصة أن صموئيل قال أمرًا مثل «أحقًا، هذا أنت»، ثم مضى ونام مجددًا.

عندما يأتي إلينا إبليس علينا أن نرسل يسوع ليفتح الباب له، ولابد أن نشير إلى دم المسيح، فيقول الكتاب أنهم غلبوه بدم الخروف وبكلمة شهادتهم. قد نشعر أننا ضعفاء، إلا أن نصرّة الرب حقيقية وهي تتحقق في نهاية الأمر، فنحن أعظم من منتصرين به.

خلق الله أيضًا الرجل والمرأة، وهذا الأمر يوضح قوة الله، يقول الوحي: «فَخَلَقَ اللَّهُ الْإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِهِ. عَلَى صُورَةِ اللَّهِ خَلَقَهُ. ذَكَرًا وَأُنْثَى خَلَقَهُمْ» (تكوين ١: ٢٧)، وهذا الامتياز يضع الرجل والمرأة فوق كل الخليفة، فهما مخلوقان على صورة الله، فما يعني هذا؟ يعني هذا الأمر أننا مخلوقين

ليكون لنا علاقة مع الله الحي، ويعني أيضًا أن الله أعطانا إرادة حرة لنختار ولنفعل، يعني كذلك أن الله أعطانا ذكاءً لتتعلم ولنتبكر.

لقد شوّهت صورة الله التي جُبل عليها الرجل والمرأة بسبب سقوط الإنسان. عاش الإنسان لبعض الوقت يتمتع بعلاقة كاملة مع الله، فأدم وحواء كانا يسيران مع الله ويتحدثان معه في الجنة. يعتقد الكثيرون أن آدم وحواء كان يغطيهما نور مجد. كان هدفهم الواحد هو محبة الله وإجلاله، وكانت كل احتياجاتهم مُسددة، إلا أنهما - مثل إبليس - أرادا المزيد. لقد صدّقاً كذباً. يشرح جين ادواردز Gene Edwards في كتابه الذي يُسمى «البدائيات» كيف كان الأمر عندما وقع آدم وحواء في الخطية، فيقول: «لقد انكسر رمز كمال الكوكب المفضل وأصبح أشلاء عندما قضمت أسنان آدم تلك الثمرة المحرمة، وبدأ سقوط الخليقة من المجد الذي كانت فيه، وذلك بخطوة ثابتة، فالثمرة الشهية التي ابتلعها آدم ونزلت حلقه ودخلت جسده حتى انتشرت، كانت هي ما جعل المرض المستوطن في تلك الشجرة يأخذ له وطناً بداخل آدم، فبدأ جسد آدم يتغير؛ لمعت عيناه كنار وتنبه أن جسده عارٍ، وحدث للمرة الأولى أن ومض رداؤه. بدأ آدم في عقله وكأنه يحدق في عالم بعيد وغير موجود، فكان غارقاً في حقائق غير موجودة.»^(٨)

إن ما نراه اليوم هو ما تبقى من الإنسان بعد الخراب الذي خلفته الخطية، وبالرغم من أن صورة الله قد شوّهت في الإنسان، إلا أنه لا يزال بإمكاننا رؤية بقاياها؛ فهناك في قلب الإنسان جوع إلى الله، وفراغ بدون الله، وهناك أيضاً فراغ لا يملأه إلا الله وحده. وبالرغم من أن الخطية قد أفسدت

الكثير مما كان يريد الله للإنسان، إلا أن الإنسان لا يزال بإمكانه اتخاذ قرارات، ولا يزال يسمع صوت الله.

إن جسد الإنسان بمثابة شرح هائل لحكمة الله وقوته، فجسم الإنسان مكوّن من ملايين الخلايا، وكل خلية مثل مدينة في حد ذاتها. «تخيّل أن هناك مدينة صغيرة جدًّا بحيث أن عين الإنسان المجردة لا يُمكن أن تراها، إلا أن هذه المدينة الصغيرة بها الملايين من بوابات الاستقبال والإغلاق، وبها نظام نقل ومكتبة من المعلومات ومحطات تصنيع وأجهزة حواسيب وغيرها الكثير، تخيل أن كل واحدة من هذه المدن الضئيلة الحجم تصنع العديد من مثيلتها في أمسية واحدة.»^(٩)

هناك الكثير من الدراسات والتحليل التي تدور حول مخ الإنسان، ورغم هذا يقف هذا العضو بمثابة لغز كبير، فيشير جون تيمبليتون وروبرت هيرمان John Templeton and Robert Herrman إلى ذلك ويقولوا: «إن تكتل كل الخلايا العصبية في مخ الإنسان وأيضًا العديد من الروابط بين الخلايا العصبية، تصل لدرجة من التعقيد تنافس فيها عدد النجوم في الكون، وبالتالي فهناك كون من التعقيد في رأس كل إنسان.»^(١٠) كما قال ريتشارد سوينسون Richard Swenson وهو طبيب: «في ضوء هذه المقارنات، إنني أعلم الأطباء الشباب أن الجسم البشري أكثر تعقيدًا بمليون مرة من هذا الكون الذي نحيا فيه.»^(١١) إن مخ الإنسان أكثر كفاءة وسرعة من أعظم حاسوب تم تصنيعه، فبإمكان المخ البشري أن يقوم بـ ٣٨,٠٠٠ ترليون عملية في الثانية الواحدة، في حين أن أفضل حاسوب في العالم بإمكانه أن يقوم بـ ٠,٠٠٢ ٪ من هذه

العمليات! (١٢) ويتابع قائلاً: «إن سعة مخ الإنسان كبيرة جداً بحيث يمكنها أن تحمل معلومات تتساوى بعدد المعلومات التي في خمسة وعشرين مليون كتاباً، فبإمكان المعلومات التي بداخل مخ الإنسان أن تملأ مكتبة يصل طولها ٥٠٠ ميلاً، وبالمقابل تجد أن مكتبة الكونجرس تحمل سبعة عشر مليون مجلداً.» (١٣) يُعلّق سوينسون Swenson بقوله أن الخلايا العصبية التي في مخ الإنسان فريدة جداً، ويقول: «ليست هذه الخلايا العصبية كأجزاء الحاسوب، بل هي ذاتية جداً، فلا تجد خليتان متشابهتان بالتمام، ويختلفون أيضاً في تعاملهم مع المعلومات المُستقبلة، فكل خلية عصبية فريدة جداً في محيط كل الكون، كل هذا يجعل الأمر يبدو لي وكأن الله قد تفوق وبحق على ذاته.» (١٤)

يستخدم رجال البوليس البصمة لتعريف الناس، لما هذا؟ لأنه لا يوجد بصمتين متشابهتين، فحتى بصمة التوائم تختلف عن بعضها البعض. وهناك العديد من البلايين من الناس، وكل واحد من هؤلاء فريد جداً! ألا يُشير هذا إلى حكمة الخالق؟ أما عين الإنسان فيقال أن بإمكانها أن تُميز عشرة ملايين لوناً مختلفاً، وصوت الإنسان بمثابة أعجوبة أخرى، فبإمكان الإنسان أن يُغني ويتكلم ويناقش من خلال العديد من اللغات. «أذن الإنسان بمثابة مذياع ومكبر صوتي وأيضاً محلل للترددات، فهي آلة موسيقية بكل الأنواع: فإذا كان لدى البيانو ثمانية وثمانين مفتاحاً، وآلة الأرغن الكورتي لديها ما يفوق عشرين ألف مفتاح، فبإمكان الأذن أن تُميز بين عشرين ألف مقطع مختلف.» «أيضاً لدى أذن الإنسان مليون جزء متحرك.» (١٥)

يصنع الإنسان أموراً مذهلة، بالرغم من حالته الساقطة، فهو يصنع السيارات والطائرات، ويبني ناطحات السحاب والكاتدرائيات، وهو أيضاً

يرسم وينحت؛ وكذلك يكتب الروايات ويؤلف موسيقى رائعة، بإمكان الإنسان أيضًا أن يجد وسائل علاج لأمراض مختلفة وأن يُجري عمليات جراحية. بالطبع قد طال الفساد صورة الله التي خُلق عليها الإنسان، لكن وحتى مع هذا الأمر إلا أن وجود الإنسان ونشاطه يُشير إلى وجود ذلك الخالق الرائع.

سنظل دائمًا في اضطراب وحيرة بشأن كل ما بداخلنا وبشأن كل ما يُحيط بنا، ما لم نفهم الخليقة وأسباب الشر التي في العالم. يُعطي الكتاب المقدس التفسير الوحيد والمناسب للكون ومكانة الإنسان وحالته، فحتى الخليقة الساقطة هذه تُشير إلى الله الخالق في مجده، وحتى في حالة السقوط هذه بإمكاننا أن نرى حكمة الله وقوته.

تُرينا خليفة الله شيئًا من عظمته، فالفنان أعظم من الفن الذي يرسمه، والمهندس أكثر ذكاءً من المباني التي يبنها، فيقول كاتب المزامير: «إِذَا أَرَى سَمَاوَاتِكَ عَمَلٌ أَصَابِعِكَ، الْقَمَرَ وَالنُّجُومَ الَّتِي كَوَّنْتَهَا، فَمَنْ هُوَ الْإِنْسَانُ حَتَّى تَذْكُرَهُ؟ وَابْنُ آدَمَ حَتَّى تَفْتَقِدَهُ؟ وَتَنْقُصَهُ قَلِيلًا عَنِ الْمَلَائِكَةِ، وَمِجْدٍ وَبَهَاءٍ تُكَلِّلُهُ» (مزور ٨: ٣-٥).

كتب إيزاك واتس Issac Watts التسيبحة القديمة التالية، وهي تعبر عن الفرح الذي ينبغي أن نعيشه عندما نتفكر في الخليقة، تُسمى هذه التسيبحة

«إِنِّي أَتَغْنَى بِقُوَّةِ اللَّهِ الْقَدِيرَةِ»:

«إِنِّي أَتَغْنَى بِقُوَّةِ اللَّهِ الْقَدِيرَةِ»

التي جعلت الجبال ترتفع،
وبسطت البحر واسعاً،
وبَنَتِ السماوات العالية.
إنني أَشَدُّ بحكمته؛
التي هيأت الشمس أن تحكم النهار،
والقمر يُضِيءُ بكلمة أمره،
وكل النجوم تطيعه.
إنني أَتَغْنَى بِصَلاحِ الرب؛
الذي يَمَلَأُ الأرض بالطعام،
فهو قد شَكَّلَ الخَلِيقَةَ بكلمته،
وبعدها قال إنها حسنة.
يا رب أنظر كيف تبدو عجائبك؛
فأين أوجِّه عيني عنك؟
إذا نظرت للأرض فأنا أسير عليها،
أو قد أَحَدَّقُ في السماء.» (١٦)

الفصل السابع

خلاصٌ نتغنى به

واحد من الأسباب العظيمة وراء تَغْنِينَا - كمسيحين - هو الخلاص. أغلب الأديان لديها القليل من الأغاني، فما الذي يجعلك تُغني عندما تحاول أن تخلص ذاتك؟ فإذا كان هناك سبب للتغني، ستكون الأغاني حزينة وكثيية، إلا أن المسيحية مليئة بالتسابيح والتراتيم. في حقيقة الأمر يُمكنك أن تعرف الكثير عن المسيحية من خلال الأغاني التي بها عندما نفكر كمسيحين فيما فعله الله لأجلنا، نُغني. فإله قد خلصنا وهو من يُعطينا الأغاني؛ أغاني النصر وأيضًا أغاني الخلاص.

قد يسأل أحدهم لماذا نحتاج إلى الخلاص وما الذي خلصنا منه؟ يتحدث الكتاب المقدس عن حالنا باعتبارنا هالكين، فقد ضللتنا طريقنا، ويُشبهنا الكتاب المقدس بالغنم التي ضلت طريقها، فيقول: «كُلُّنَا كَغَنَمٍ ضَلَلْنَا. مِلْنَا كُلٌّ وَاحِدٍ إِلَى طَرِيقِهِ، وَالرَّبُّ وَضَعَ عَلَيْهِ إِثْمَ جَمِيعِنَا» (إشعياء ٦: ٥٣)، وقال يسوع إنه لهذا السبب قد جاء إلى العالم؛ ليخلص الذين ضلوا، فيقول الوحي: «أَنَّ ابْنَ الْإِنْسَانِ قَدْ جَاءَ لِكَيْ يَطْلُبَ وَيُخَلِّصَ مَا قَدْ هَلَكَ» (لوقا ١٩: ١٠). هل سبق وضللت طريقك؟ لقد ضللت طريقي ذات مرة في المدينة ولم أستطع العودة لمنزلي، وكان عليَّ أن أتصل بأختي لتأتي إليَّ، فلم أجد الطريق إليها. هذا ما فعله يسوع لأجلنا. فنحن ضللتنا طريقنا ولم نعرف طريق العودة إليه مرة أخرى، أما هو فقد جاء إلينا ووجدنا.

هناك أيضًا وصف آخر لحالتنا، ألا وهو «أَمْوَاتٌ بِالْخَطَايَا» (أفسس ٢: ٥). فنحن كنا منفصلين عن الله، وكان بيننا وبينه هوةٌ عظيمة. لم يكن بإمكان الإنسان أن يعبرُ إلى الله، لأن الخطية كانت سبب هذا الانفصال. لم يكن هذا الانفصال جغرافيًا، بل كان انفصاليًا في العلاقة والصدقة مع الله، فالذي حدث في جنة عدن كان بمثابة طلاق. لقد ابتعد الإنسان عن الله، وهذه هي حالة الموت الروحي. بدون المسيح نحن أموات بالذنوب والخطايا، لقد انفصلنا عن الله. ما لم نخلُص، ستستمر حالة الانفصال عن الله هذه إلى الأبد. حاول الإنسان أن يسد هذه الهوة التي بينه وبين الله عن طريق التدين والأخلاق والأعمال الحسنة وغيرها من الأمور، لكنه لم يتمكن من خلاص ذاته؛ فيوضح الكتاب في سفر إشعياء حالة الانفصال الروحي هذه إذ يقول: «هَا إِنَّ يَدَ الرَّبِّ لَمْ تَقْصُرْ عَنْ أَنْ تُخَلِّصَ، وَلَمْ تَثْقُلْ أُنْفُسُهُ عَنْ أَنْ تَسْمَعَ بَلْ آثَامُكُمْ صَارَتْ فَاصِلَةً بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ إِلَهُكُمْ، وَخَطَايَاكُمْ سَتَرَتْ وَجْهَهُ عَنْكُمْ حَتَّى لَا يَسْمَعَ» (إشعياء ٥٩: ١)، وكان أفضل ما يُمكن للإنسان فعله هو ما يشبهه الكتاب المقدس بقطعة رثة من القماش، وذلك حين قال: « وَقَدْ صِرْنَا كُلُّنَا كَنَجَسٍ، وَكَثُوبٍ عِدَّةٍ كُلُّ أَعْمَالِ بَرِّنَا، وَقَدْ ذُبُلْنَا كَوَرَقَةٍ، وَأَثَامُنَا كَرِيحٍ تَحْمِلُنَا. (إشعياء ٦٤: ٦).

يُمكن لكلمة اليأس أن تصف حالتنا بدون المسيح، فنحن كنا غرباء وأجانبين عن مملكة الله، وكنا تحت غضبه، بل كنا في حقيقة الأمر أعداء لله وكنا نحاربه ونعاديهِ؛ وبالتالي فكلمة يأس تصف حالتنا بصورة جيدة. لم نتمكن من خلاص أنفسنا، ولم يكن بإمكان أي كائن حي أن يُخلّصنا، كان على الجميع أن يتعاملوا مع خطاياهم؛ فالكل كان في حالة من اليأس. يقول

بولس الرسول في رسالة رومية أن المسيح مات عنا عندما كنا أعداء له، فهو مات لأجل أشرار وليس لأجل أبرار، لم يمت لأجل أصحاب بل لأجل مرضى، ليس لأجل أحياء بل لأجل أموات.

هناك العديد من الكلمات التي تُستخدم عند الحديث عن الخطية، وتبين هذه الكلمات حالة الإنسان، فكلمة «خطية» تعني «فقدان الهدف». فمهما يكن ما نفعله، لا يُمكننا أن نوفي ما يتوقعه الله أو يطلبه منا، فيقول الكتاب: «إِذِ الْجَمِيعُ أَخْطَأُوا وَأَعْوَزَهُمْ مَجْدُ اللَّهِ» (رومية ٣: ٢٣). من الكلمات الأخرى التي تعبر عن الاحتياج الروحي للإنسان هي كلمة «تعدّي»، تعني هذه الكلمة أن يتعدى الإنسان الحدود، أي أن يتجاوزها. تُشير هذه الكلمة إلى حقيقة أننا كسرنا قوانين الله. لم يعطينا الله الوصايا العشر لنخلص بها، بل كانت مثل المرأة التي تعكس حالتنا؛ ولخصها يسوع بقوله أن نحب الله فوق كل شيء ونحب الآخرين كأنفسنا. إذا تشككنا في حالة الإثم التي نحن عليها، فعلينا أن نتذكر كلمات يسوع هذه: هل نحب الله فوق كل شيء؟ وهل نحب الآخرين كما ينبغي؟

تكثر الكلمات التي تُعبر عن احتياجنا الروحي في (رومية ٣: ١٠-١٨) وهذه الكلمات اقتبسها بولس من المزامير، تقول: «كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ: «أَنَّهُ لَيْسَ بَارٌّ وَلَا وَاحِدٌ. لَيْسَ مَنْ يَفْهَمُ. لَيْسَ مَنْ يَطْلُبُ اللَّهَ. الْجَمِيعُ زَاغُوا وَقَسَدُوا مَعًا. لَيْسَ مَنْ يَعْمَلُ صَلاَحًا لَيْسَ وَلَا وَاحِدٌ. حَنَجَرْتُهُمْ قَبْرٌ مَفْتُوحٌ. بِالسِّنَنِهِمْ قَدْ مَكْرُوا. سِمُّ الْأَصْلَالِ تَحْتَ شِفَاهِهِمْ. وَقَمُهُمْ مَمْلُوءٌ لَعْنَةً وَمَرَارَةً. أَرْجَلُهُمْ سَرِيعَةٌ إِلَى سَفْكِ الدَّمِ. فِي طُرُقِهِمْ اغْتِصَابٌ وَسُخْقٌ. وَطَرِيقُ السَّلَامِ لَمْ يَعْرِفُوهُ.

لَيْسَ خَوْفُ اللَّهِ قَدَّامَ عُيُونِهِمْ»؛ ليست هذه صورة جميلة، أليس كذلك؟ يريدنا بولس أن نعرف أنه لا يوجد استثناءات عندما يتعلق الأمر بالاحتياج الروحي، فهذا الاحتياج يشمل اليهود والأمم. لاحظ التأكيد عندما يقول الوحي: «ليس من يعمل صلاحًا»، فكلُّنا قد أخطأنا.

من المدهش أن يُرسل الله يسوع إلى عالم كهذا. فهذا العالم لم يُرحب به، بل كان يحارب ضده وفي النهاية قتله. ليس هذا العالم من المتواضعين الذين يسمعون رسالة الحب التي يقدمها، بل هو عالم مليء بالكراهية ويرفض سماع رسالته، أيضًا هو ليس ذلك العالم الذي يبحث عن الخلاص، بل عالم نائمٌ نوم الموت. هو عالم يكتفي بالبر الذاتي. يقول الكتاب المقدس أن يسوع أصبح فقيرًا عندما أتى إلى هذا العالم. يُمكن تشبيه حالة المسيح هذه بحالتنا إذا ذهبنا لنعيش في عالم الديدان، بل إن العالم الذي أتاه يسوع أسوأ بكثير. فقد أتى يسوع إلى عالم مليء بالضالين والموتى روحيًا؛ عالم فاسد ونتاج وميؤوس منه.

الخبر السار هو أن الخلاص عطية الله لنا، فالذي لم نتمكن من فعله، قدَّمه لنا الله. يقول الوحي: «إِنَّ أَجْرَةَ الْخَطِيئَةِ هِيَ مَوْتُ، وَأَمَّا هِبَةُ اللَّهِ فَهِيَ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ بِالْمَسِيحِ يَسُوعَ رَبَّنَا» (رومية ٦: ٢٣). لقد أحب الله العالم كثيرًا حتى أنه قدَّم عطيته العظيمة له، وهذه العطية هي ابنه يسوع المسيح. في رومية الإصحاح الخامس يُقارن بولس بين عطية الخلاص وخطية آدم، العطية أعظم بكثير. فما هي طبيعة هذه العطية؟ إنها يسوع بذاته - ما فعله لأجلنا في حياته وموته وقيامته. قد عاش الحياة العظيمة التي لم نستطع أن نحياها، ومات الموت الذي كنا نستحقه. إن موت المسيح البدلي عنا على الصليب هو

عطية، حين دفع ثمن كل خطايانا التي وُضعت عليه؛ فكان الأمر كما لو كان المسيح هو الذي ارتكب كل هذه الخطايا التي فعلتها كل البشرية على مدى العصور. نحن من نستحق أن نُعلّق على الصليب، إلا أن المسيح أخذ مكاننا، يقول الوحي: «مَاتَ الْمَسِيحُ لَأَجْلِنَا» (رومية ٨: ٥). عندما كان يسوع مُعلّقًا على الصليب، صرخ بصوت عظيم قائلاً: «قد أُكْمِلَ»، تعني هذه الكلمات أن ثمن مديونية الخطية قد دُفع بالكامل؛ أي أن يسوع فتح الطريق إلى السماء أمام الخطاة، تعني أيضًا أنه قد أصبح هناك طريق بين الله والإنسان. بإمكاننا أن نعبّر الهوة التي بيننا وبين الله عن طريق يسوع المسيح.

إن الحجاب الذي كان يفصل بين مكان القدس وقدس الأقداس في الهيكل قد أنشق عندما مات يسوع على الصليب. يوضح هذا الأمر أن الطريق ووصولًا إلى الله القدوس أصبح مفتوحًا ومكتملًا الآن. قام يسوع من الأموات في اليوم الثالث، وعن طريق هذا المُخلّص الحي نتمكن من الوصول إلى الله، فقد خلاصنا عن طريق موته عنا. خلاصنا تم بما فعله المسيح لنا، هي عطية من البداية للنهاية، ونحن لم نزد أي شيء لما فعله المسيح، فالكُل قد اكتمل فيه. هو يسوع وحده، وهذا ما يعنيه اسمه؛ دُعي يسوع لأنه يخلص شعبه من خطاياهم. فالوضع اليائس الذي نحن فيه يستدعي فقط التدبير الذي قدّمه الله، الكل بيسوع وحده «فَمِنْ ثَمَّ يَقْدَرُ أَنْ يُخَلَّصَ أَيْضًا إِلَى التَّامِّ الَّذِينَ يَتَقَدَّمُونَ بِهِ إِلَى اللَّهِ، إِذْ هُوَ حَيٌّ فِي كُلِّ حِينٍ لِيَشْفَعَ فِيهِمْ» (عبرانيين ٧: ٢٥).

يُمكن التعبير عن هذا الأمر بالقول أن خلاصنا يتم بالنعمة، فنحن قد خلاصنا بالنعمة ونحن أيضًا نعيش بالنعمة، ولا يتعلق الأمر بنا، بل هي

النعمة من البداية وحتى النهاية. لم تتركنا النعمة بعد أن خلّصنا، بل هي تلازمنا من البداية وحتى نهاية حياتنا، نحن لم نستحق هذا الخلاص وليس هناك مجال للتفاخر، ولهذا قال بولس الرسول: «فَحَاشَا لِي أَنْ أَفْتَخِرَ إِلَّا بِصَلِيبِ رَبَّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ» (غلاطية ٦: ١٤). لماذا يُمكن أن يوجد الضال؟ لماذا يُمكن للذين في موت رُوحِي أن يستقبلوا حياة؟ ولماذا يُمكن للذين يحاربون الله أن يستقبلوا سلامه؟ كل هذا بسبب عمل النعمة. ابتهج بولس بسبب هذه النعمة، ولم يتوقف عن الحديث عنها وذلك لأن المسيح قد خلّصه، ودعى ذاته أول الخطاة، «لَأَنَّكُمْ بِالنَّعْمَةِ مُخَلَّصُونَ، بِالْإِيمَانِ، وَذَلِكَ لَيْسَ مِنْكُمْ. هُوَ عَطِيَّةُ اللَّهِ. لَيْسَ مِنْ أَعْمَالٍ كَيْلًا يَفْتَخِرَ أَحَدٌ» (أفسس ٢: ٨).

يوضح هذا الأمر أن الأعمال ليس لها علاقة بالخلاص، فلا يُمكن أن نعمل ما يكفي لنستحق الخلاص، ولن نعرف الكم الكافي من الأعمال الذي يجعلنا نستحق الخلاص؛ أيضًا ليس بإمكان كل الأعمال التي نعملها أن تمحو الخطايا التي ارتكبتها. الأعمال والنعمة لا يختلطان، فنحن مخلصون بالنعمة، وهذا كله عطية الله، الله يعطينا ما نحتاجه وأكثر، بل هو يعطينا ما لا يُمكن أن نحظى به بأنفسنا، هو يُعطي عطايا كاملة بكل المقاييس. ليس هناك عطية أعظم من ذاته التي قدّمها، كل ما علينا فعله هو أن نقول مع بولس: «فَشُكْرًا لِلَّهِ عَلَى عَطِيَّتِهِ الَّتِي لَا يُعْبَرُ عَنْهَا» (كورنثوس الثانية ٩: ١٥).

كيف يُمكن أن نحظى بعطية الحياة الأبدية الفريدة هذه؟ كل ما علينا فعله هو أن نقبلها. هذا هو الإيمان؛ أن نقبل عطية الله. فإذا أخذنا هذه الخطوة سنحصل عليها. نحن نؤمن بوعود الله التي نتحدث عنها، فإن غاية

إيماننا هو يسوع المسيح. سأل سجان مدينة فيليبي قائلاً: «ماذا أفعل لأذلّ الخلاص؟» أجابه بولس وسيلا بسرعة وبوضوح قائلين: «آمَنُ بِالرَّبِّ يَسُوعَ الْمَسِيحِ فَتَخْلُصَ أَنْتَ وَأَهْلُ بَيْتِكَ» (أعمال ١٦: ٣١). الإيمان هو الثقة في يسوع المسيح والاتكال عليه، وأيضاً أن تضع حملك عليه. يتحدث الكتاب المقدس أيضاً عن التوبة، نحن نتوب ومن ثم نؤمن، وكلاهما يحدثان في ذات الوقت؛ التوبة تعني أن نغيّر من طريقة تفكيرنا، أي أن نغيّر المسار الذي نسلك فيه، فالإيمان والتوبة يأتیان معاً. هما وجهان لعملة واحدة، ناحية من هذه العملة هي التوبة والناحية الأخرى هي الإيمان. غالباً ما يُستخدم في إنجيل يوحنا التعبير «آمَن»، فعندما نؤمن بالمسيح يتغير تفكيرنا عن اتجاه حياتنا، وعندما نتجه لله، نحن نتجه بعيداً عن الأمور الأخرى. يقول ستيف براون Steve Brown عن التوبة: «تعني التوبة لا أكثر ولا أقل من الاتفاق مع الله، عَمَّن تكون أنت وما تفعله، وما يحتاج أن يتغيّر في حياتك.»^(١) يقول أيضاً ويليام هيندريكس William Hendricks «إن مفتاح التوبة ليس أسفاً باكيّاً (حزناً كبيراً)، بل مفتاح التوبة هو الفرح.»^(٢)

ليس بإمكان الإيمان أن يُخَلِّصنا، بل هو الوسيلة التي نستقبل بواسطتها نعمة الله، فالمسيح هو الذي خلّصنا وليس إيماننا، والإيمان هو الذي يتشبّه بيد المسيح، ونحن نخلص بالإيمان. «تعني النعمة أنه ليس بإمكاننا فعل أي شيء لجعل الله يُحبنا أكثر - فليس هناك قدراً محدداً من التمارين الروحية، وليس هناك قدراً معيناً من المعرفة المكتسبة من المحاضرات أو المدارس الروحية، أيضاً ليس هناك قدراً محدداً من الجهاد في سبيل الأفكار الصالحة؛ والنعمة تعني أنه ليس هناك ما نفعله لجعل الله يقلل من محبته

لنا - فلا عنصرية ولا كبرياء ولا عهارة أو زنى أو حتى قتل بإمكانها أن تقلل من محبة الله لنا. فالنعمة تعني إن الله يُحبنا بالفعل وبقدر ما يستطيع إله أبدي أن يُحب.»^(٣) اقتبست هذه الكلمات من كتاب فيليب يانسي Philip Yancey الذي جاء تحت عنوان «ما أعجب النعمة!!» يقول تولىان تشيفيدجان Tullian Tchividjian عن النعمة: «إن النعمة بمثابة أمر إلهي متاح يقف مترقبًا، ويرفض هذا الأمر التهاون والتخلي، بل هو يتحدى بسخاء شديد وبسهولة كبيرة؛ ولا يستخدم التحفيز بالتهديد أو بالمكافأة كأسلوب العصا والجزرة أو حتى بطاقات الزمن، فهو لا يحتفظ بدرجات النتائج.»^(٤)

سندرس فيما بعد خطوات الخلاص، فالبعض من هذه الخطوات يحدث في وقت واحد، وذلك أمام أعين الله. مثلًا نقرأ في رومية ٨ عن أنفسنا في حالة المجد - بالرغم من أن هذه الحالة سنكون عليها في المستقبل، أما التجديد والتبرير فهما متزامنان وكذلك أيضًا التقديس الزمني، لكننا سندرس كل واحدة من هذه الحالات على حدة. قال يسوع لنيقوديموس أنه ينبغي أن يولد ثانية إذا أراد أن يدخل ملكوت الله، أي أن الولادة الروحية أمر لازم، وذلك لأن الولادة الجسدية لا تضعنا في الملكوت، كما أنه لا يمكن لحقيقة أننا مولودين في أسر مسيحية أن تضعنا في الملكوت. كان نيقوديموس هذا رجلًا متدينًا، لكن لا يزال يعوزه الحياة الجديدة.

ماذا يحدث عندما نولد ثانية؟ نحصل على حياة جديدة من الله، وهذا ما عبّر عنه بولس قائلًا: «إِذْنِ إِنْ كَانَ أَحَدٌ فِي الْمَسِيحِ فَهُوَ خَلِيقَةٌ جَدِيدَةٌ: الْأَشْيَاءُ الْعَتِيقَةُ قَدْ مَضَتْ، هُوَذَا الْكُلُّ قَدْ صَارَ جَدِيدًا» (كورنثوس الثانية ٥: ١٧). فبعد

أن نحصل على حياة جديدة، ندخل في علاقة مع الله ونصبح أعضاء في عائلته. كل هذا يحدث عن طريق عمل الروح القدس، فهو الذي يحثنا على احتياجنا إلى الخلاص، ونحن نستجيب بالإيمان لدعوة المسيح هذه، ونحصل على عطية الحياة الأبدية. الروح القدس مثل القابلة التي تأتي بنا إلى المسيح كمولود. إن كل هذه الأمور غامضة بالنسبة لنا، فقد قال يسوع إنها مثل الريح، هي ليست اختيارية؛ وبالتالي لا بد لنا جميعاً أن نولد ثانية، ولسنا نحن من يولد هذه الحياة فينا، بل نحن نستجيب بالإيمان ونولد ثانية عن طريق نعمة المسيح.

يقول الكتاب المقدس أننا قد دخلنا في عائلة الله، وبالتالي قد أصبحنا نعرف الله باعتباره أبانا، وبإمكاننا أن نصرخ له الآن كما فعل يسوع حينما قال: «يا أبا الآب». فنحن كنا قبلاً عبيداً أما الآن فلدينا حرية الأبناء، وبإمكان الابن أن يأتي إلى أبيه في أي وقت، وبإمكانه أيضاً أن يطلب أي شيء لا يمكن للآخرين أن يطلبوه، وهذه واحدة من بركات الخلاص العظيمة. إننا أصبحنا أبناء وبنات الله الحي، بإمكاننا الآن أن نعرف الله بطرق لم نحلم أن نعرفه بها في السابق، يقول الكتاب: «إِذْ لَمْ تَأْخُذُوا رُوحَ الْعُبُودِيَّةِ أَيْضًا لِلْخَوْفِ، بَلْ أَخَذْتُمْ رُوحَ التَّبَنِّي الَّذِي بِهِ نَصْرُخُ: «يَا أَبَا الآبِ»» (رومية ٨: ١٥)، يعلمنا بولس هنا أنه لكوننا أبناء الله فنحن ورثة لله ووارثين مع المسيح.

لقد أصبحنا أيضاً مواطنين في مملكة الله، وتبدأ هذه الجنسية عندما نؤمن بالرب يسوع المسيح. قال يسوع لنيقوديموس أنه لا بد أن يولد ثانية ليدخل ملكوت الله، فنحن بعد الولادة الثانية غرباء ونزلاً في هذا العالم، وذلك لأن جنسيتنا الحالية هي السماوات.

عندما تعيش في دولة أجنبية، تُصبح على دراية بأهمية الجنسية الجديدة، فتُدرك أنك لا تنتمي لهذه الدولة الجديدة بدون جنسيتها؛ فلا يُمكنك التصويت بدونها، وأيضًا لا تتمتع بالصلاحيات والامتيازات المُعطاة لأبناء الدولة بدون الجنسية. كذلك أيضًا مملكة الله تحتاج منك أن تُولد ثانيةً لتحصل على جنسيتها، فنحن كمواطنين مملكة الله لنا أحقية الدخول للملك. هذا امتياز إلهي مُعطى لمواطني السماء.

أيضًا نكون مُتبررون عندما نَقبل المسيح مُخَلِّصًا لنا. إن مصطلح التبرير هذا هو مصطلح قانوني؛ فكر في مشهد بقاعة المحكمة حيث يقوم القاضي بالحكم بالبراءة على متهم ما. إلا أن التبرير يعني ما هو أكثر من ذلك، ففيه حصلنا على بر يسوع المسيح، أي أن الله وضع فينا البر الكامل الذي لابنه، كما أنه سبق ووضعه خطايانا على يسوع عندما كان مُعلقًا على الصليب، أما الآن فالله يضع بر المسيح علينا، فهو أعطانا رداءً يُغطي كل عُري الخطية. عندما ينظر الله إلينا، فهو لا يرى فينا الخطية بل يرى حياة يسوع الكاملة. بإمكان هذه الحقيقة أن تجعل قلوبنا تنفجر مُغنية هلوليا، «لأنَّهُ جَعَلَ الَّذِي لَمْ يَعْرِفْ خَطِيئَةً، خَطِيئَةً لَأَجْلِنَا، لِنَصِيرَ نَحْنُ بَرًّا لِلَّهِ فِيهِ» (كورنثوس الثانية ٥: ٢١)، أيضًا «مُتَبَرِّرِينَ مَجَانًا بِنِعْمَتِهِ بِالْفِدَاءِ الَّذِي بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ» (رومية ٣: ٢٤). يتحدث وليام هيندريكس William Hendricks فيما يخص قبول الله لنا وقبولنا نحن لقبول الله، فيقول: «إن قبول الله لنا بمثابة الحقيقة الأولية للإنجيل، وهي تصبح فعّالة لنا بصورة فردية عندما نقبل قبوله لنا، ويستمر قبوله لنا هذا حتى عندما لا نشعر بالقبول، وهذا النوع من القبول بمثابة أقصى أنواع القبول، فهو قبول الله ذاته لنا، أي قبول من يعرف حقيقتنا ولا يزال يقبلنا. ٥»

علينا في كل يوم أن نتذكر تبريرنا، فنحن قد تبررنا ليس بما نعمل بل بما عمله المسيح لأجلنا، إن دمه وبره هما حُجَّتنا أمامه. يقول مايكل هورتون Michael Horton «إن هذا الإنجيل الذي هو خبر الله السار بتبريره للخطاة في المسيح، ليس بمثابة وسيلة تصل بنا إلى نهاية أعظم، وهو ليس فكرة من بين عدة أفكار، هو أيضًا ليس أمرًا نستخدمه ليصل بنا إلى أمر أكثر أهمية وأكثر وضوحًا وأكثر عملية، بل هو محيط نسبح فيه وهواء نستنشق، هو أيضًا هويّة تُعرِّفنا.»^(٦) إن بر المسيح سيبقى في السماء كما هو الآن، هو كافٍ لكل الأبدية، لن نحتاج إلى ما هو أفضل لنصل للسماء، بل نحن مقبولون في المحبوب. يقول إيروين لوتزير Erwin Lutzer معقبًا: «لا يُمكن أن يُضاف أي شيء إلى بر الله لجعله أفضل، ولا يُمكن أخذ أي شيء منه لتقل قيمته، فبعد مليون سنة من الآن سيظل جليًا كما كان يوم قدّم يسوع حياته لنا لنقبلها.»^(٧)

عندما نأتي إلى المسيح تحدث عملية المصالحة، فقبل أن نخلص كنا نحارب الله بطرق عدة. ربما نكون صالحين إلا أن حياتنا تناقض الغرض الذي رسمه الله لنا. فهل يُمكننا أن نقول أننا صالحين ونحن نتجاهل الصالح الأعظم، الذي هو الصلاح ذاته؟ كانت حياتنا قبل الخلاص تتعارض مع مقاصد الله، من الممكن أن تكون حياة بولس الرسول مثالًا جيدًا على ذلك، فقبل أن يتقابل مع المسيح كان يُحارب المسيحيين ظنًا منه أنه يفعل ما يريد الله أن يفعل؛ لكن في الحقيقة، كان يفعل ما هو عكس ذلك، فقد أدرك جيدًا فيما بعد الاحتياج إلى المصالحة. الله لا يسعد بأي حياة تكون في منأى عنه، فيقول الوحي: «الَّذِي يُؤْمِنُ بِالْإِنِّ لَهُ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ، وَالَّذِي لَا يُؤْمِنُ بِالْإِنِّ لَنْ يَرَى حَيَاةً بَلْ يَمُوتُ عَلَيْهِ غَضَبُ اللَّهِ» (يوحنا ٣: ٣٦). عندما يأتي الإنسان إلى

المسيح، يسلم يداه اللتان كان يستخدمهما في محاربه الله، فنحن نأتي إلى المسيح وندخل في علاقة سلام مع الله.

إن هذه المصالحة ليست جزءًا بعيدًا عن عملية الولادة الثانية أو عملية التبرير، بل هي تحدث عندما نأتي بالإيمان للمسيح، تُخبرنا الكلمات التالية عما يحدث عندما نتصالح مع الله، فتقول: «وَلَكِنْ الْآنَ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ، أَنْتُمْ الَّذِينَ كُنْتُمْ قَبْلًا بَعِيدِينَ، صِرْتُمْ قَرِيبِينَ بِدَمِ الْمَسِيحِ. أَنَّهُ هُوَ سَلَامُنَا، الَّذِي جَعَلَ الْاِثْنَيْنِ وَاحِدًا، وَنَقَضَ حَائِطَ السَّيَاحِ الْمُتَوَسِّطِ أَيْ الْعَدَاوَةِ. مُبْطَلًا بِجَسَدِهِ نَامُوسَ الْوَصَايَا فِي فَرَائِضَ» (أفسس ٢: ١٣-١٥). لقد اخترنا المصالحة مع الله عن طريق المسيح، وقد أعطانا الله رسالة المصالحة هذه. نتيجة هذه المصالحة هي أن لنا سلام مع الله، والعداوة قد انتهت، وذلك لأن مصدر السلام بذاته يعيش في قلوبنا الآن.

في المسيح قد تم غفران كل خطايانا، فكل ماضينا وحاضرنا وخطايانا المستقبلية تم غفرانها في المسيح. عندما مات المسيح لأجلنا لم يكن أي منا على قيد الحياة، فالمسيح لم يمِت من أجل جزء من خطايانا، بل مات لأجل كل خطايانا، فعندما نقبل المسيح تُغفر لنا خطايانا، فهل يعني هذا أنه لا ينبغي علينا أن نعترف بخطايانا؟ ليس على الإطلاق. فنحن لا نزال ضعفاء ونفشل بعدة طرق، وبالتالي فنحن نأتي لله كأبناء محبوبين لنعترف بفشلنا. لكن إلى أي حد تُغفر خطايانا؟ يقول الكتاب المقدس أن خطايانا قد أبعدنا المسيح كُبعد المشرق عن المغرب، فهذا يعني أن خطايانا قد طُرحت في أعماق البحر، ويقول الكتاب أيضًا أن الله لا يعود يذكرها، فهذه الخطايا قد

ذهبت بلا عودة. يود الشيطان أن نظل قلقين حيال خطايانا، في الحقيقة لابد لنا أن نتفكر في ابن الله أكثر من أن نتفكر في خطايانا. هل هناك بعض الخطايا التي لا يمكن أن تُغتفر؟ يُجيب إيروين لوتزير Erwin Lutzer عن هذا التساؤل بقوله: «لا يوجد خطية لا تُغتفر لمن يأتوا إلى المسيح طالبين غفرانه، أما الذين يرفضونه، فكل خطاياهم لا تُغتفر.»^(٨)

ما هي الخطية التي تُبعد الناس عن المسيح؟ إنها ليست الكثير من الكذب والخطايا الجنسية والإدمان والقتل وغيرها؛ إنها عدم الإيمان الذي يُبعد الناس عن المسيح؛ إن الناس تحت دينونة الله لأنهم يرفضون الإيمان بالمسيح، ويرفضون ما فعله المسيح لأجلهم على الصليب، فهم يحيون في عدم إيمان، يقول الكتاب: «الَّذِي يُؤْمِنُ بِهِ لَا يَدَانُ، وَالَّذِي لَا يُؤْمِنُ قَدْ دِينَ، لِأَنَّهُ لَمْ يُؤْمِنْ بِاسْمِ ابْنِ اللَّهِ الْوَحِيدِ. وَهَذِهِ هِيَ الدِّينُونَةُ: إِنَّ النُّورَ قَدْ جَاءَ إِلَى الْعَالَمِ، وَأَحَبَّ النَّاسِ الظُّلْمَةَ أَكْثَرَ مِنَ النُّورِ، لِأَنَّ أَعْمَالَهُمْ كَانَتْ شَرِيرَةً» (يوحنا ٣: ١٨-١٩).

خطوة أخرى من خطوات الخلاص هي تقديسنا، فمتى يحدث التقديس؟ نحن نتقدس عندما نأتي للمسيح. هذا هو وضعنا، وبعد أن نأتي إليه ننمو في الإيمان؛ هذه هي الحقيقة التي لابد أن نكون عليها. المسيح هو تقديسنا وهذا ما يُميزنا، أيضًا نحن مواطنين مملكته حتى ونحن نحيا في هذا العالم، ونحن أيضًا أبناء النور حتى بينما نعيش في عالم الظلام هذا. جزء من المشكلة عندما نتحدث عن التقديس، هي أننا نتحدث عن أمرين مختلفين، فهناك فكرة تقول إن كل مسيحي قد تقدس، نجد مثالًا على ذلك في (عبرانيين ١٣: ١٢) حيث

يقول: «لِذَلِكَ يَسُوعُ أَيْضًا، لِكَيْ يُقَدِّسَ الشَّعْبَ بِدَمِ نَفْسِهِ، تَأَلَّمَ خَارِجَ الْبَابِ»، فنحن تقدسنا بدم المسيح، والمسيح هو تقدسنا كما هو أيضًا تبريرنا. قد يتحدث إنسان مسيحي آخر عن التقديس في الحياة اليومية، من هذا المنطلق يُمكن القول إننا في عملية تقديس مستمر، ونفهم من ذلك أننا ننمو في النعمة وفي معرفة المسيح.

عندما نأتي إلى المسيح نكون مثل أطفال روحيين، فلا نصبح مسيحيين ناضجين بين ليلة وضحاها، بل نتعلم وننمو روحيًا بينما ندرس كلمة الله؛ أيضًا بينما نتعبّد مع غيرنا من المؤمنين، وكذلك بينما نصلي ونكرز في اسم المسيح. لا نصل إلى مرحلة الكمال بحسب ممارساتنا بينما نعيش هنا على الأرض، فلا نزال نواجه تجارب ولا يزال أماننا صراعات. فالله قد كسب الحرب مع إبليس، إلا أن عدو أرواحنا لا يزال يهاجمنا. لقد تحدثت ذات مرة مع سيدتين بينما كنت في بيت أحد الأصدقاء، ادّعت هاتان السيدتان أنهما يعيشان فوق الخطية، فهاتان بالطبع قد أعادت صياغة مفهوم الخطية. الخطية أكثر من مجرد خطية تقع فيها بإرادتنا، وهي أيضًا أكثر من مجرد أفعال محددة. نحن نخطئ بميولنا وأفكارنا ودوافعنا؛ حتى بولس الرسول قال أنه لم يصل إلى الكمال بعد، بل كان لا يزال يسعى نحو الهدف. بإمكاننا جميعًا أن نقول هذا، فلا يزال الهدف أماننا، ونحن جميعًا على طريق النعمة، وهناك من هم في أول الطريق بينما هناك من هم متقدمين فيه، والمسيح يعمل في حياة كل واحد منا عن طريق نعمته، قد يكون همونا الروحي بطيئًا إلا أننا ننمو ونتحرك تجاه خط النهاية.

قال تولىان تشيفيدجيان Tullian Tchividjian عن عملية التقديس: «إن التقديس هو العمل اليومي الشاق الذي يهدف إلى العودة إلى حقيقة تبريرنا، فهو يعود إلى يقينية الغفران المضمون لنا في المسيح، ويضغط على زر تنشيط هذا الفكر مئة مرة في اليوم الواحد.»^(٩) يوضح هنا الكاتب كيف ننمو روحيًا، فيتابع يقول: «إن مفتاح النمو الروحي إذن ليس هو السلوك بصورة أفضل أولًا، بل هو الإيمان بصورة أفضل - أي الإيمان بأكثر عمق بما فعله المسيح.»^(١٠) هذا ما يوضحه بريان هيدجيز Brian Hedges عندما قال: «ليست الحياة المسيحية بمثابة خطوات بطول مئة ياردة، بل هي رحلة حياة.»^(١١) يُعقِّب بين باتيرسون Ben Patterson قائلاً: «لا يهم الله أين أنت في هذه الرحلة بقدر ما يهمه أنك فيها بحق، فالاتجاه الذي تتجه هو ما يهم الله، وليس أين أنت في الوقت الحالي.»^(١٢)

أما المجد فهو اكتمال خلاصنا، فنحن لم نتمجد بعد، لكن الله يعرف الوقت الذي سيصبح فيه هذا الأمر حقيقة، فما يعني أن نتمجد؟ إنني أؤمن أن المجد يعني على الأقل هذا الأمر: أن تعود إلينا مرة أخرى صورة الله وبشكل كامل، أي نصبح مثل المسيح. يعني المجد أيضًا أن مجد المسيح سيكون ليس فقط بداخلنا بل أيضًا يغطيها، يقول الوحي: «أَنْظُرُوا آيَةَ مَحَبَّةٍ أَعْطَانَا الْآبُ حَتَّى نُدْعَى أَوْلَادَ اللَّهِ! مِنْ أَجْلِ هَذَا لَا يَعْرِفُنَا الْعَالَمُ، لِأَنَّهُ لَا يَعْرِفُهُ. أَتَيْهَا الْأَحْبَاءُ، الْآنَ نَحْنُ أَوْلَادُ اللَّهِ، وَلَمْ يُظْهَرْ بَعْدَ مَاذَا سَنَكُونُ. وَلَكِنْ نَعْلَمُ أَنَّهُ إِذَا أَظْهَرَ نَكُونُ مِثْلَهُ، لِأَنَّنَا سَرَاهُ كَمَا هُوَ. وَكُلُّ مَنْ عِنْدَهُ هَذَا الرَّجَاءُ بِهِ، يُظْهَرُ نَفْسُهُ كَمَا هُوَ طَاهِرٌ» (يوحنا الأولى ٣: ١-٣)، وبالتالي فإن تمجيدنا سيرتبط بقيامتنا وحياتنا في السماوات.

كتب بيرنارد رام Bernard Ramm منذ وقت طويل يقول: «إن التمجيد إذن هو اكتمال إنسانيتنا لتصبح على صورة الطبيعة البشرية الكاملة التي ليسوع المسيح»، قال أيضًا: «نحن في هذه الحياة نعرف الله بصورة غير مباشرة، فنعرفه بالعلامات وبالإيمان وليس بالعيان، لكن عندما نصل لحالة المجد ستكون معرفتنا بالله وجهًا لوجه! تفشل الكلمات في توصيل كم ستكون رؤية الله وجهًا لوجه بالأمر المجيد والرائع والجميل والمليء بالشغف والنشوة.» (١٣)

يُمكننا كمسيحيين أن نقول أننا قد خلصنا - في زمن الماضي، أو أننا نخلص - في زمن الحاضر المستمر ، أو أننا سنخلص - في زمن المستقبل، وذلك لأن عمل نعمة الله أمر مستمر في حياتنا. فالمسيح معنا منذ البداية وفي كل خطوة من خطوات حياتنا، ونحن نحتاجه الآن كما كنا نحتاجه منذ سنوات مضت. فنحن في المسيح، وكل شيء يأتي منه ومن خلاله، نحن في المسيح كأبناء وبنات في عائلة واحدة، نحن في المسيح كما توضع علامة الكتاب في قلب الكتاب، فكل ما نحتاجه هو في المسيح، وهو ألف ويا خلاصنا.

ما ضمان هذا الخلاص الذي أعطاه الله لنا عن طريق النعمة؟ ألا يكون الأمر غريبًا أن الله يُعطينا هذه العطية ثم يسحبها منا في وقت من أوقات حياتنا؟ فهل بذلك ستكون عطية من الله في المقام الأول؟ إن خلاصنا مضمون كما أن مخلصنا مضمون. يقول الكتاب المقدس أن حياتنا «مُسْتَرَّةٌ مَعَ الْمَسِيحِ فِي اللَّهِ» (كولوسي ٣: ٣). قال يسوع أيضًا: «وَأَنَا أُعْطِيهَا حَيَاةً أَبَدِيَّةً، وَلَنْ تَهْلِكَ إِلَى الْأَبَدِ، وَلَا يَخْطُفُهَا أَحَدٌ مِنْ يَدَي. أَبِي الَّذِي أَعْطَانِي إِيَّاهَا هُوَ

أَعْظَمُ مِنَ الْكُلِّ، وَلَا يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَخْطَفَ مِنْ يَدِ أَبِي» (يوحنا ١٠: ٢٧-٢٩).
وحيث أن حياتنا محفوظة في المسيح ونحن في يديه، فقبل أن يأتي إلينا أي مكروه سيتحتم على هذا المكروه أن يكسر قبضة يده القوية التي تمسك بنا. فنحن بأمان بقدر قوة يد الله، وليس الأمر أننا نتمسك به بل هو من يمسك بنا، وليس الضمان هو أمانتنا نحوه بقدر أن الضمان هو أمانته هو تجاهنا.

يقول بولس الرسول أن الله دائماً ما يُنهي ما يبدأه، فهو ليس مثلنا نحن البشر الذين قد نبدأ أمراً ما ثم نتركه. وقد اختبر بولس هذا الأمر في ظل ظروف مُحِبَّة، فيقول: «وَأَثَقًا بِهَذَا عَيْنِهِ أَنَّ الَّذِي ابْتَدَأَ فِيكُمْ عَمَلًا صَالِحًا يُكْمِلُ إِلَى يَوْمِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ» (فيلبي ١: ٦)، فكان لدى بولس ثقة كبيرة في خلاصه، فهو الذي قال: «لِهَذَا السَّبَبِ أَحْتَمِلُ هَذِهِ الْأُمُورَ أَيْضًا. لِكِنِّي لَسْتُ أَخَجَلُ، لِأَنِّي عَالِمٌ مِمَّنْ آمَنْتُ، وَمُوقِنٌ أَنَّهُ قَادِرٌ أَنْ يَحْفَظَ وَدِيعَتِي إِلَى ذَلِكَ الْيَوْمِ» (تيموثاوس الثانية ١: ١٢).

يُشير الكاتب في هذا الجزء الذي يخص الروح القدس إلى الآيات التي تقول أن الروح القدس هو عربون خلاصنا. هو الضمان بأن خلاصنا أمر أبدي؛ الروح القدس فينا ومعنا وذلك ليُكمل العمل الذي بدأه. إذا كنا نحن عربون خلاص أنفسنا، لكان هذا سبباً لنقلق حيال خلاصنا، إلا أن الكتاب المقدس يقول أننا مختومين بالروح القدس، فعربون الروح القدس هو الذي يضمن خلاصنا. نجد في رسالة العبرانيين بعض من الكلمات القوية التي تؤكد ضماننا في المسيح، فتقول إحداها: «لَأَنَّهُ قَالَ: «لَا أَهْمِلُكَ وَلَا أَتْرُكُكَ» (عبرانيين ١٣: ٥)، تأتي هذه الآية بصورة أقوى في اللغة اليونانية، ففيها حوالي خمس كلمات نفي تؤكد أن الله لن يتركنا أبداً أبداً أبداً.

تشير هذه الكلمات التي في (إشعياء ٤٩: ١٤-١٦) إلى ذات الحقيقة التي تقول بأن الله يضعنا على قلبه وعلى كفيّه، فتقول: «هَلْ تَنْسَى الْمَرْأَةُ رَضِيعَهَا فَلَا تَرْحَمَ ابْنَ بَطْنِهَا؟ حَتَّى هَؤُلَاءِ يَنْسَيْنَ، وَأَنَا لَا أَنْسَاكِ. هُوَذَا عَلَى كَفِّي نَقَشْتُكَ. أَسْوَارُكَ أَمَامِي دَائِمًا»، الله يعرف ضعفاتك وفشلك قبل أن تعرفها أنت بزمان كثير.

إن الشخص الذي يخاف أن يفقد خلاصه يواجه هذه المعضلة المستمرة. ما هي الخطية التي تجعلك تخسر خلاصك؟ خطية كبيرة أم خطية صغيرة؟ خطية كلمة أم خطية فكر؟ فيا له من أمر مؤلم أن يكون الإنسان دائم القلق حيال ما إذا كان قد خُلص أم لا. قد يتحدث البعض عن المؤمنين الذين لا يعيشون الحياة المسيحية، فقد تحدث بولس الرسول في رسالته إلى أهل كورنثوس عن المؤمنين الجسديين، وهؤلاء كان بينهم شقاوات وكانوا يحاربون بعضهم البعض، إلا أن بولس قد دعاهم «قديسين». كتب تشارلز ستانلي Charles Stanley يقول: «مثلما يوجد أزواج يتصرفون كما لو أنهم غير متزوجين، هكذا أيضًا هناك مؤمنون لا يظهر عليهم أي دليل بأنهم مؤمنون. إلا أن هذا الأمر لا يُغيّر من حالتهم الأبدية، كأى رجل شرير يُحاول تغيير مصيره الأبدي بأن يُظهر للناس بأنه مُخلص.» (١٤)

تحدث دي أم لويدي جونز D. M. Lloyd-Jones عن كيف يُمكن للمؤمنين أن يضعوا أنفسهم مرة أخرى تحت الناموس عندما يخطئون، فعليهم بدلًا من ذلك أن يهرعوا إلى الصليب، فيقول: «لا يهم كم كانت الخطية التي وقعت فيها وأنت مؤمن عميقة أو قوية، فلن تقع أبدًا تحت الدينونة؛ وإذا

حدث ذلك، فهذا لأنك لم تفهم أبدًا علاقتك بالناموس، فأنت من قد وضعت ذاتك «تحت الناموس» مرة أخرى.» (١٥)

يقول الكتاب المقدس وبوضوح أن الله يُعطينا حياة أبدية، فكيف لها أن تكون أبدية ويُمكن فقدانها؟ الحياة الأبدية لا تبدأ عندما نموت، بل هي تبدأ في اللحظة التي نقبل فيها المسيح، ولا يُمكن لأي شيء أن يأخذ منا هذه الحياة التي أعطانا إياها الله. فإذا كان من الممكن فقدان هذه الحياة الأبدية لكانت تسميتها - حياة أبدية - بالأمر الخاطئ. كتب روبرت جروماكي Robert Gromacki يقول: «إذا كان بإمكان الخطية أن تُفقد المؤمن خلاصه، لكان للخطية قوة أعظم من قوة النعمة. لكن هذا مستحيل، فكما أنه بإمكان النعمة أن تنقذ أعظم الخطاة، فبإمكانها أيضًا أن تقهر أكبر خطية قد يقع فيها أي مؤمن، فالنعمة الإلهية تفعل أكثر جدًا مما يُمكن أن يفعله أو يُفكر فيه الإنسان.» (١٦) يقول أيضًا: «لم يصبح الله مؤسسًا لخلاص مشروط أو وقتي أو مُحتمل، بل هو مؤسس خلاص أبدي، فإذا لم يكن الخلاص أبدًا لما كان خلاصًا.» (١٧)

سبب آخر قوي لضماننا الأبدي هو التعليم عن التبرير. فنحن مبررون بالإيمان وبالإيمان أيضًا حصلنا على بر المسيح، والله لن يأخذ منا بر ابنه. كتب فرانسيس سكايفر Francis Schaeffer يقول: «لابد لنا أن نفهم ما هو التبرير، فهو أمر لا يُمكن إلغاؤه أبدًا، وذلك لأن المسيح قد حمل عنا عقابنا عن كل الخطايا، ليس فقط الخطايا التي ارتكبتها حتى وقت قبولنا المسيح كمخلص، بالتالي ليس هناك ما يتبقى لحاسب عليه.» (١٨) ليس هناك خطر

مزدوج عندما يأتي الأمر إلى خلاصنا، فالمسيح قد حمل عنا عقابنا، وليس هناك عقاب لناخذه.

من الفقرات الكتابية الواضحة التي تعلّم عن الضمان الأبدي للمؤمن هي تلك التي نقرأها في (رومية ٨: ٣٨-٣٩)، حيث يقول: «فَإِنِّي مُتَيْقِنٌ أَنَّهُ لَا مَوْتَ وَلَا حَيَاةَ، وَلَا مَلَائِكَةَ وَلَا رُؤَسَاءَ وَلَا قُوَّاتٍ، وَلَا أُمُورَ حَاضِرَةٍ وَلَا مُسْتَقْبَلَةٍ، وَلَا عُلُوَّ وَلَا عُمُقَ، وَلَا خَلِيقَةَ أُخْرَى، تَقْدِرُ أَنْ تَفْصِلَنَا عَنْ مَحَبَّةِ اللَّهِ الَّتِي فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ رَبِّنَا». بولس الرسول هنا يُغطي كل الأمور في هذه الفقرة، فيقول أنه لا يوجد أي شيء في الحاضر أو في المستقبل، ولا شيء يُرى أو لا يُرى، ولا شيء في هذه الخليقة بإمكانه أن يفصلنا عن محبة الله التي لنا في المسيح يسوع. محبة الله أكبر جدًا مما يُمكن أن نتصور. يتحدث الناس أحيانًا كما لو كانت محبة الله أقل من محبة الناس، فهل يُمكن لآباء محبين لأبنائهم أن يتخلوا عنهم؟ الله المُحب لن يترك أبنائه أبدًا، فنحن ننتمي إليه ونحن ورثته، نحن أيضًا جزء من كنيسته، بل نحن عروسه. ففي المسيح نحن بأمان إلى الأبد، وأماننا هذا ليس فيما نفعله بل فيه هو وفيما عمله لأجلنا!

يتحدث آر تي كينديل R. T. Kendell بوضوح عما نعينه بالتعبير «إذا خَلَّصْنَا نحن مُخْلِصِينَ إلى الأبد»، فيقول: «بعد أن يعترف الإنسان بإيمانه، فهو قد خَلَّصَ بالتمام وبدون تغيير وبصورة غير قابلة للنقض، وذلك حتى وإن لم يكن يؤمن بالتعبير «إذا خلصنا فنحن مخلصين إلى الأبد»، فهو بأمان بالرغم من أي شيء. إن الإيمان بمذهب الضمان الأبدي هو ما يجعلك بأمان وإلى الأبد - وهذا ما يُعلِّمه الكتاب المقدس.»^(١٩) «فبعد أن يستريح الإنسان

في عمل يسوع المسيح الكامل، لا يوجد هناك المزيد ليعمله، وليس هناك ما يعمل به بإمكانه أن يغير من مكانته.»^(٢٠) فنحن لم نذل الخلاص بالأعمال الصالحة التي عملناها قبل أن نأتي للمسيح، وليس بإمكان الأعمال الصالحة أن تنقذنا بعد أن نأتي للمسيح، بل أن الأعمال الصالحة هي الثمر الذي يأتي بينما نسير مع المسيح.

كيف يُمكننا ألا نسبح تسبيحة الخلاص العظيمة التالية! الخلاص الذي هو نعمة بالتمام، الخلاص الذي لن ينتهي أبدًا. تُدعى هذه التسبيحة «لقد وجد إيماني مكان راحة»، وتُعبر بوضوح عن أن الخلاص بالنعمة، وذلك عن طريق الإيمان:

«لقد وجد إيماني مكان راحة، وهذا ليس في أسلوب أو في عقيدة

أنا أثق في الله الحي إلى الأبد، جراحه من أجلي تطلب عني

يكفيني إن يسوع يُخلص، هذا يُنهي مخاوفي وشكوكي

فأنا آتي إليه كروح آثمة، وهو لن يُخرجني من محضره أبدًا

قلبي يتكل على الكلمة، كلمة الله الحية:

الخلاص باسم إلهي، خلاص عن طريق دمه

يشفي أسقامي هذا الطبيب العظيم، فهو من آتي لفداء الضالين

لقد سفك من أجلي دمه الثمين، ومن أجلي بذل حياته

لا أحتاج إلى المزيد من البراهين، ولا أحتاج إلى المزيد من التوسل

يكفيني أن المسيح مات، فهو قد مات من أجلي.»^(٢١)

الفصل الثامن

كنيسة تتغنى بها

إن الكنيسة في الكثير من الأحيان مُنتقَدة ومُهمَلة، وهناك مَنْ يدعونها منافقة وبعيدة عن الناس، وهي مكروهة في أماكن كثيرة ومكانها في بعض الدول تحت الأرض. بحسب المسح الاستبياني بارنا Barna Survey الذي دار حول الناس الذين لا يذهبون للكنيسة، قال ٤٠ ٪ منهم أنهم لا يجدون الله في الكنيسة، بل يجدونه في أماكن أخرى، وقال ٣٥ ٪ أن الكنيسة ليست على صلة بهم. فما الذي يريد الناس أن يجدوه في الكنيسة؟ البعض يرغب في التسلية، فهم يريدون شيئًا غير عادي، يريدون عرضًا كالذي يشاهدونه على شاشات التلفاز، يريدون أداءً من المرنم ومن القس. هناك آخرون ممن يرغبون في مكان دافئ لا يجدون فيه ما يزعجهم، هؤلاء يبحثون عن نادي اجتماعي جيد، فيقومون بدفع عشورهم ثم يتوجهون لمنازلهم حتى يأتي موعد اللقاء التالي في هذا النادي الاجتماعي.

هناك تقارير تقول أن هناك حوالي ٤٥٠,٠٠٠ كنيسة في الولايات المتحدة، ويُقدَّر بأن هناك حوالي ٤١,٠٠٠ طائفة حول العالم. هل كل هذه الأماكن بمثابة كنائس بالمفهوم التقليدي؟ بالطبع لا، مجرد وضع كلمة «كنيسة» على مبنى لا يجعلها كنيسة؛ تمامًا كما أنه عندما تضع كلمة «سيارة» على عربة تسوّق لا يجعل منها سيارة. هناك الكثير من الكنائس الزائفة. هذه واحدة

من الطرق التي يستخدمها إبليس لخداع الناس، يظن الناس أنهم يذهبون إلى الكنيسة في حين أنهم يذهبون لمكان يُعلّم هرطقات، وهناك عدد غير قليل من الكنائس التي ليست كنائس (حقيقية) على الإطلاق.

فكّر في بعض الأماكن التي تُسمى كنائس، ستجد فيها الكثير الذي يُنكر الثالوث؛ فهؤلاء قد يعبدون يسوع وحده أو يهوه وحده، وقد يستخدمون الكتاب المقدس ويعطونه معانٍ مختلفة تمامًا عن معاني المسيحية التاريخية. هناك أيضًا الكنائس التي تُعلّم أي شيء غير إنجيل المسيح، قد تسمع فيها مواعظ عن الوطنية والحياة الأسرية أو حتى عن المسؤوليات الاجتماعية، إلا أن هذه الكنائس لا تتحدث فيما يخص مصير الناس البعيدين عن المسيح وعن الخلاص وعن الحياة في المسيح. هناك أيضًا الكنائس المنغلقة التي تجد كفايتها في المجموعات الصغيرة التي بها، هؤلاء لا يرغبون أن يُزعجوا أنفسهم بأناس جدد قد يقتحمون تلك المجموعات القديمة. هناك أيضًا الكنائس التي قد تسمع فيها عن تعاليم «العصر الحديث»، ففيها تعاليم عن أن تكون أنت إله نفسك وأن تصنع مستقبلك عن طريق التفكير الإيجابي.

توجد الكنائس الكبرى في آسيا وإفريقيا وأمريكا الجنوبية. في حقيقة الأمر، لا تُوجد أكبر الكنائس في الولايات المتحدة، فالأخيرة أصبح لها اتجاه حديث وهو الكنائس التي بها عدة أماكن خدمات، فالخدمة التي تُقدّم في الكنيسة المركزية تُبث للكنائس التابعة على شاشات. وهناك أيضًا الكنائس التي بها عدة خدمات متتابعة يوم الأحد، وهذه بها فريق عمل له عدة قساوسة. وفي ذات الوقت هناك العديد من الكنائس الصغيرة التي يتقابل

بها عدة أفراد في اجتماعات مصغرة يتراوح عددهم من ١٠ لـ ٢٠ فرداً، وليس هناك ما يجعل من كل هذه كنائس بالمفهوم المتعارف عليه.

عندما نتحدث عن الكنائس، هناك العديد من الاختلافات. فهناك الكنائس التي لها واجهة كواجهة المحلات، وهناك الكاتدرائيات الكبيرة، وهناك أيضاً الكنائس التي تجتمع تحت شجر، وغيرها من الكنائس التي في السجون. في بعض الدول وبسبب الاضطهاد الحكومي لأفرادها، نشأت كنائس عبر شبكة الإنترنت. وكذلك أيضاً هناك الكنائس المتحركة وذلك بحيث لا تلفت انتباه الحكومة، فهؤلاء يتحركون من بيت لبيت. فما الأمر الذي يُميّز الكنيسة؟ إنه ليس المبنى الذي يُسمى كنيسة. الكنائس تجتمع في أماكن محددة، ونحن ندعوها كنيسة وذلك لأن الكنيسة تجتمع فيها؛ إلا أن الكنيسة هي الأفراد وليست المبنى، فقد كان المسيحيون الأوائل يجتمعون في منازل أو في غيرها من الأماكن، ولم تُبنى الكنائس إلا مؤخراً.

فما هي الكنيسة إذًا؟ إنها جسد من المؤمنين المُعتمدين في اسم المسيح، يجتمعون للعبادة ولدراسة كلمة الله وللعمل معاً لتوصيل الرسالة العظيمة. هي مكان يغمره الحب؛ حيث يُحب فيه المؤمنون بعضهم البعض ويكرزون باسم المسيح. هي أيضاً مكان للشهادة، حيث نخرج منه لنُشارك بالأخبار السارة الخاصة بالمسيح. هي أيضاً مكان لتشجيع المؤمنين الجُدد وإرشادهم. وكذلك أيضاً مكان للفرح حيث نتغنى أغاني تسابيح لعمانوئيل.

هناك العديد من التعبيرات التي تُستخدم للتعبير عن الكنيسة. تُسمى «جسد المسيح» و «بِنَاء» و «كنيسة الله» و «كنيسة المسيح» و «عروس

المسيح». تُسمى ببساطة في الكثير من الأحيان بالكنيسة في مدينةٍ ما أو اجتماع كنسي في منزل شخص ما. فما الذي تُخبرنا به هذه التعبيرات عن الكنيسة؟ تُخبرنا هذه التعبيرات أن الكنيسة تنتمي للمسيح. كثيرًا ما نقول «كنيستى»، ونحن نفهم ما يعنيه هذا التعبير. إلا أن الكنيسة في حقيقة الأمر تنتمي للمسيح، فهي بناؤه وهيكله وجسده وعروسه. قال يسوع أنه سيبنى كنيسته، وهذا التعبير كان بمثابة رسالة نجاة للإيمان المسيحي في الكثير من الأوقات العصيبة؛ فقد كان هناك أعداء أرادوا القضاء على الكنيسة، وهؤلاء قاموا باعتقال الكثير من أفراد الكنيسة، ويوجد حتى اليوم الكثير من الشهداء، وهناك من يقول أن عدد شهداء المسيح زاد في الخمس سنوات الأخيرة أكثر من تاريخ الكنيسة المبكر. بالرغم من الظلم والاضطهاد إلا أن الكنيسة تتقدم. يحمل هذا الأمر تفسيرًا واحدًا، هو أن المسيح هو رأس الكنيسة وهي جسده، وهو الذي يبني كنيسته.

لا تقوم الكنائس على استراتيجيات الإنسان الماهرة، بل تقوم فقط بقوة المسيح الحي. علينا أن ندرك أن الكنيسة مليئة بالأفراد غير الكاملين، فالكنيسة بمثابة مستشفى أكثر منها مدرسة للخريجين. من السهل أن نجد سقطات في حياة قادة الكنيسة وأعضائها، في بعض الأحيان جَلَبَت الكثير من هذه السقطات عارًا وخزيًا لاسم المسيح. نسمع أيضًا أن هناك منافقون في الكنيسة، وهذا حقيقي في بعض الأحيان؛ المنافق هو شخص يُظهر عكس ما بداخله. هناك أيضًا الكثير من أفراد الكنيسة الذين يجاهدون ضد الخطية، هؤلاء يُحبون المسيح وينمون في الإيمان، وهم ليسوا بمنافقين بالرغم من سقطاتهم، بل هم مسيحيون يسرون في اتجاه الهدف الذي وضعه المسيح

لأجلهم. هل نُسمي موسيقي صغير السن منافقًا، لأنه لم يؤدِّ جيدًا في حفل ما؟ هل نُسمي لاعب رئيسي في فريق مدرسة ثانوية منافقًا، لأنه أخطأ ثلاث أو أربع مرات في اللعبة؟ وهل نُسمي فنان موهوب منافقًا، لأن لوحاته كانت أقل من الروائع الفنية غيرها؟

قدم ستيف براون Steve Brown هذه الملاحظة التي تتحدى بالحكمة، حيث قال: «هل تعلم أن الكنيسة المسيحية هي المؤسسة الوحيدة في العالم التي من مؤهلات أعضائها أنهم غير مؤهلين؟ ليس هذا فقط، بل بمفهوم آخر، الكنيسة المسيحية هي المؤسسة الوحيدة في العالم حيث المؤهل الوحيد للاحتفاظ بعضويتك فيها هو ألا تكون مؤهلًا للاحتفاظ بعضويتك.»^(١) وبالتالي فإن الكنيسة هي مثل المدرسة، نتعلم فيها عند قدمي يسوع. وهي مثل الأسرة التي قد تجد فيها تشققات وأفراد يتصفون بكونهم صعبى المراس؛ وهي أيضًا مثل جسم الإنسان - بحسب تعبير بولس الرسول - فكل أعضاء الجسد مترابطة بعضها البعض بطرق عدة، هناك أيضًا العديد من أشكال الكرازة والعديد من المواهب، إلا أنه مهما فعلنا وكيفما فعلنا، فجميعنا جنود جرحى، ومؤمنين بحالات صحية مختلفة، وأيضًا تلاميذ بمستويات مختلفة من الإيمان والمعرفة.

هناك ظاهرة غريبة تحدث اليوم ولا أعتقد أن لها أثرًا في الكنيسة الأولى، وهي المسيحيون الذين يقولون أنهم ليسوا بحاجة إلى الكنيسة؛ هؤلاء المسيحيون بمثابة «المنعزلون»، وربما يعود هذا الأمر إلى الفردية التي في ثقافتنا. لم يفكر المسيحيون الأوائل أن يعيشوا الحياة المسيحية بمفردهم

وعلى هواهم. يُعلّق بويد هانت Boyd Hunt قائلاً: «المسيحيون بدون كنيسة، مثل مواطنين بدون بلد تؤويهم.»^(٢) بالطبع هناك الكثير اليوم من البرامج المسيحية التي نشاهدها عبر شاشات التلفاز أو نسمعها عبر الإذاعة، وهناك أيضًا قنوات إذاعية مسيحية تعمل ليلاً ونهاراً، إلا أنه لا يُمكنها أبداً أن تأخذ مكان الكنيسة. في الكنيسة مساءلة واهتمام، وفيها أيضاً تفاعل بينما نتعبد وندرس كلمة الله؛ فنحن نحتاج إلى الكنيسة بغض النظر عن قوة إيماننا، نحن أيضاً لا نخرج من الكنيسة بينما نحن أحياء.

من السيناريوهات الغريبة أيضاً للمسيحيين هو ما ندعوه بـ «المسيحيين الهائمين»، هؤلاء لا ينتمون لكنيسة بعينها بل يتحركون من كنيسة لأخرى؛ فهم يبحثون عن مرتفعات روحية، فأينما يوجد واعظ جديد أو مرزم جديد، تجدهم يتوجهون في هذا الاتجاه حتى يحدث أمر آخر بمقدوره جذب انتباههم لاتجاه آخر. هؤلاء لا يحفرون جذوراً لهم في أي مكان بالاجتماعات المحلية. لا يدور الإيمان المسيحي حول ذاتي، ليس الأمر ما يُمكنني الحصول عليه من الكنيسة، بل هو كيف يُمكنني أن أركز بصورة أفضل عن طريق الكنيسة، للأسف هناك الكثير من «الأنانية» بين المسيحيين المتظاهرين اليوم.

يفصل بعض المسيحيين وبقوة بين الكنيسة وإسرائيل، فيظنون أن الكنيسة كانت بمثابة منحى في خطة الله لإسرائيل، حتى أنهم يظنون أنه سيأتي اليوم الذي ستعود فيه الذبائح كما كانت في العهد القديم. هؤلاء أيضاً يتحدثون عن وجود مصيرين، واحد لإسرائيل وآخر للكنيسة. أعتقد أن بولس الرسول كان يفكر بطريقة مختلفة. الكنيسة ليست فكرة ثانوية في ذهن الله، بل

كانت خطته منذ البداية. يتحدث الكتاب المقدس عن الخروف المذبوح من قبل تأسيس العالم، ويتحدث أيضًا عن الكنيسة باعتبارها إسرائيل، كما يرى كل المؤمنين جسدًا واحدًا. لقد نُقض حائط السياج وأصبح كل من في المسيح جزءًا من الكنيسة. هذا لا يعني أن الله ليس لديه خطة أخرى لإسرائيل، يتحدث الكتاب المقدس عن زمن سيكون فيه حصاد كثير من شعب إسرائيل. هناك طريق واحد للخلاص أعدّه الله منذ البداية، ولن يكون هناك طريق آخر. كان مؤمنو العهد القديم ينظرون ويتطلعون بالإيمان لمجيء المسيح، أما نحن اليوم رأينا كيف جاء المسيح. ففي المسيح تحقق كل الرجاء، وكل ما كان يُشير إليه العهد القديم، ولن يحتاج الناس إلى نبوات عنه مرة أخرى، فقد انشق حجاب الهيكل وأصبح المسيح الآن الكل في الكل، فهو الطريق المتاح لكل الناس.

يوضح ميلارد جاي إيريكسون Millard J. Erickson هذا الأمر كالتالي: «هناك مستقبل لأمة إسرائيل، فهم لا يزالون شعب الله المختار. سأل بولس الرسول بعد تصريحه أن رَفُضَ إسرائيل يعني مُصالحة العالم، يقول: «فَمَاذَا يَكُونُ اقْتِبَالُهُمْ إِلَّا حَيَاةً مِنَ الْأَمْوَاتِ؟» (رومية ١١: ١٥). إلا أن شعب إسرائيل سيخلص بدخولهم الكنيسة كما دخل الأمم، فلا يوجد في العهد الجديد ما يقول أن هناك أساس آخر للخلاص.»^(٣) يعني هذا أنه لا بد للكنائس أن تستمر في نشر الإنجيل لكل الناس، وفي توقيت الله المحدد سيأتي العديد من اليهود إلى المسيح، وسيصبحون جزءًا من الكنيسة تمامًا كهؤلاء الذين يأتون إلى المسيح اليوم.

تُستخدم كلمة «كنيسة» بطريقتين في العهد الجديد، هي غالبًا ما تُشير إلى تجمع من المؤمنين، كان بولس الرسول يوجّه خطابه إلى كنيسة أو إلى عدد من الكنائس في منطقة محددة؛ مثلًا يكتب رسالة تسالونيكي الأولى «إِلَى كَنِيسَةِ التَّسَالُونِيكِيِّينَ»، ويستهل رسالته إلى أهل غلاطية بقوله: «إِلَى كَنَائِسِ غَلَاطِيَّةَ». أما في سفر الرؤيا فتجد أن الرسائل موجهة إلى الكنائس في سبعة مناطق أو مراكز، تُشير هذه إلى أجساد محلية للمؤمنين. كانوا يتقابلون للعبادة وأيضًا لكونهم أصدقاء، إلا أنهم لم يكونوا كاملين بأي شكل من الأشكال. يتمنى المسيحيون في بعض الأحيان أن تكون الكنيسة اليوم كالكنائس التي ذُكرت في العهد الجديد، إلا أنه كان لدى الكنائس الأولى مشاكل كالتي نعاني منها في كنائسنا اليوم. والسبب وراء هذا هو أن أفراد هذه الكنائس كانوا غير كاملين مثلنا تمامًا اليوم. انقسم أعضاء كنيسة كورنثوس إلى أربع مجموعات، وفشلوا أن يُقَوِّموا عضوًا كان يعيش في الفجور، وكان لديها الكثير من المشكلات الأخرى أيضًا.

إذا نظرنا نظرة سريعة إلى السبعة كنائس التي في (رؤيا ٢، ٣) سنرى أن هذه الكنائس لديها نفس الوضع الذي تواجهه الكنيسة في العصر الحديث؛ فيذكر الوحي أمورًا جيدة عن كنيسة أفسس، إلا أنهم خسروا حماسهم الروحية، فيقول الوحي: «أَنَّكَ تَرَكْتَ مَحَبَّتَكَ الْأُولَى» (رؤيا ٢: ٤)، أما كنيسة سميرنا فكانت فقيرة جدًا وتعاني من الاضطهاد، وكذلك كنيسة برغامس عانت من المعلمين الكذبة، وأيضًا كنيسة ثياتيرا كانت تعاني من أسلوب المساومة، وقد اتَّبَعَ البعض من أعضائها هذا التعليم الفاسد. أما كنيسة ساردس فأخذها النوم، وحتى هذه الكنيسة كان فيها العديد من المؤمنين الذين كانوا أمناء

للمسيح، أيضًا كانت كنيسة فيلادلفيا لديها القليل من القوة، إلا أنهم كانوا أمناءً للرب، كذلك كانت كنيسة لاودكية كنيسة فاترة، أي أنها كانت مكتفية بما كانت عليه.

وبعد أن واجهت الكنيسة كل هذه المشكلات والتحديات، قد يتساءل البعض كيف أمكن للكنيسة أن تستمر عبر كل هذه القرون؛ تجد الإجابة هي أن المسيح هو رأس الكنيسة. فعندما يحارب الناس الكنيسة، هم يُحاربون المسيح بذاته، وعندما يحاولون تدمير الكنيسة هم يحاولون تدمير عروس المسيح، فالحرب له. يشير فرانك ستاج Frank Stagg إلى أهمية أن يكون المسيح هو رأس الكنيسة فيقول: «ولأن المسيح موجود، ليس باعتباره الجذع في الجسد، بل موجود بكامل حضوره؛ فالكنيسة المحلية كاملة بكل ما تحمله الكلمة من معاني.»^(٤) نحن نتحدث كثيرًا عن معجزات مثل معجزات الشفاء أو غيرها من طرق تدخل الله، وبالتأكيد وجود الكنيسة بالأمر العظيم كأى معجزة نسمع عنها. عبّر وارين ويرزبي Warren Wiersbe عن هذا الأمر بصورة رائعة حين قال: «يا لها من كنيسة عجيبة! فقد استطاعت أن تتحمل الاضطهاد الذي أتى عليها من الخارج وتحملت أيضًا المشكلات التي كانت بداخلها، هجم عليها أعداؤها وأهملها أصدقاؤها، إلا أنها نجت من كل هذا؛ كما تحملت الهرطقات التي أصابتها والمساومات التي لطختها والأثانية التي أضعفتها، بالإضافة إلى قاداتها الفقراء فكريًا، فتحملت كل هذا ولا تزال تشهد للعالم بعمل المسيح.»^(٥)

يُستخدم أيضًا التعبير «كنيسة» للإشارة إلى الكنيسة بالمفهوم الأشمل، فيشمل هذا التعبير المؤمنين بالمسيح من كل العصور والأزمان. ويبدو أن

هذا المعنى هو المستخدم في (أفسس ٢٢:١-٢٣) حين قال: «وَأَخْضَعَ كُلَّ شَيْءٍ تَحْتَ قَدَمَيْهِ، وَإِيَّاهُ جَعَلَ رَأْسًا فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ لِلْكَنِيسَةِ، الَّتِي هِيَ جَسَدُهُ، مِلءُ الَّذِي يَمَلَأُ الْكُلَّ فِي الْكُلِّ»، وهو المقصود به أيضًا في (أفسس ٢٥:٥) حيث يقول: «إِيَّهَا الرُّجَالُ، أَحِبُّوا نِسَاءَكُمْ كَمَا أَحَبَّ الْمَسِيحُ أَيْضًا الْكَنِيسَةَ وَأَسْلَمَ نَفْسَهُ لَأَجْلِهَا». وبلا شك هذا هو المعنى المقصود أيضًا في (عبرانيين ١٢:٢٣) حيث يقول: «وَكَنِيسَةُ أَبْكَارٍ مَكْتُوبِينَ فِي السَّمَاوَاتِ، وَإِلَى اللَّهِ دَيَّانِ الْجَمِيعِ، وَإِلَى أَرْوَاحِ أَبْرَارٍ مُكَمِّلِينَ».

أما المفهوم الثاني للكلمة «كنيسة»، فيُشير إلى كل المسيحيين الذين ينتمون لجسد المسيح، وهؤلاء لن يتقابلوا حتى يكتمل كل شيء، حيث سيأتي المؤمنون من المشرق ومن المغرب ومن الشمال ومن الجنوب وسنكون جميعًا معًا؛ سنكون معًا بسبب دم المسيح. سيَتَّحِدُ كل المفديون، ولن يكون هناك كنيسة منفصلة. لن يكون هناك كنيسة معمدانية وأخرى ميثودية وغيرها خمسينية وكاثوليكية ومشيخية وأسقفية؛ سيَتَّحِدُ كل المؤمنون المُشْتَرُونَ بالدم معًا في تمجيد وحب الرب يسوع المسيح. هناك بالفعل سنكون واحدًا في المسيح، فالذي صلى يسوع لأجله في (يوحنا ١٧) سيصبح حقيقة، لقد صلى لنكون واحدًا كما أنه هو والآب واحد.

لطالما كانت هناك محاولات لتوحيد الكنيسة، لكن هذه المحاولات قد باءت بالفشل؛ فكانوا يتحدثون في بعض الأحيان بعد أن يأتوا بحلول وسط فيما يخص المعتقدات المسيحية الأساسية، ثم يحاولون إيجاد أرضية مشتركة، إلا أنه لا يجب أبدًا أن يساوم المسيحيون فيما يخص ما يؤمنون به بخصوص

الإنجيل. لا يُمكن أن نتحد مع مجموعات تنكر إلهوية المسيح، ولا يُمكن أن نتحد مع مجموعات ترفض موت المسيح الكفاري عنا، لا يُمكن أن نتحد مع مجموعات تنكر قيامة المسيح من الموت، كذلك أيضًا لا يُمكن أن نتحد مع مجموعات تنكر ضرورة الولادة الثانية.

حقيقة أننا نختلف مع الكنائس الأخرى لا تعني أننا لا نستطيع أن نتعاون معهم في حملات تبشيرية أو في كرازة محلية. يوجد في الكثير من المدن اتحادات كنسية تعمل لتبشير المشردين والمحتاجين، وهؤلاء يجتمعون معًا من مختلف الطوائف ليحتفلوا بمناسبات خاصة مثل عيد الشكر وعيد ميلاد المسيح؛ وقد يتكثروا معًا ليحاربوا بعض الأمور الضارة مثل المقامرة أو الإباحية. في بعض الدول التي بها عدد قليل من المسيحيين، يُمكن التمييز بصعوبة بين أصناف المسيحيين، إلا أنهم يسعدون حين يتقبلوا للعبادة، فهناك رباط أسري بين كل من يحبون الرب يسوع ويتبعوه.

هناك أشكال عديدة للعبادة، وهياكل قيادية مختلفة، وأيضًا تقاليد مختلفة لكل كنيسة؛ من بين القادة المذكورين هناك القساوسة والسيوخ والشمامسة والمعلمين ومن ندعوهم المُرسلين أو الذين يزرعون الكنائس. ترتيب القادة يختلف من كنيسة لأخرى. لدى بعض الكنائس كهنة أو سيوخ يتولون شؤونها، بينما يقوم الأساقفة بمراقبة عمل الكنيسة بين عدد من الكنائس. في بعض الكنائس الأخرى هناك نظام الاجتماعات، وهناك أيضًا الكنائس التي يقودها قسيس (راعي). الكتاب المقدس لا يقدم تعليمات محددة بحيث يتوجب إتمامها بطريقة ما، إن ما يقدمه الكتاب المقدس

بصورة مؤكدة هو مؤهلات القائد؛ ويوضح أيضًا أن هناك دعوات لقيادات مختلفة في أماكن مختلفة. فلا يأخذ القس هذا المركز لمجرد أنه يُعجبه باعتباره وظيفة، بل لابد أن يكون لديه حس الدعوى الإلهية حتى يتمكن من دخول الخدمة. ربما يُدعى بولس الرسول واحدًا من أوائل الخدام، فقد آمن بدعوة الله له ليُتمم العمل الذي عمله.

أمر واحد يوضحه الكتاب المقدس فوق كل الخلافات وهو أنه لابد أن يخدم القساوسة والقادة بقلب خادم، فلا يجب أن يقوموا بالكراسة بغرض أن يخدمهم الآخرون، بل لابد أن يكونوا مثل يسوع الذي كان يخدم. هذا الأمر حقيقي بغض النظر عن المكانة أو السلطة، فالقساوسة يُدعون رعاة، والراعي يخدم الخراف ويقودهم بحكمة وبحذر، هو أيضًا يعتني بهم، والخراف تتبع قلب الراعي. تأتي الكثير من المشكلات بالكنيسة، عندما يحاول الناس أن يكونوا أسياذًا وليس خُدامًا.

يقدم لنا بولس الرسول مؤهلات الأساقفة (القساوسة) والشمامسة في (تيموثاوس الأولى ٣: ١-١٠)، كثير من الأمور التي ذكرها تخص كلا الخدمتين؛ فلا بد أن يكونوا مؤمنين ناضجين، وألا يتجاوزوا الحق، وأن يُعتمد عليهم، وبإمكانهم ضبط أنفسهم. أما القس أو الأسقف فعليه أن يكون «صالحًا للتعليم». عندما قامت الكنيسة باختيار الشمامسة الأوائل في أورشليم، كانت هذه هي مؤهلاتهم، يقول الكتاب: «فَانْتَخِبُوا أَيُّهَا الإِخْوَةُ سَبْعَةَ رِجَالٍ مِنْكُمْ، مَشْهُودًا لَهُمْ وَمَمْلُوءِينَ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ» (أعمال الرسل ٦: ٣)، فواحد من الشمامسة الأوائل هو استفانوس الذي كان «مَمْلُوءًا إِيمَانًا وَقُوَّةً» (أعمال الرسل ٦: ٨).

ما هو إذاً غرض الكنيسة؟ إنه بالتأكيد ليس أقل من العبادة والتعليم والكراسة. نتقابل سويًا لنمجد الرب، يُعلمنا الكتاب المقدس بالمثال وبالكلمة عن العبادة المشتركة، فيقول الكتاب أنه لا بد لنا ألا نتوقف عن حضور الاجتماعات؛ نجد في كل سفر أعمال الرسل أن مؤمنين يجتمعون سويًا وبعد ذلك يتفرقون لينشروا الإنجيل. لو لم يكن هناك كنائس لكان هناك القليل جدًا من الكرازة، فعن طريق الكنيسة يتمكن المؤمنون من العطاء والصلاة وإرسال الكارزين إلى أقصى الأرض.

يوجد في الكنائس المحلية مرسومان كنسيان، تعتبر بعض الكنائس هذين المرسومين بمثابة سر كنسي، لكنني أفضل تسميتهما مرسومان؛ فهذا التعبير يوحي بأن هناك قيمة مدخرة فيهما. أنا أؤمن أن المعمودية والعشاء الرباني هما رمزان ليس أكثر، وليس لهما قيمة مدخرة. سننظر أولاً للمعمودية، لا بد أن يعتمد كل مسيحي في كنيسة محلية، ولا بد أن يكون المرشح للمعمودية شخصًا مؤمنًا بالمسيح؛ فالمعمودية هي وصية المسيح ذاته. لقد قال المسيح في إرسالته لنا أن نذهب ونُتلمذ ونُعَمِّد الناس باسم الآب والابن والروح القدس. كانت هذه الممارسة هي المتبعة في الكنيسة الأولى، كانوا يُبشرون بالإنجيل، وعندما يقبل الناس المسيح كانوا يُعَمِّدونهم. مثال جيد على هذا الأمر هو الخصي الحبشي الذي آمن بالمسيح بينما كان عائدًا لبلده؛ فقد سأل عما إذا كان يُمكن أن يعتمد، وقام فيلبس في الحال بتعميده. مثال آخر هو سجان فيلبي الذي قبل المسيح وبعد ذلك اعتمد هو وكل أهل بيته.

ما هو الغرض من المعمودية؟ إنها رمز لموت يسوع ودفنه وقيامته. هي صورة مرئية للإنجيل؛ فعندما ينزل المرء في الماء، يشير هذا إلى الموت والدفن،

وعندما يصعد من الماء، يشير هذا إلى قيامة يسوع من الموت. ليس هذا فقط، بل تُشير المعمودية إلى موت المؤمن وقيامته؛ فعندما يتغطى بالماء، هو يُظهر موته عن حياته القديمة، بينما يُشير صعوده من الماء إلى الحياة الجديدة التي حصل عليها في المسيح. لكن هل لابد للإنسان أن يعتمد لينال الخلاص؟ لا! هناك بعض الظروف التي لا يتحتم فيها المعمودية، فليس هناك أمر سحري في الماء؛ المعمودية لا تغسل الخطايا، بل هي ليست إلا شهادة، ولكي نكون طائعين لله علينا أن نعتمد. يحدث في بعض الأحيان أن المرء لا يستطيع أن يعتمد بسبب ظروف جسدية، أو قد يكون على فراش الموت، أو قد يكون حتى وحيداً حين جاء إلى المسيح، لكن في أغلب الحالات يُمكن لأي مسيحي أن يعتمد ولا بد له أن يعتمد، وهذا بحسب تعاليم يسوع.

نحن أيضاً نُمَارِس طقس العشاء الرباني، فيُشير الخمر أو عصير العنب إلى دم المسيح الذي سَفَك من أجلنا، ويُمثل الخبز أو الرقاقة إلى جسد المسيح الذي قُدم ذبيحة لأجلنا، فهذا أيضاً بمثابة إنجيل مصوّر. أما عن كيفية ممارسة هذا الطقس، إنه أمر يختلف من كنيسة لأخرى. بعض الكنائس تُمارس هذا الطقس كل يوم أحد، والبعض الآخر يُمارسه مرة في الشهر، والبعض الآخر يُمارس هذا الطقس كل ثلاثة أشهر وفي المناسبات الخاصة كعيد القيامة أو عيد الميلاد، لكن من الضروري أننا نُمَارِس هذا الطقس. فبينما نحفظ هذا المرسوم، نحن نُظهر الصورة المرئية للإنجيل وأيضاً لإيماننا، إلا أن هذا الطقس لا يُخلصنا، لكن مرة أخرى نحن نمارسه لأنه وصية من الرب ذاته.

ما هو المكان المخصص لهذه الطقوس في الكنيسة؟ تختلف الطقوس من كنيسة لأخرى، فقد يكون هناك سبب جيد لممارسة طقس ما بطريقة ما،

وهذا منذ مئات السنوات السابقة، إلا أن اليوم لا يوجد سبب لاتباع ذلك الأسلوب القديم. لكن إذا كان التقليد ينتهك تعليمًا كتابيًا واضحًا، فلا بد أن نرفضه. يقول دكتور بويد هانت Dr. Boyd Hunt: «تضع المبادئ الكتابية حدودًا لمحاكاة التقاليد والانتفاع منها، فالتقليد - في مفهوم المسيحيين الآخرين والذي يجد له أساس في الكتاب المقدس - يُمكن أن يكون مُعلمًا ثمينًا. والانتفاع - في مفهوم الهيكل الفعالة يتغير ليوافق المتغيرات والظروف التاريخية المؤقتة - يُمكن أن يكون بالأمر الضروري. تحتاج الكنيسة إلى تنظيم جيد، لكن التقاليد والمنفعة لابد أن تُفسح المجال أمام سلطة الكتاب المقدس النهائية.»^(٦)

ينزعج بعض الناس بسبب وجود العديد من الطوائف المختلفة. ظهرت هذه الطوائف لعدة أسباب؛ الكنائس تجتمع معًا بسبب وجود معتقدات معينة لديهم سواء في الفكر أو في الممارسات. فقد يجتمعوا معًا لأداء خدمات معينة مثل خدمة جيش الخلاص، وربما يجتمعوا معًا بسبب الطريقة التي يريدون أن يؤديوها بها إرسالية ما. مثال على ذلك هو بعض الكنائس المعمدانية التي تستخدم الاتجاه المجتمعي لأداء عملها الكرازي ويتشاركون مع الكنائس الأخرى التي تعمل من خلال برامج تعاونية. كما ظهرت بعض الطوائف بسبب قناعاتهم فيما يخص المواهب الروحية. قد يكون أيضًا طقس المعمودية والعشاء الرباني سببًا في ظهور بعض الطوائف. هناك من يؤمن أن المعمودية لازمة للخلاص. وهناك طائفة أخرى لا تمارس المعمودية والعشاء الرباني، إلا فيما يتعلق بالمعاني الروحية. يوجد أيضًا العديد من التقاليد فيما يخص الطوائف المختلفة.

هناك العديد من الأمور الإيجابية في وجود طوائف مختلفة، فحتى في زمن العهد الجديد كان هناك مجموعات كنسية تختلف بحسب المكان أو القيادة. وغالبًا ما تجد طائفة تُؤكد على أمر ما تتجاهله طائفة أخرى. بمعنى آخر، الطوائف دائمًا ما تُكمل بعضها البعض. عندما صلى يسوع طلبًا لوحدة جسده، لم يكن يقصد أننا نتهاون فيما يخص قناعاتنا، ولم يقصد أيضًا أن نكون جميعًا سطحيين وجسدًا واحدًا من صنع الإنسان؛ فهذا ما يفعله بعض المسيحيين الذين يتكون قناعات هامة لمجرد «الوحدة»، لكن هناك فرق بين الوحدة والاتحاد. قد تكون متحدًا ولا يكون هناك وحدة، وقد يكون هناك طوائف مختلفة وبينهم وحدة في ذات الوقت؛ فإينما يكون هناك مؤمنين يحبون الرب يسوع، سنشعر بالوحدة معهم.

إن كُتب الترانيم مثال جيد على ذلك، ففيها ترانيم من كنائس وطوائف مختلفة؛ وكل هذه الترانيم تجد تقديرها وتُغنى في كل أنواع الكنائس. نحن واحد في المسيح، وواحد فيما فعله المسيح لأجلنا، وواحد في نعمة المسيح لأجل الخطاة، وواحد في المهمة الموضوعة أمامنا والتي هي أن نُكرز للعالم عن يسوع. لطالما كان المسيحيون عبر العصور يجدون بركة في كتابات المسيحيين من خلفيات مختلفة. عندما نقرأ هذه الكنوز قد نسمع أمورًا بطرق لم نسمعها من قبل؛ كذلك أيضًا تجد أن الفن المسيحي هو نفس الشيء، فمهما كان مصدره، هو بركة لكل المسيحيين.

كتب إف بي ماير F.B. Meyer عن الطوائف يقول: «يُفضّل البعض أسلوب ويسلي Wesley، بينما يُفضّل آخرون الحرية التي في التجمعية. هناك البعض

الذين يُصلون بصورة طبيعية أكثر عن طريق كلمات الليتورجيا (نظام العبادة الجماعي) المهيبة، وهناك من يُصلون بصورة طبيعية في اجتماعات الأصدقاء الصامتة، البعض ينمو بصورة أفضل عند أقدام الأسقف، بينما ينمو البعض الآخر في الثكنات العادية التابعة لجيش الخلاص؛ لكن بالرغم من كل هذه الاختلافات قد يكون هناك وحدة روحية عميقة – خراف كثيرة، إلا أنه قطع واحد؛ أفواج متعددة، لكنه جيش واحد؛ أحجار كثيرة، لكن درع واقي واحد.»^(٧)

يتفق اللاهوتي إيه إيه هودج A. A. Hodge مع ذلك حيث يقول: «أؤمن أن كل الطوائف لها مبررات تاريخية. تُمثل جميعًا أفكارًا عظيمة، سواء كانت هذه الأفكار نظرية أو عملية، وهي التي فرضها الله عليهم حتى يعملوا بحسبها، أؤمن أيضًا أنه من واجبنا أن نحافظ على إرثنا الحقيقي وأن نكون أوفياءً لعقيدتنا.»^(٨)

يُشير بويد هانت Boyd Hunt إلى أن الطوائف بمثابة نظام فحص واتزان للكنائس، فيقول: «بإمكان الاختلافات الطائفية أن تُقدم نظام ضوابط وتوازن قيّم لشعب الله، نظام يستحيل أن يقوم في كنيسة واحدة، فلا يُمكن لطائفة واحدة أن تتظاهر بصورة شرعية أن لديها كل الحق، مثلما أنه لا يُمكن لمؤمن واحد أن يدّعي وبشكل مبرر أن لديه كل مواهب الروح القدس.»^(٩)

إن ما نراه في الكنائس اليوم ما هو إلا جزءًا صغيرًا مما يحدث حول العالم؛ فقد لا تكون الكنيسة التي نذهب إليها تنمو كثيرًا، بينما هناك دول ينتشر فيها الإنجيل بصورة مذهلة وبسرعة كبيرة. ما يحدث في أماكن أخرى وكأن سفر أعمال الرسل يتكرر ثانية، كذلك أيضًا هناك أماكن يُقدّم فيها المسيحيون

الذين يواجهون الموت شهادة قوية لأفراد يسكون السكين على أعناقهم. هناك أماكن يفتقر فيها المسيحيون إلى الكثير من مقتنيات هذا العالم، إلا أن لديهم فرحًا بالمسيح ويحملون كلمة الله في قلوبهم، قد يكونوا جرحى أو مأسورين أو يُسَخَّر منهم. إلا أن الكنيسة تزدهر؛ ورأس الكنيسة المنتصر يقودها، وهو بدوره يقوم بتطهير كنيسته بعض الأحيان، في أحيان أخرى يقوم بتأديبها. هو يحب كنيسته لأنها عروسه، وهو أيضًا يقودنا لنصل إلى الاحتفال الأبدي في السماوات.

عندما نُفَكِّر في رأس الكنيسة، نجد أنفسنا نتغنى. عندما نُفَكِّر فيما عمله وما يزال يعملهُ المسيح لأجلنا، نتغنى. وعندما نتذكر المصير الأبدي الذي ينتظر الكنيسة، نرفع أصواتنا بحمد وتسبيح، ونُنشد مع المرنم:

«إن كنيسة العلي واحدة طول المدى

والرب سيد لها يحفظها من العدى

خليقة جديدة بالماء والكلمة

جاء لكي ينقذها من أسرها بالنعمة

من كل أمة تُرى بين المَلَا تحت السما

قد جمعتهم ضمنها حتى ينالوا النعمة

فواحد سيدها وواحد إيمانها

وواحد رجاؤها وواحد تُكَلِّمها

لَئِنْ يُصَبَّ وُحْدَتَهَا دَاعِي النُّفُورِ وَالشَّقَاقِ
أَوْ دَخَلَتْهَا بَدْعُ تَسْلِبِهَا رُوحُ الْوَفَاقِ
فَإِنْ سَيِّدُ الْمَلَا يَرْعَى بَنِيهَا سِرْمَدَا
فَلَيْسَ أَبْوَابُ الرَّدَى تَقْوَى عَلَيْهَا أَبْدَا
فِي تَعَبٍ وَأَلَمٍ فِي نَصَبٍ وَفِي سَقَامٍ
تَنْتَظِرُ الْيَوْمَ الَّذِي فِيهِ تَرَى نُورَ السَّلَامِ
وَسَوْفَ تَحْظِي بِالَّذِي تَرْجُو بَأْنَ تَنْظَرَهُ
وَتَبْصُرَ الْمَلِكَ الَّذِي تَشْتَاقُ أَنْ تَبْصُرَهُ.»^(١٠)

الفصل التاسع

بِرُّ نَتَغْنَى بِهِ

البِرُّ الذي سوف نتحدث عنه في هذا الفصل مختلف، هو ليس كالِبِرِّ الذي يعطيه لنا المسيح. منذ زمن بعيد التمس إبراهيم من الله أن يُبقي الأبرار، وذلك عندما جاءت الديونة على سدوم، وسأل إبراهيم الله قائلاً: «أَدَيَّانُ كُلُّ الأَرْضِ لَا يَصْنَعُ عَدْلًا؟» (تكوين ١٨: ٢٥). السؤال العظيم الذي يسأله الناس عبر العصور يدور حول الشر: لماذا يوجد شر في العالم بينما هناك إله مُحِب؟ ولماذا تحدث أمور سيئة لأفراد صالحين؟ تجد إجابة هذا السؤال في حقيقة أن المسيح سيأتي ثانيةً.

فالمسيح سيأتي ثانيةً ليُصلح الأمور. هو لن يأتي ثانيةً لأنه فشل في مجيئه الأول، بل هو قد فعل بالضبط ما أتى لأجله في مجيئه الأول، قد جاء ليُخلصنا. لكن في مجيئه الثاني، سيأتي ليُصلح كل الأمور. بدون مجيئه سينتصر الشر، وسينجو الأشرار بجرائمهم وتمردهم. لكن لن ينتصر الشر في النهاية، فبدون مجيء المسيح ثانيةً لن نضع علامة النهاية لكلامنا، وستكون قصتنا بلا حبكة درامية، وسيكون التاريخ بلا معنى وبلا نهاية.

سيأتي المسيح ثانيةً ليضع نهاية للتاريخ الذي نعرفه، لن تستمر الأمور كما هي للأبد؛ الرجال والنساء سيُحاسبون على اختياراتهم، وسيحصدون ما

زرعوه. فما نختاره والكيفية التي نحيا بها تصنع اختلافاً في مصيرنا. عندما يقع الإنسان في خطية ما، يتمرد على سلطان الله، فقد تكون هذه الخطية في حق زوج أو زوجة أو صديق أو صديقة، إلا أنها أيضاً خطية ضد الله الخالق. الحرية المُعطاة لنا حقيقية، وبهذه الحرية نحن نختار أن نؤمن بالمسيح أو نختار أن نرفضه، في بعض الأحيان يكون اختيارنا هو ألا نختار أي منهما، وهذا في الحقيقة رفض للمسيح، كما أن الذين لم يسمعوا عن الإنجيل يختارون بحسب الإعلان الذي لديهم، فيقول بولس في الإصحاح الأول من رومية أن الكثير منهم يتجه للوثنية. جميعنا مسؤولون عن اختياراتنا، وهذا ما يعنيه أن نكون على صورة الله، فنحن قد نكون عبيداً للخطية، إلا أننا لا نزال مسؤولون أمام الله.

سيأتي المسيح ثانيةً ليأخذ أبناءه؛ فالكثير منهم عانى كثيراً، وهناك من استشهدوا لأجل اسمه، فعندما يأتي المسيح ثانيةً سيأخذهم جميعاً. قد يكون هؤلاء الأبناء منبوذين من الآخرين، وربما تعرضوا للإساءة ممن حولهم، وقد يكونوا مجهولين من قبل العالم، إلا أن المسيح يعرف كل واحد من خاصته، وهو آتٍ لأجلهم. الراعي يعرف خرافه بأسمائهم، وسيأتي ليُكمل عمل الخلاص في أبنائه. البعض من أتباعه هؤلاء أطفال روحيين، والبعض من تلاميذه لا يزالون مراهقين روحيين، بينما هناك ممن هم بالكاد ناضجين؛ إلا أن كل هؤلاء سيتقابلون مع المسيح وسيتغيرون - سيتغيرون ليصبحوا مثل المسيح - يقول الوحي: «هَكَذَا الْمَسِيحُ أَيْضًا، بَعْدَ مَا قُدِّمَ مَرَّةً لِكَيْ يَحْمِلَ خَطَايَا كَثِيرِينَ، سَيُظْهِرُ ثَانِيَةً بِلَا خَطِيئَةٍ لِلْخَلَاصِ لِلَّذِينَ يَنْتَظِرُونَهُ» (عبرانيين ٩: ٢٨).

إن المجيء الثاني للمسيح هام لكلاً من الضالين والمُخْلِصين، وهذا ما تبينه رسالة (تسالونيكى الثانية ١: ٥-١٠)، «بَيِّنَةً عَلَى قَضَاءِ اللَّهِ الْعَادِلِ، أَنَّكُمْ تُوَهَّلُونَ لِمَلَكُوتِ اللَّهِ الَّذِي لَأَجْلِهِ تَتَأَلَّمُونَ أَيْضًا. إِذْ هُوَ عَادِلٌ عِنْدَ اللَّهِ أَنَّ الَّذِينَ يُضَايِقُونَكُمْ يُجَازِيهِمْ ضِيقًا، وَإِيَّاكُمْ الَّذِينَ تَتَضَايِقُونَ رَاحَةً مَعَنَا، عِنْدَ اسْتِعْلَانِ الرَّبِّ يَسُوعَ مِنَ السَّمَاءِ مَعَ مَلَائِكَةٍ قُوَّتِهِ، فِي نَارٍ لَهِيْبٍ، مُعْطِيًا نَقْمَةً لِلَّذِينَ لَا يَعْرِفُونَ اللَّهَ، وَالَّذِينَ لَا يَطِيعُونَ إِنْجِيلَ رَبَّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، الَّذِينَ سَيَعَاقَبُونَ بِهَلَاكِ أَبَدِيٍّ مِنْ وَجْهِ الرَّبِّ وَمِنْ مَجْدٍ قُوَّتِهِ، مَتَى جَاءَ لِيَتِمَّجَدَ فِي قَدِيسِهِ وَيَتَعَجَّبَ مِنْهُ فِي جَمِيعِ الْمُؤْمِنِينَ. لَأَنَّ شَهَادَتَنَا عِنْدَكُمْ صُدِّقَتْ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ». فَإِنْ مجيء المسيح سيأتي بدينونة على الضالين. أما المؤمنين، فمجيئه سيكون مجداً وترحيباً لهم.

كثيراً ما يحترق الناس ويُهْمَلُونَ أهم الأمور التي تخص المجيء الثاني للمسيح. هم يحاولون أن يعرفوا وقت مجيئه؛ وهذا غباء منهم أن يضعوا تاريخاً معيناً لمجيئه. المسيح بذاته قال أنه لا يعرف موعد مجيئه، فلماذا يحاول الناس أن يُزِيدُوا على كلام المسيح؟ عندما قال المسيح أنه لا يعرف، كان يتحدث بحسب محدودية إنسانيته؛ بمعنى أوضح، لا يعرف أي إنسان موعد مجيء المسيح الثاني للأرض.

هناك أشخاص يقضون ساعات طويلة في دراسة علامات مجيء المسيح ثانيةً. واحدة من هذه العلامات التي دائماً ما يأتون بها هي تفاقم الشر العظيم الذي في العالم؛ نحن لا ننكر هذا، إلا أنه لطالما كان هناك أوقاتاً شريرة في الماضي، مثل إبادة اليهود والهمجية التي كانت سائدة في العصور الوسطى،

وكذلك أيضاً الفجور الذي هو في كل العصور. نقرأ في العهد القديم عن أوقات بشعة من الشر، فمثلاً يختتم سفر القضاة بالقول: «كُلُّ وَاحِدٍ عَمِلَ مَا حَسَنَ فِي عَيْنَيْهِ» (قضاة ٢١: ٢٥). يُشير بعض المسيحيين إلى اضطرابات الطبيعة، كأمواج المد والجزر والزلازل التي تحصد أرواح آلاف البشر باعتبارها علامات. لابد أن نتذكر أننا لا نعرف متى يأتي الشر إلى درجة حصاده، فقد تسوء الأمور أكثر وأكثر مما هي الآن، وقد نكون في الأيام الأخيرة، لكننا لا نعرف، فقد أخطأ الكثيرون في الماضي بقراءة علامات نهاية الزمان.

قد نقضي الكثير من الوقت نتحدث عن الأخريات. يذكر أن الواعظ ميلارد جي إيريكسون Millard J. Erickson استمر يعظ في سفر الرؤيا كل يوم أحد مساءً لمدة ١٩ عاماً. وهنا قد تفقد الأمور توازنها؛ فالمجيء الثاني للمسيح أمر هام وبشدة، إلا أنه لا ينبغي أن يكون الأمر الوحيد الذي نُعطيه اهتمامنا. هناك العديد من التكهّنات حول تفاصيل النبوات وعلامات نهاية الزمان. علينا أن نحافظ على الأمر الأساسي عندما نتحدث عن التعاليم التي بها تباين في الآراء، لكن ما هو هذا الأمر الأساسي؟ إنه حقيقة أن المسيح آتٍ ثانيةً. سيأتي ثانيةً بشخصه وسنراه ممجداً ومنتصراً. يقول بويد هانت Boyd Hunt: «إن المسيح بذاته يقف في مقدمة كل الأحداث؛ وأن نراه ونكون في محضره، هذا ما يعنيه المجيء الثاني في الأساس.»^(١)

لكن لماذا لم يأتِ المسيح ثانيةً حتى الآن؟ يقول الكتاب المقدس أنه لم يأت بعد بسبب طول أناة الله. الله يريد أن جميع الناس يتوبوا، فهذا هو يوم الخلاص. لو جاء المسيح منذ مئة عام سابقة، لما كان أي منا قد خلاص. فَمِنْ

نعمة الله أن المسيح لم يأت بعد. أيضًا يقول الكتاب أن يومًا واحدًا كآلف سنة عند الرب. لقد مضى حوالي ألفي عام منذ أن صعد المسيح إلى السماء، ومن منظور الله هذا يُقدَّر بحوالي يومين. إن الله إله صبور، والمسيح سيأتي ثانيةً في وقته. عندما أتى المسيح المرة الأولى لم ينظر إليه العديد من الناس، ففي الغالب ظن العديد منهم أن المسيا سيأتي في المستقبل القريب. إلا أن المسيح أتى في الوقت الصحيح؛ ونحن نعرف أن خطة الله لم تتغير، فالمسيح سيعود بذاته إلى هذه الأرض، وذلك في الوقت المناسب.

تتكرر حماقة الإنسان مرة تلو الأخرى. فحديثًا أعلن رجل ما أن المسيح كان سيأتي في يوم ما حدده هو، لكن هذا لم يحدث. وحدث منذ عدة سنوات أن الكثير من الناس تركوا وظائفهم وذهبوا ليستقبلوا المسيح في مجيئه الثاني، وهذا أيضًا لم يحدث بالرغم من توقعاتهم. فما الذي يجب علينا فعله كمسيحيين؟ علينا أن نكون مستعدين لمجيء المسيح في أي وقت. قد يأتي هذا العام، وقد يكون في المستقبل البعيد. نحن نعرف فقط إنه سيأتي كما وعد. المسيحي الذي يتحلّى بالحكمة، يعيش في توقع واستعداد. أخبرنا يسوع بقصة العذارى اللاتي ذهبن ليستقبلن العريس؛ خمس منهن لم يأخذن زيتًا للمصابيح، وقاططن وطلبن زيتًا من الخمس عذارى الأخريات اللاتي أخذن معهن زيتًا، إلا أنه لم يفلح الأمر، فهن لم يكن مستعدات وكانت النتيجة أنهن طُردن من احتفال العريس.

هناك تعبيرات مختلفة تُشير إلى المجيء الثاني للمسيح، منها الظهور والمجيء والتبيان. المسيح ذاته الذي ذهب للسماء سيأتي ثانيةً، فالروح لن

تعود، أي لن يأتي شخص آخر ثانيةً. بل يسوع ذاته الذي هو الله وأيضاً إنسان في شخص واحد، فهو لم يتخل عن إنسانيته عندما عاد للسماء، فيخطئ بعض الناس بقولهم أن صعود المسيح كان روحياً فقط، فإذا كان الأمر كذلك لكانت كلمة «قيامة» بلا معنى وذلك لأن يسوع كان روحاً قبل أن يأتي للأرض المرة الأولى. لكن يسوع أراد أن يُخبر تلاميذه أنه سيأتي ثانية، فنقرأ في سفر أعمال الرسل: «أَيُّهَا الرِّجَالُ الْجَلِيلِيُّونَ، مَا بِالْكُمُ وَاَقِفِينَ تَنْظُرُونَ إِلَى السَّمَاءِ؟ إِنَّ يَسُوعَ هَذَا الَّذِي ارْتَفَعَ عَنْكُم إِلَى السَّمَاءِ سَيَأْتِي هَكَذَا كَمَا رَأَيْتُمُوهُ مُنْطَلِقاً إِلَى السَّمَاءِ» (أعمال الرسل ١: ١١).

سيكون المجيء الثاني للمسيح مرثياً، يقول الكتاب المقدس ستراه كل عين، «وَحِينَئِذٍ يُبْصِرُونَ ابْنَ الْإِنْسَانِ آتِياً فِي سَحَابَةٍ بِقُوَّةٍ وَمَجْدٍ كَثِيرٍ» (لوقا ٢١: ٢٧). يقول أيضاً: «هُوَذَا يَأْتِي مَعَ السَّحَابِ، وَسَتَنْظُرُهُ كُلُّ عَيْنٍ، وَالَّذِينَ طَعَنُوهُ، وَيَنُوحُ عَلَيْهِ جَمِيعُ قَبَائِلِ الْأَرْضِ. نَعَمْ آمِينَ.» (رؤيا ١: ٧). فيا له من يوم مهيب لكل مؤمن! ويا له أيضاً من يوم مخيف لكل مَنْ لم يخلص! فلا شك أنه عندما يأتي هذا اليوم سيهرع الكثيرون بحثاً عن مكان يختفون فيه. كتب ماكس لوكادو Max Lucado عن المجيء الثاني يقول: «إن المجيء الثاني للمسيح ليس لغزاً يحتاج حلاً أو شفرة تحتاج فكاً، بل هو يوم ننتظره.» (٢) وبإمكاننا أيضاً أن نقول أنه يوماً لنحتفل به، فهو للمؤمن يوم نصره، لأن فيه سنذهب إلى بيتنا الأبدي، فهو يوم اكتمال خلاصنا.

هناك من يقولون أن المجيء الثاني للمسيح قد حدث بالفعل. هؤلاء لا ينتظرون المسيح، إلا أنه لا يوجد هناك دليل يؤيد ادعاءهم هذا. الكتاب

المقدس لا يُعلّم عن المجيء غير المرئي للمسيح والذي لا يعرفه أي شخص، بل أن هذا الأمر يتناقض مع قوله أنه سيأتي في قوة ومجد. المسيح لن يأتي بدون أن يلاحظه أحد كما حدث في المجيء الأول، ولن يأتي متواضعًا كما في المجيء الأول، بل سيأتي بمجدٍ، وهذا سيكون أمرًا مذهلاً. لم ير العالم شيئًا كهذا من قبل. الملك سيأتي، الملك الأبدي سيأتي؛ الملك الوحيد الذي مملكته تدوم إلى الأبد؛ الملك الوحيد الذي يستحق العبادة؛ ملك الملوك آتي ثانية!

سيأتي المسيح ثانية بمجده، لكنه أيضًا سيأتي كقاضٍ، فكل أحكام القضاء قد آلت إليه. يسوع بذاته قال أن الله الآب قد أعطاه سلطانًا ليحكم المسكونة، «وَأَعْطَاهُ سُلْطَانًا أَنْ يَدِينَ أَيْضًا، لِأَنَّهُ ابْنُ الْإِنْسَانِ» (يوحنا ٥: ٢٧). إن ما قيل عن قيامة الضالين قليلًا، فلم يخبرنا الكتاب أي شيء أكثر من أن الضالين سيقومون من الموت ليتم محاسبتهم. كم ستكون هذه المحاكمة مهيبية لمن رفضوا وكرهوا ذلك القاضي الذي سيقفون أمامه.

كم محاكمة ستكون هناك؟ اختلفت الآراء حول هذا الأمر. يؤمن بعض المسيحيين أنه سيكون هناك عدة محاكمات متفرقة، لكن يبدو أن أغلب هذه المحاكمات المختلفة تتحدث عن ذات الشيء. فالمحاكمة المذكورة في متى ٢٥ لا تحتاج إلى أن تكون محاكمة منفصلة عن محاكمة العرش الأبيض العظيم التي ذُكرت في سفر الرؤيا. قد يكون عرش المسيح الحاكم بمثابة وقتًا خاصًا للمؤمنين، فيذكر الكتاب المقدس أنه ليس هناك إدانة وليس هناك محاكمة للمؤمنين، فالمسيح قد حَمَلَ دينونتنا، سيكون عرش قضاء المسيح وقتًا للمكافئة. بالرغم من هذا، سيكون هناك وقتًا للمحاكمة، فيقول الكتاب:

«لَآئِهْ أَقَامَ يَوْمًا هُوَ فِيهِ مُزْمَعٌ أَنْ يَدِينَ الْمَسْكُونَةَ بِالْعَدْلِ، بِرَجُلٍ قَدْ عَيَّنَهُ، مُقَدِّمًا لِلْجَمِيعِ إِيْمَانًا إِذْ أَقَامَهُ مِنَ الْأَمْوَاتِ» (أعمال الرسل ١٧: ٣١).

نحن نعيش في وقت لا يرغب فيه الناس أن يسمعو عن الدينونة، فالمحاسبة بمثابة كلمة سيئة للكثيرين. يُشبه يومنا هذا بالوقت الذي «صنع فيه كل إنسان ما يحسن في عينيه». نحن لا نرغب أن يُخبرنا أحد ما يجب علينا فعله، ولا نرغب في السماع عن نتيجة أفعالنا، وبالتأكيد لا نرغب في السماع عن المحاكمة الأخيرة. الكثيرين لم يسمعو عنها إلا بعد أن يقرأوا الكتاب المقدس، هذا ما يقوله الكتاب عن المحاكمة الأخيرة: «ثُمَّ رَأَيْتُ عَرْشًا عَظِيمًا أَبْيَضَ، وَالْجَالِسَ عَلَيْهِ، الَّذِي مِنْ وَجْهِهِ هَرَبَتِ الْأَرْضُ وَالسَّمَاءُ، وَلَمْ يُوجَدْ لَهُمَا مَوْضِعٌ! وَرَأَيْتُ الْأَمْوَاتَ صِغَارًا وَكِبَارًا وَقَافِينَ أَمَامَ اللَّهِ، وَانْفَتَحَتْ أَسْفَارٌ، وَانْفَتَحَ سِفْرٌ آخَرٌ هُوَ سِفْرُ الْحَيَاةِ، وَدِينُ الْأَمْوَاتِ مِمَّا هُوَ مَكْتُوبٌ فِي الْأَسْفَارِ بِحَسَبِ أَعْمَالِهِمْ» (رؤيا ٢٠: ١١-١٢).

لكن لماذا هذه المحاكمة بالأمر الهام؟ لا يُمكن أن يُقدم تقييم كامل عن حياة أي إنسان إلا بعد موته وبعد انتهاء الزمن، فلدى بعض الأفراد الأشرار تأثيرًا كبيرًا حتى بعد أن يكونوا قد رحلوا عن هذا العالم، وهذا الأمر ينطبق على المؤمنين أيضًا، فلا يُمكنك أن تعرف كل تأثير الإنسان عند موته. لو فرضنا أن شخصًا يُدعى أندرو ربح أخاه بيتر للمسيح، وقام بيتر بدوره بربح الآلاف للمسيح، فتأثير أندرو لا يزال مستمرًا كتأثير بيتر، نحن لا يُمكننا أن نقرأ قلوب الآخرين، فحتى الدلائل المُقدمة في قاعات جلسات المحاكمات قد تكون مُضللة وغير كافية. في بعض الأحيان يُدان أناس أبرياء بجرائم لم يرتكبوها

قط، وربما يُطلق سراح أناس مُذنبين لأنه لم يكن هناك ما يكفي من دلائل لإدانتهم. لكن علينا أن نتأكد من هذه الحقيقة: سيعرف الديان يوم الدينونة كل الدلائل وكل ميول القلوب، فلن يكون هناك شكوى من أي أحد ضده، فهو سيفعل الصواب، لن يُدان أحد ظلمًا.

بالطبع سيكون الأمر بمثابة إعادة ذهنية لكل الفرص التي كانت أمام الإنسان ليقبل المسيح، فبدون كلمة من القاضي الديان سيعرفون أنهم مذنبون، فما سيكون السؤال الذي سيُطرح أمام القاضي؟ سيكون سؤال واحد فقط مهم، وهو «ماذا فعلت مع يسوع؟ الأعمال المذكورة ستؤكد إجابة هذا السؤال، لن يهم ما إن كنت غنيًا أو فقيرًا، ولن يهم ماذا كان عملك الذي كنت تعمله، ولن يهم أين كنت تحيا وما عملت، بل أمر واحد سيهم وهو عما إذا كان دم المسيح يُعطيك أم لا، وعما إذا كان بر المسيح يُكسيك أم لا.

في حقيقة الأمر، يُعلّم الكتاب المقدس أنه قد تم محاكمة غير المؤمنين بالفعل، فهؤلاء يحيون في حالة من الدينونة بينما هم على الأرض، ويوم الدينونة سيعلن فقط ما هو حقيقي بالفعل، فيقول الكتاب: «الَّذِي يُؤْمِنُ بِهِ لَا يُدَانُ، وَالَّذِي لَا يُؤْمِنُ قَدْ دِينَ، لِأَنَّهُ لَمْ يُؤْمِنْ بِاسْمِ ابْنِ اللَّهِ الْوَحِيدِ» (يوحنا ٣: ١٩). إن القاضي الذي سيقف أمامه كل رجل وامرأة هو من أخذ مكانهم على الصليب ومات بدلًا منهم، هذا القاضي هو من رفضوه وحاربوه وسخروا منه وقالوا أنهم ليسوا في حاجة إليه؛ هذا القاضي هو من قال عليه الكثيرون أنه مجرد واحد من الأنبياء، كان رجلًا صالحًا لكنه مُضلل، وقال البعض أنه لم يقم من الأموات، وبالتالي فإن ما يدين الإنسان هو عدم الإيمان، الذي لا يُؤمن يُدان.

عندما يُدان إنسان بجريمة ما، قد يستأنف الحكم، وعندما تُسمع دعوته، قد يستأنف لمحكمة أعلى، وذلك حتى يصل أخيراً إلى المحكمة العليا. أما عندما يقضي المسيح فلن يكون هناك استئناف. المسيح هو المحكمة العليا والهيئة الأخيرة، ولن يحكم على حكمه أحد، ولن يستأنف أحد حكمه، فليس هناك محكمة أعلى يُمكن للإنسان أن يتجّه لها في ذلك الوقت. بالإضافة إلى ذلك، سيعرف الجميع أن القاضي حكم بالعدل.

يتحدث الناس من وقت لآخر عن الرحمة في قاعات جلسات المحاكمات. إلا أنه سيكون أمر الرحمة قد فات عندما يقف الرجال والنساء أمام قاضي المسكونة، محاكمتهم (صدور الحكم) قد تمت بالفعل؛ تمت باختياراتهم، فهذه المحاكمة ستبين اختياراتهم هذه أمام كل العالم، ستبين أيضاً كمال وبر القاضي يسوع المسيح، ولن يكون هناك مَنْ يحتاج، ولن يشعر أحد أنه قد ظلم، ولن يكون هناك شكوى، فالكل سيكون على حق والجميع سيعرف ذلك.

يحدث أيضاً في بعض الأحيان أن الرجال والنساء المدانين بجرائم لا يذهبون للمحاكمة لعدة سنوات، فهم يختبئون أو قد يخفون في المثلث أمام المحكمة. أما محاكمة المسيح فلا يُمكن تجنبها، ليس هناك ما يُمكن فعله لتجنبها، فهي أكيدة. يقول الوحي: «وَكَمَا وُضِعَ لِلنَّاسِ أَنْ يَمُوتُوا مَرَّةً ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ الدَّيْنُونَةُ، هَكَذَا الْمَسِيحُ أَيْضًا، بَعْدَ مَا قُدِّمَ مَرَّةً لِكَيْ يَحْمَلَ خَطَايَا كَثِيرِينَ، سَيَظْهَرُ ثَانِيَةً بِلَا خَطِيئَةٍ لِلخَلَاصِ لِلَّذِينَ يَنْتَظِرُونَهُ» (عبرانيين ٩: ٢٧-٢٨). فلن يكون هناك سداد للديون في هذا اليوم. لن يؤثر وضع الإنسان العالي في الحكومة أو مركزه كرئيس شركة ما. لن يؤثر هذا على قرار المحكمة. محكمة

المسيح ستكون بالبر والعدل. سيكون السؤال الذي يوجه لجميع الناس هو نفسه، سيكون الحكم الصادر هو نفسه لجميع غير المؤمنين.

نأتي الآن لفكرة دائماً ما يتم تجنبها، وهي مصير غير المؤمنين. يُعلّم الكتاب وبوضوح أن مصير غير المُخلّصين هو الجحيم، وقد ذكر المسيح الكثير عن الجحيم. كانت كلمة «جَهَنم» في الأساس تعني مكب نفايات. وكانت هذه النفايات تُحترق بصورة مستمرة ويصدر منها رائحة كريهة، فهي كانت المكان الذي يتخلص فيه الناس من أجساد الموتى وغيرها من الأمور عديمة الفائدة. يُعلّم يسوع أن جهنم هي هذا المكان. يُدعى مكان ظلمة ويُوصف بكونه مكان اشتعال النيران، فما الذي كان يقصده يسوع؟ كان يقصد أنه مكان انفصال عن الآخرين ومكان معاناة. قد تكون الكلمات المُستخدمة في وصف جهنم رموزاً، لا ينبغي أن تُسبب لنا إزعاجاً لأن المقصود بالرموز هو محاولة وصف شيء أسوأ من الرمز ذاته. عبّر هارولد تي بريسون Harold T. Bryson عن ظلام جهنم قائلاً: «ليست هذه مشكلة بصرية، بل هي مشكلة خطية، إنها صورة حقيقية لبشاعة الخطية التي تؤدي إلى الذهاب لجهنم، فالعقل البشري بالكاد يستطيع أن يدرك إما النور الكامل أو الظلام الدامس، ولهذا لا نستطيع أن ندرك الكثير عن السماوات أو عن جهنم، فجهنم ظلام شديد.»^٣

ذكر يسوع قصة عن رجل فقير مات وذهب إلى حضن إبراهيم، ومات أيضاً رجل غني وكان يتعذّب في الجحيم. كان هناك هوة كبيرة تفصل بينهما، ولا يُمكن لأي منهما أن يعبر هذه الهوة، وهذا ما تفعله الخطية، فهي تفصل الإنسان عن الله. نحن كنّا أموات قبل أن نأتي إلى المسيح ولم يكن لنا علاقة

معه، فعندما نموت يحدث انفصال، أي أن الروح تنفصل عن الجسد. يأتي ذكر «الموت الثاني» في (رؤيا ٢٠: ١٤)، وهذا هو الانفصال النهائي. هو الانفصال الذي لا يُمكن إصلاحه، فليس هناك جسراً نعبه أو حتى مخرج من هذا المأزق، ويستخدم الوحي الكلمات التي تعبر عن الحياة الأبدية للتعبير عن الهلاك الأبدي.

هناك أسلوب آخر للتعبير عن الانفصال الذي سيعاني منه غير المُخلّصين في جهنم. هو في الأساس انفصال ليس عن محضر الله بل عن المسيح. يُعبّر بويد هانت Boyd Hunt عن هذا الأمر كالتالي: «إن جهنم هي التعرض لوجود الله في المحاكمة الأخيرة. بالرغم من انتشار فكرة أن جهنم هي البُعد عن وجود الله، إلا أن الفكرة الكتابية عن جهنم هي أنها التعرض لوجود الله في ظل غياب المسيح كالشفيع. جهنم ليست غياب الله، بل هي رفض محبته ورحمته الدائمة الوجود. فهذا هو جوهر فكرة جهنم باعتبارها مكان العذاب الأبدي، ليس هناك في هذا العالم ما يجلب الدينونة أكثر من رفض الرحمة والحب.» (٤)

لا يعني الدمار الأبدي أن تتوقف الأرواح عن الوجود. يُعلّم بعض المسيحيين أن جهنم تعني ببساطة توقف أرواح الضالين عن أن تتواجد، حيث يتم تدميرهم إلى الأبد. لكن ليس هذا هو المعنى المقصود، فالأشرا يعيشون بعيداً عن الله، وهذه هي الحياة التي اختاروا أن يعيشوها، فإذا ذهبوا للسماء سيكونون أكثر تعاسة وسيجعلون السماء جحيمًا. ليس الأمر أن الله يُرسل الناس لجهنم بقدر ما هو اختيار الناس أن يذهبوا له. الله يُعطي الناس ما يختارونه. هذا ما يُعبّر عنه وليام هيندريكس William Hendricks حين قال: «فكما أن الإنسان ينمو

إلى الخارج باتجاه الجسد في السماء، كذلك ينمو المرء إلى الداخل في اتجاه الذات في الجحيم. فكما أن السماء تتزايد وتتسع، جهنم تُقَيَّد وتُحد. إن شراكة المؤمنين في السماء تتعارض مع التمرکز حول الذات الذي هو جهنم، فجهنم ليست ما يُرسله الله بقدر ما هي التمرکز حول الذات.»^(٥)

واحدة من الطرق التي قد ندرك بها كيف تكون جهنم هي أن نعرف أنها عكس السماء بصورة كلية. السماء مكان للشراكة، أما جهنم فهي مكان للانفصال. السماء مكان نرى فيه وجه الله، أما جهنم فهي مكان لا نرى فيه وجه الله أبدًا. السماء مكان أفراح أما جهنم فمكان حيث الحزن اللامتناهي. السماء مكان متجدد؛ حيث نختبر فيها أمورًا جديدة طول الوقت، أما جهنم فهي مكان يسوده الملل؛ فكل الأمور تظل كما هي. قد تكون جهنم مكان نتذكر فيه دائمًا الفرص الكثيرة التي أضعتها. واحدة من وسائل العذاب الكبرى ليست العذاب الجسدي، بل هي العذاب الذهني والروحي. إن التفكير فيما كان ممكن أن يكون، والتفكير في الفرص الضائعة سيكون بالتأكيد جحيمًا.

يتمتع الأشرار بالعديد من الأمور الجيدة من يد الله، وذلك أثناء تواجدهم على الأرض. هم ليسوا مطرودين من صلاحه. من الصعب أن نتخيل كيف سيكون الأمر عندما تنقطع كل التعبيرات عن صلاح الله، إلا أن هذا هو جهنم. فهي تُدعى مكان ظلام خارجي، هي ظلام الخطية المتزايدة مليون مرة، وهي مكان يوجد فيه فقط حصاد الخطية. مكان ليس فيه ماء حي وليس فيه صوت حي يدعو للتوبة، بل هي النهاية؛ نهاية الأمل ونهاية السعادة،

وثر عدم الإيمان ونهاية كل ما هو حَسَن، هذه هي جهنم وهذا ما يؤدي إليه عدم الإيمان.

كتب إي واي مولينز E.Y.Mullins عن جهنم يقول: «إن جهنم هي نفى أو غياب كل ما تعنيه السماء في روح الإنسان. وكما أن السماء هي ثمر كل الرغبات الصالحة، فإن جهنم هي إحباط كل تلك الرغبات. السماء هي تحقيق الحب، وجهنم هي تحقيق الأنانية. السماء هي الثمر الناضج للحياة المتجددة التي خُلقت من جديد في المسيح، جهنم هي عكس كل ما تتضمنه الخبرات المسيحية.»^(٦) كيف تبدو الحياة البعيدة عن الله؟ إنها تبدو كالذي نراه في جهنم، فهي حياة بلا رجاء؛ حياة تدور حول الذات، هي حياة بلا معنى أو هدف، وهذا ما يعنيه الإنسان الميت وهو لا يزال على قيد الحياة. يتحدث روي كليمنتس Roy Clements عن جهنم باعتبارها حفرة سوداء فيقول: «إن جهنم مكان فيه يلتف الناس حول أنفسهم لدرجة أن أرواحهم تصبح كأكياس منيعة ومنفصلة عن النور الخارجي وعن الحب والحياة وذلك بسبب استمرارية الذاتية، فهي حفرة سوداء في الكون الروحي بإمكانها الأخذ، إلا أنها لا تعطي أبدًا.»^(٧)

إن جهنم مكان ميؤوس منه، يحدث لنا في بعض الأحيان هنا على الأرض أن نمر بمحن ومعاناة، لكن طالما كان هناك أمل، نتمكن من مواصلة حياتنا. يصف الكتاب المقدس حالة الإنسان البعيد عن الله بكونه «بلا أمل». تخيل أن تكون في مكان ليس فيه أمل، فليس هناك أمل أنك ستغادر هذا المكان، وليس هناك أمل أن تتغير الأمور. الكتاب المقدس لا يذكر أنه من الممكن

أن يغادر أي أحد من سكان جهنم، لقد سأل الرجل الغني أن يخرج أحد ويذهب ليُحذّر إخوته ألا يأتوا إلى ذلك المكان الذي هو فيه، لم يستطع أن يُغادر بنفسه. الطريق الوحيد للنار ينتهي هناك، وهو مصير الإنسان الذي لا يؤمن بالمسيح، فهذا المكان سيأوي الخُطاة، لقد شعروا «بالراحة بعيداً عن الله» عندما كانوا على الأرض وسيستمرون في العيش على هذا النحو الذي اختاروه على الأرض، وهذا ما كتبه موريس آشكرافت Morris Ashcraft حينما قال: «إن جهنم هي القاع الأخير الذي لا يوجد صعود منه، هو الظلام الذي ليس فيه شعاع نور، وحالة من الاغتراب ليس فيها حب على الإطلاق - أبداً. إن جهنم هي الغياب التام للأمل - فهي اليأس بذاته.»^(٨)

يبدو أن الكتاب المقدس يُعلّم أن هناك درجات مختلفة من العذاب في جهنم. الأشخاص الذين كان لديهم فرصاً عديدة للخلاص يأخذون دينونة أعظم في جهنم، أما الأشخاص الذين كان لديهم فرصاً قليلة لقبول المسيح سينالون عذاباً أقل في جهنم. لكن الكتاب المقدس لا يوضح هذا بصفة خاصة. ذكر يسوع أن بعض المدن كانت ستتوب منذ زمن بعيد لو كان لديهم الفرص التي كانت لدى الناس في يومه. أسند هذا المعتقد لما ورد في هذه الآية: «الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: سَتَكُونُ لَأَرْضِ سَدُومَ وَعَمُورَةَ يَوْمَ الدِّينِ حَالَةٌ أَكْثَرُ احْتِمَالًا مِمَّا لَتِلْكَ الْمَدِينَةِ» (متى ١٠: ١٥). نحن نعلم أن المسيح سيفعل الصواب، وهذا أمر لا يُمكن أن نشك فيه، إلا أن هذا يبدو استنتاجاً منطقياً من تلك الجملة التي ذكرها يسوع في إنجيل متى.

يُشير هارولد تي بريسون Harold T. Bryson إلى أن عاقبة الخطية تختلف باختلاف الخطية،^(٩) فالشخص الذي يكسر إشارة المرور يكون مذنباً

بكسر القانون، لكن ليس بدرجة الإنسان الذي يقتل إنساناً آخرًا، والإنسان الذي يسرق عشرة دولارات مذنبًا أيضًا، ولكن ليس بدرجة الإنسان الذي يذهب لبنك ومعه سلاحًا ويسرق آلاف الدولارات، وكذلك أيضًا الإنسان الذي يزني بقلبه مذنبًا، لكن ليس بدرجة الإنسان الذي يغتصب امرأة.

يقتبس بريسون Bryson من كلمات إيه برودوس A. Broadus التي تتحدث عن درجات العذاب في جهنم فيقول: «يجب أن يكون هذا الأمر بارزًا أكثر في التعاليم الدينية، فهو يُعطي بعض الراحة عند التفكير في المصير المروع لمن سيهلكون، فهذا قد يُنقذ البعض من اللجوء إلى العالمية، وقد ينقذ البعض الآخر من الظن بوجود فترة اختبار ثانية في جهنم الأبدي، وهو الأمر الذي لا يؤكد الكتاب المقدس.»^(١٠)

في روايته التي جاءت تحت عنوان «النهاية» Deadline، يحكي راندي الكورن Randy Alcorn عن إنسان كان يعيش بعيدًا عن الله وأخيرًا كان مصيره جهنم الأبدية، تجد في هذه الرواية بعض الحقائق الواقعية والبصيرة، فيقول: «نعم كانت أبواب جهنم مغلقة جيدًا، لكنها كانت مغلقة من الداخل، فإذا حاول الله أن يدخل هذا العالم، سيقوم دوك Doc بغلق الترابس مرتين ووضع كتفه تجاهه، فهذا مكانه وعالمه وليس لله حق الدخول فيه. كان دوك Doc يطوق للمساعدة وليس للتوبة، فهو جاع للأمل وليس للبر، اشتاق للصداقة ولكن ليس مع الذين كانوا يتبعون الله،»^(١١) ويتابع يقول: «ليس جهنم مكان حبس، بل هو كالسرطان الذي ينتشر ويقضمه ويأكل فيه ويلتهمه.»^(١٢) أخيرًا ذكر هذا التشبيه الذي يُثير القشعريرة فيقول: «أتى إليه

موج من شيء ما لا يعرفه، شعر أنه كان امتداد لله الكلي الوجود، كالرياح التي تضرب في صحراء جهنم، فهو كان ذات الوجود الذي بإمكانه أن يأتي بفرح ورهبة وحب للناس الذين في السماء، لكن هنا في جهنم حتى حب الله تشعر بأنه مثل الغضب، وفرحه مثل العذاب. فإن نار الله الآكلة التي كانت نقاءً وصلاًحاً وراحة لمن أحبوا النور، كانت هنا بمثابة عقاباً شديداً لمن أحبوا الظلام، ونفس هذه النار الإلهية التي هي مصدر الدفء في السماء وتجذب الجميع ليتجمعوا حولها مبتهجين، أصبحت هنا النار المدمرة التي تُهدر الحياة ويفر منها الجميع خوفاً.» (١٣)

في كتابه الذي جاء تحت عنوان «الطلاق العظيم» The Great Divorce، يتحدث سي إس لويس C.S.Lewis عن الأشباح (الضالين) الذين يبتعدون عن بعضهم البعض أكثر وأكثر. (١٤) ليس هناك فقط انفصال عن الله بل أيضاً حالة اغتراب بعضهم عن بعض. يقول الإنسان لله: «دعني وشأني»، وينال الإنسان أخيراً ما يطلبه، فهو يعيش في وحدة أبدية. يدعو وليام شد William Shedd جهنم بكونها بقعة في الكون، فيقول: «هي فقط بقعة في كون الله، هذا بالمقارنة مع السماء، جهنم ضيقة ومحدودة؛ مملكة الشيطان هذه بالأمر التافه بالمقارنة بمملكة المسيح، ففي النطاق الهائل لسيادة الله، الصلاح يحكم والشر بمثابة استثناء، والخطية هي ذرة على النقاء اللامتناهي للأبدية، فهي كنقطة على الشمس، جهنم كركن صغير في الكون.» (١٥)

يقول الكتاب المقدس أن جهنم قد خُلقت للشيطان وملائكته، لكن للأسف اختار الكثير من الناس الطريق الذي اختاره الشيطان، هم آلهة

أنفسهم وقد انقلبوا على أنفسهم، وأن حصاد هذه الحياة هي نار جهنم. يكتب بيتر كريفت ورونالد تاسيلي Peter Kreeft and Ronald Tacelli يقولان: «أيّما توجد الخطية يوجد نار جهنم، وذلك لأنّ جهنم ببساطة هي الخطية المؤبدة، وليست جهنم عقاباً خارجياً يُضاف إلى الخطية، بل جهنم هي الخطية حينما تأتي بثمارها.»^(١٦) إن جهنم بمثابة شهادة للحرية التي أعطانا الله إياها، فالله لن يُجبر الناس أبداً على السماء خاصته، فهو لا يريد أناساً آليين (روبوتات)، والله لا يجعل الناس يتوبوا ويأتوا إلى المسيح، فهذا بمثابة اغتصاب روحي، فالله الحي هو مَنْ خلق الإنسان على صورته، ويريد أناساً يحبوه من كل قلوبهم - ليس حباً صناعياً يكونوا مجبرين عليه، الله يريد أناساً يجدون سعادتهم فيه وليس أناساً يأتون إليه فقط إذا كان هناك من يجرحهم من شعورهم ويسحبهم إليه.

يدعو جاي كيربي أنديرسون J. Kerby Andreson جهنم بكونها مكان ملجأ، فيقول: «إن جهنم ليست مجرد مكان عقاب، بل هي مكان نهرب إليه من مجد الله البار، ودعاها دانتي Dante في روايته التي تُدعى «الكوميديا الإلهية» بـ «الملجأ المؤمن»، فهي ملجأ للذين رفضوا الله وأرادوا خطيتهم بدلاً منه، فإذا كانوا ليقفوا في مجد الله بخطاياهم الكبيرة هذه وإلى الأبد، سيعانون من مصير أكثر ألماً، إن جهنم هي ملجأ كما أنها مكان عقاب.»^(١٧) بهذا المعنى يُمكن أن نقول أن جهنم تُظهر رحمة الله، وذلك لأنّ مصير الأشرار سيكون أسوأ في السماء حيث سيحيون في قداسة الله ومجده، هم يُريدون حياة بدون الله، والله بدوره أعطاهم ما يريدون.

إن اختياراتنا بالأمر المهم، فالاختيارات التي نقوم بها لها نتائج حياة أو موت، فبينما نحن على قيد الحياة يُمكن أن نختار الباب الضيق الذي يؤدي إلى الحياة، أو نختار الباب الواسع الذي يؤدي إلى الموت، ليس هناك مَنْ يختار عنا، الله لن يجبرنا لندخل مملكته، فهو يريد أبناء وبنات له في الملكوت وليس جيشاً من أناس آليين. إن الله صبور جداً وهو لا يزال يحذرنا ويدعونا ويترجانا، فكل من يذهبون للنار قد اختاروا أن يتعدوا عن الصليب وأداروا آذاناً صمّاً إلى دعوة الله. يبدو أن بعض اللاهوتيين يفكرون أنه لا يُمكن لإله مُحِب أن يسمح بوجود مكان كجهنم. إني أؤمن أنه العكس؛ فبسبب محبة الله هناك مكان كهذا، هو مثل السجن. فيه سيُقيد الشيطان وقوته في النهاية، منفصلين عن كل ما هو حسن وبار. أعطى الله العديد من الفرص للخطاة ليتوبوا، لكن في نهاية الأمر سينطرح فيروس الخطية، وسينفصل سرطانها وهؤلاء ذو التمرد الروحي المُعدي، سينفصلون عن بقية خليفة الله.

إن هذا الأمر بمثابة خبر سار للمؤمنين، لكنه لأمر مؤسف أن نفكر أن هناك الكثيرين الذين سيذهبون للنار، فجهنم ليست مجرد حالة، بل هي مكان ربما يذهب إليه بعض أفراد العائلة أو الأصدقاء. نقرأ في سفر الرؤيا أن المؤمنين صرخوا لله سائلين: إلى متى ينتظرون القضاء واستعلان البر ونهاية الشرير، ونحن قد نسأل ذات الأسئلة بعض الأحيان. لكن هناك يوم دينونة وهو آتٍ، هناك يوم تنحل فيه هذه الحياة كما نعرفها الآن، والشر ومن يرتكبونه. سيقف غير المؤمنين أمام الديان البار.

فهل يُمكننا أن نتغنى بهذا الجزء من اللاهوت؟ نعم بإمكاننا، فيمكننا أن نسعد أن المسيح سيأتي ثانيةً ليحكم ويسود، ويمكننا أن نسعد أنه آتٍ ثانية ليأخذنا لبيتنا الأبدي، ويُمكننا أن نسعد أيضًا أنه آتٍ لي طرح بعيدًا كل ما هو شرير، يُمكننا أن نسعد كذلك لأن نصرته ستظهر أمام كل عين، يُمكننا أن نسعد بقضائه البار.

المسيح سيأتي للأرض ثانيةً،

ماذا لو كان هذا سيحدث اليوم؟

سيأتي بقوة وبحب ليحكم،

ماذا لو كان هذا سيحدث اليوم؟

سيأتي ليأخذ عروسه المختارة؛

كل المفديين والمطهرين،

المنتشرين في كل الأرض

ماذا لو كان هذا سيحدث اليوم؟

سينتهي سلطان إبليس،

ماذا لو كان هذا سيحدث اليوم!

سينتهي الحزن والألم

ماذا لو كان هذا سيحدث اليوم!

سيقوم عندها الأموات في المسيح،

على السحاب سيتقابلوا مع المسيح،

متى ستري أعيننا هذه الأمجاد؟

ماذا لو كان هذا سيحدث اليوم؟ (١٨)

الفصل العاشر

مستقبلُ نتغنى به

إذا كانت حياتنا تنتهي عند القبر، لكان هناك القليل الذي نتغنى به. لكن بالنسبة للمؤمن فإن الموت هو مجرد البوابة التي ندخل منها إلى حياة أكثر كمالاً مع المسيح. يقول الرسول بولس: «أَنَّ لِي الْحَيَاةَ هِيَ الْمَسِيحُ وَالْمَوْتُ هُوَ رِبْحٌ» (فيلبي ١: ٢١). كان من الصعب أن يقول بولس ذلك إذا كانت غايته هي القبر، وكان من الصعب أن يقول ذلك إذا كان الموت يعني بالنسبة له النوم حتى يأتي المسيح ثانية، وما كان سيقولها هكذا أيضاً إذا كان الموت يعني تناسخ الأرواح. كان بولس يتوقع أن يكون مع المسيح في ذات اللحظة التي يغادر فيها هذه الحياة، فهو كان يتحدث عن تركه للخيمة الأرضية والانتقال إلى بيته الأبدي، وكان يتحدث أيضاً عن تركه للرداء الأرضي ليلبس الرداء السماوي.

إن الموت هو عملية انتقال بالنسبة للمؤمن، فهو الانتقال من المؤقت إلى الأبدي؛ من ذلك الذي يفنى للذي لا يفنى؛ من الظل إلى النور؛ كذلك هو انتقال من المرض إلى الصحة؛ الانتقال من مكان التجارب والحروب إلى مكان النصر والسلام. لا يستطيع المسيحي أن يتطلع إلى تناسخ الأرواح، وهذا فكر شائع جداً وتعليم أساسي في الهندوسية التي تُعلّم أن الإنسان يحصل على ما يستحق؛ فإذا كانت الحياة التي يعيشها سيئة، سيولد (في الحياة التالية)

بهية حياة أقل، وإذا كانت الحياة التي يعيشها جيدة، سيولد (في الحياة التالية) بهية حياة أفضل؛ فالتأكيد في هذا الفكر هو على الذات الإنسانية. أما نحن كمسيحيين فنحيا بنعمة الله التي بها خلصنا، لذا ليس هناك موضع للتفاخر، فذهابنا للسماء يقوم بصفة خاصة على ما فعله المسيح لأجلنا. أما التناسخ فيتعارض مع معتقداتنا.

إن معتقداتنا التي تخص المستقبل تكتسب سلطانها مما يكشفه الله في كلمته. الكتاب المقدس لا يُخبرنا عن كل شيء إلا أنه يُخبرنا ما يلزمنا، وهذا يكفي ليملأنا بالكثير من التوقعات العظيمة، ويكفي ليُبين لنا أن المستقبل أعظم بكثير من الحياة التي نحياها هنا. ويكفي أيضًا ليُظهر لنا أنه لا يُمكن أن نتخيل أو نتوقع ما هو أفضل من ذلك المستقبل. ظهر حديثًا العديد من الكتب التي تتحدث عن «خبرات الاقتراب من الموت (NDE's Near Death Experiences)»، فما الذي يُمكننا أن نتوقعه من هذه الكتابات؟ البعض منها يتحدث عن أمور متناقضة، والبعض الآخر يدعي أمور تُنكر تعاليم الكتاب المقدس؛ وقد يكون البعض من هذه الخبرات نتيجة عقاير ما، فجميعها ذاتية على أفضل الأحوال؛ والبعض منها جاء بسبب تأثير الماضي على الشخص، فهناك أفراد من خلفيات دينية أخرى لديهم مثل هذه الخبرات، ويفسرونها في ضوء خلفياتهم الدينية، والبعض من هذه الخبرات لها طبيعة شيطانية، فالشيطان يُدعى «ملاك نور»، وبإمكانه أن يُضل الناس بتلك الخبرات. أعتقد أن البعض من خبرات الموت هذه حقيقية، لكن الذي اختبره هؤلاء الناس قليل جدًا وذلك لأنهم «عادوا إلى الحياة» سريعًا.

ربما علينا أن ننظر إلى خبرات الموت هذه باعتبار أن هؤلاء أناس ينظرون عبر البوابة أو أناس يقتربون من باب السماء. كما في أمور أخرى، لابد أن نزن هذه الخبرات على ميزان الكتاب المقدس. سؤال واحد لديّ هو لماذا كان بولس حذرًا جدًا حتى أنه لم يُشارك الآخرين بخبرته عندما ذهب للسماء الثالثة، لكن الكثير من الناس اليوم لا يفكرون إلا في كتابة ما يظنوا أنهم رأوه. عندما يقول الناس أنهم رأوا أمورًا نحن نعلم جيدًا أن الكتاب المقدس لا يُعلّمها، علينا أن نتحلى بالحذر تجاه خبراتهم هذه. مثلًا قرأت عن شخص ادّعى أنه صعد إلى السماء وعرف أنه ليس هناك ضامنًا أبدًا. ويدّعي البعض الآخر أنهم صعدوا للسماء وعرفوا أنه يوجد هناك خلاص شامل. من الظواهر الأخرى هي أن يمر أطفال بخبرات قرب الموت؛ فقد قالت أم أحد هؤلاء الأطفال أن كاتب الكتاب الذي يقص خبرة ابنها قد عوّج بعض الحقائق بطرق ما، وذكر أمورًا لم يذكرها الطفل.

يُقال في الجنائز أن المتوفى قد انتقل إلى السماء؛ لكن بحسب الكتاب المقدس هناك مصيران للإنسان. سيذهب الكثير من الناس إلى حياة بدون الله، وهذا ما اختاروه وما يريدونه. فقط الذين في المسيح هم الذين سيذهبون إلى السماء ليكونوا مع الله. يُقال في بعض الأحيان أن المؤمنين يتمتعون بعقلية سماوية حتى أن هذه العقلية لا تسمح لهم بأي خير أرضي، لكنني أؤمن أن العكس هو صحيح؛ فكلما كنا نتمتع بعقلية سماوية، كلما خدمنا بصورة أفضل هنا على الأرض، فلا بد لنا أن نفكر في السماء، مثل الأسرة التي تنوي الانتقال لمنزل جديد تجدها تفكر في هذا البيت الجديد وتضع له خططًا. في حقيقة الأمر قد يحلمون بهذا البيت الجديد منذ أن كانوا أطفالًا،

ونحن كمؤمنين نفكر في السماء لأنها ستكون بيتنا الأبدي. يأمرنا الكتاب أن نفكر في بيتنا هذا، فيقول: «اهْتُمُّوا مِمَّا فَوْقَ لَأِمَّا عَلَى الْأَرْضِ» (كولوسي ٢:٣).

بحسب مسح بارنا الاستبائي Barna Survey الذي تم في الولايات المتحدة، وُجد أن ٦٤٪ من الناس يظنون أنهم سيذهبون للسماء، و١٤٪ يظنون أن السماء رمزية، و١٥٪ يظنون أنهم سيذهبون للسماء لأنهم يحافظون على «ممارستهم للوصايا العشر»، وهناك ١٥٪ ممن يظنون أنهم سيذهبون للسماء لأنهم في الأساس أناس صالحون، و٦٪ يظنون أنهم سيذهبون للسماء لأن الله يُحب كل الناس. يُعلق جورج بارنا George Barna بقوله: «قام الملايين من الأمريكيين بإعادة صياغة النعمة لجعلها تعني أن الله يرغب وبشدة أن يُخلص الناس من الجحيم، لدرجة أن الله سيغيّر طبيعته ومبادئه الشاملة حتى تتماشى مع المنفعة الفردية. إنه لأمر مذهل أن يقوم الناس بتطوير الإيمان حتى يتناسب مع مشاعرهم أو الافتراضات الثقافية وليس مع تعاليم الكتاب المقدس.»^(١)

في نداء الإيمان الوارد في (عبرانيين ١١)، ذكر فيه أحد عشر رجلاً وامرأة مشهود لهم بالإيمان. كان هؤلاء مجرد نزلاء وكانوا يدركون ذلك؛ فكانوا يعرفون أن هذا العالم ليس بيتهم، يقول الوحي: «قَالَ الَّذِينَ يَقُولُونَ مِثْلَ هَذَا يَظْهَرُونَ أَنَّهُمْ يَطْلُبُونَ وَطَنًا. فَلَوْ ذَكَرُوا ذَلِكَ الَّذِي خَرَجُوا مِنْهُ، لَكَانَ لَهُمْ فُرْصَةٌ لِلرُّجُوعِ. وَلَكِنَّ الْآنَ يَبْتَغُونَ وَطَنًا أَفْضَلَ، أَيْ سَمَاوِيًّا. لِذَلِكَ لَا يَسْتَحْيِ بِهِمُ اللَّهُ أَنْ يُدْعَى إِلَهُهُمْ، لِأَنَّهُ أَعَدَّ لَهُمْ مَدِينَةً» (عبرانيين ١١: ١٤-١٦). كثيرًا ما يعيش المسيحيون باعتبار أن هذه الحياة هي كل شيء، لكن علينا أن نعرف

دائماً أن هناك ما هو أكثر من هذه الحياة؛ فنحن لم نأت بعد لنهاية رغباتنا وأهدافنا في هذه الحياة، يوجد هناك الكثير وذلك لأن هناك سماء.

واحد من الأمور الحزينة التي نمر بها في الحياة هي ضعف الجسد بل والعقل في بعض الأحيان. فالأمراض تضرب بالرجال أو النساء في مستقبل أعمارهم، وتصبح أجسادهم - التي كانت تتمتع بصحة وقوة - كالقشرة التي يصعب تمييزها عند مقارنتها بأجسادهم الصحيحة السابقة. يضعف العقل الذي كان يتميز بالقوة، بحيث يصبح غير قادر على التواصل وتمييز أفراد العائلة. إن هذه الأمور حقيقية؛ فالمؤمن يصاب بأمراض وأيضاً موت مبكر كما هو حال باقي الناس، لكن الأمر الفريد بالنسبة للحياة المسيحية هو أننا نؤمن بقيامة الأجساد. الكتاب المقدس يُعلم بأن الأجساد ستقوم من الموت، حتى وإن كان الجسد قد تحلل في الأرض أو حتى إن تم حرق الجثة.

في الغالب يؤمن جميع الناس حول العالم في خلود الأرواح؛ يؤمنون أن الأرواح تستمر في التواجد حتى وإن مات الجسد. القيامة تعني ما هو أكثر من هذا، نحن نؤمن أنه كما أن الروح قد فداها المسيح، كذلك أيضاً أجسادنا فداها المسيح. القيامة تعني ما هو أكثر من قيامة الأرواح، فهي تعني أن الجسد سيقوم من الموت، ونحن نؤمن بقيامة الأجساد. فإذا كانت القيامة هي قيامة الأرواح لكانت كلمة «قيامة» بلا معنى، فالروح لا تمكث في القبر. قال يسوع: «تَتَعَجَّبُوا مِنْ هَذَا، فَإِنَّهُ تَأْتِي سَاعَةٌ فِيهَا يَسْمَعُ جَمِيعُ الَّذِينَ فِي الْقُبُورِ صَوْتَهُ، فَيُخْرَجُ الَّذِينَ فَعَلُوا الصَّالِحَاتِ إِلَى قِيَامَةِ الْحَيَاةِ، وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَى قِيَامَةِ الدَّيْنُونَةِ» (يوحنا ٥: ٢٨-٢٩).

حتى في أيام بولس الرسول كان هناك معلمين لديهم أفكارًا مغلوطة عن الموت والقيامة؛ ففي تسالونيكي الأولى والإصحاح الرابع يتحدث عن الفهم الخاطئ حيال قيامة المؤمنين، فقال معبرًا عن القيامة: «أَنَّ الرَّبَّ نَفْسُهُ يَهْتَافُ، بِصَوْتِ رَئِيسِ مَلَائِكَةٍ وَبُوقِ اللَّهِ، سَوْفَ يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَمْوَاتُ فِي الْمَسِيحِ سَيَقُومُونَ أَوَّلًا. ثُمَّ نَحْنُ الْأَحْيَاءُ الْبَاقِينَ سَنُخْطَفُ جَمِيعًا مَعَهُمْ فِي السَّحَبِ لِمُلَاقَاةِ الرَّبِّ فِي الْهَوَاءِ، وَهَكَذَا نَكُونُ كُلُّ حِينٍ مَعَ الرَّبِّ» (تسالونيكي الأولى ٤: ١٦-١٧).

يُمْكِنُ أَنْ نَأْخُذَ بَعْضَ الْأَفْكَارِ عَنِ الْقِيَامَةِ مِنْ قِصَّةِ لِعَازِرِ الَّذِي أَقَامَهُ يَسُوعُ مِنَ الْأَمْوَاتِ، فَقَدْ كَانَ لِعَازِرِ مَيِّتًا مِنْذُ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ عِنْدَمَا أَتَى إِلَيْهِ يَسُوعُ، فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ بِبَسَاطَةٍ: «لِعَازِرِ هَلَمْ خَارِجًا»، وَفِي الْحَالِ قَامَ لِعَازِرُ وَخَرَجَ مِنَ الْقَبْرِ، وَكَانَ يَسُوعُ قَدْ أَخْبَرَ مَرْتًا قَبْلَهَا قَائِلًا: «أَنَا هُوَ الْقِيَامَةُ وَالْحَيَاةُ» (يوحنا ١١: ٢٥). أَيْضًا هُنَاكَ مَوْقِفٌ آخَرُ أَقَامَ فِيهِ يَسُوعُ ابْنَ أَرْمَلَةَ مِنَ الْأَمْوَاتِ، وَحَدَّثَ أَيْضًا أَنَّهُ أَقَامَ فَتَاةً مِنَ الْمَوْتِ. كُلُّ هَذِهِ الْأَحْدَاثِ تُشِيرُ إِلَى الْقِيَامَةِ، إِلَّا أَنَّهُ كَانَتْ كُلُّهَا بِمِثَابَةِ عَمَلِيَّاتٍ إِنْعَاشٍ. فَجَمِيعُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقَامَهُمْ يَسُوعُ قَدْ مَاتُوا ثَانِيَةً، أَمَا فِي الْقِيَامَةِ لَنْ يَمُوتَ الْجَسَدُ أَبَدًا. الْإِنْسَانُ لَنْ يَخْسِرَ هَوِيَّتَهُ. كَتَبَ مُورَاي هَارِيس Murray Harris يَقُولُ: «مِنَ الْأَفْكَارِ الْأَسَاسِيَةِ لِلرُّؤْيَا الْمَسِيحِيَّةِ عَنِ الْآخِرَةِ هِيَ الْإِحْتِفَازُ بِالْهَوِيَّةِ، فَبَعِيدًا عَنِ تَجْمِيعِ الْأَفْكَارِ الصَّوْفِيَّةِ لِلشَّخْصِيَّةِ الْفَرْدِيَّةِ فِي شَخْصٍ وَاحِدٍ، أَوْ تَجْمِيعِ الْفِكْرِ التَّوْحِيدِيِّ لِلْكَثِيرِينَ فِي شَخْصٍ وَاحِدٍ، يَشْتَرِطُ الرِّجَاءُ الْمَسِيحِيَّ الْإِحْتِفَازَ بِالشَّخْصِيَّةِ - كَمَا هِيَ.» (٢)

تُدعى قيامة المسيح الثمر الأول، فهي نموذج للقيامة، وهذا ما أتى بوضوح في (فيلبي ٣: ٢٠-٢١) «فَإِنَّ سِرِّتَنَا نَحْنُ هِيَ فِي السَّمَاوَاتِ، الَّتِي مِنْهَا أَيْضًا نَنْتَظِرُ مُخَلِّصًا هُوَ الرَّبُّ يَسُوعُ الْمَسِيحُ، الَّذِي سَيَعَيِّرُ شَكْلَ جَسَدٍ تَوَاضَعْنَا لِيَكُونَ عَلَى صُورَةِ جَسَدٍ مَجْدِهِ». بالتالي فإن أجسادنا المقامة ستكون مثل جسد المسيح المُقام من الموت. كان جسده حقيقيًا إلا أنه مختلف، فجسده هذا لا يقتصر على المكان. قال نورمان جيسلر Norman Geisler عن الأجساد المقامة: «لدى الجسد المقام من الموت خصائص أيضًا، مثل المجد وسهولة الحركة والتواجد، فتُدعى هذه «أجساد ممجدة» (فيلبي ٣: ٢١)، وهذا التعبير يقترح أنه لدى هذه الأجساد سطوع، مثل جسد يسوع عندما كان في حادثة التجلي، سيكون لها قوة خارقة تُمكنها من التحرك عبر الفضاء وأيضًا عبر أمور مادية.» (٣)

إن (كورنثوس الأولى ١٥: ٣٥-٥٥) تُعتبر أفضل تعبير عن قيامة الأجساد. يُشير بولس إلى الفرق بين البزرة والزرع الذي يخرج منها، فهذه تختلف عن ذاك بحيث لا يُمكن أن تشعر أنهما مرتبطان ببعضهما البعض. لكن بالرغم من ذلك، الزرع يخرج من البزور. الجسد الطبيعي ضعيف وهالك بالطبع، إلا أن الجسد المُقام من الموت «يقام في قوة» ولن يتحلل، فهو يقام في مجد. يتحدث بولس الرسول عن الجسد المُقام باعتباره جسدًا روحيًا، لكن هذا لا يعني أنه روح فقط، بل هو أيضًا جسد تحت سلطان الروح القدس، فهو جسد يُعبّر عن الروح، ويقول أننا جميعًا سنتغير في لحظة في طرفة عين. ويُشير أيضًا إلى ضرورة القيامة فيقول إن اللحم والدم لا يرثان ملكوت السموات، فلا بد من وجود تغيير. لن تكون أجسادنا الجديدة كالأشباح أو

الغازات التي تسبح في الهواء. يكتب سي إس لويس C. S. Lewis يقول: «إذا كان الجسد والدم لا يرثان الملكوت، فهذا ليس لأنهما شيء صلب وكبير الحجم ومتميز ولا مع في كينونتتهما، بل هما واهيان ومؤقتان وخياليان.»^(٤)

هناك العديد من الأمور التي لا نستطيع أن نفهمها بعد عن قيامة الأجساد. حتى لو قيل لنا عنها، ربما لا ندركها؛ فكل ما نعرفه هو أنها ستكون أجسادًا ممجدة وستكون مثل جسد يسوع. ويكفي لنا أن نعرف هذه الأمور. نحن مثل الأجنة التي اقترب موعد ولادتها، فنحن محدودون في إدراكنا بداخل رحم الأم ولا نحتاج لأن نفهم أكثر. أما بعد أن تحدث الولادة سيكون أمامنا عالم جديد وسنفهم بالتدريج الكثير من الأمور المثيرة. تؤكد جوني إيريكسون تادا Joni Eareckson Tada هذه الحقيقة في كتابها الذي جاء تحت عنوان «السماء .. بيتك الحقيقي» حيث قالت: «إن محاولة فهم كيف ستكون أجسادنا في السماويات، هو مثل توقع أن تفهم بُزور شجر البلوط مصيرها في الجذور والنبات والفروع والأوراق، أو مثل أن تطلب من اليرقة أن تقدّر الطيران، أو أن تفهم بذرة الخوخ أنها عطرة، أو أن يفهم جوز الهند ما يعني بالرقص في نسيم المحيط، فأجسادنا الأبدية ستكون كبيرة جدًا وممجدة جدًا بحيث لا يُمكن لنا الآن سوى أن ندرك إلا لمحة عابرة من المجد الآتي.»^(٥)

يوجد في الكتاب المقدس العديد من الصور التي تُصوّر السماوات، فقال يسوع أنه ذاهب ليُعدّ لنا مكانًا، ودعا هذا المكان «منازل» أو «أماكن للسكن»؛ ومن هذه المسميات يُمكننا القول أن السماء ستكون بيتنا، فهي المكان الذي لطالما اشتقنا للذهاب إليه، فلن نشعر هناك أننا في مكان غريب،

بل هو بيتنا. من الصور الأخرى التي يستخدمها الكتاب عن السماء هي قوله أنها مدينة؛ فالسمااء لن تكون مكانًا موحشًا، بل ستكون مجتمعًا من المحبة ومن المفدين. صورة أخرى مُستخدمة هي التعبير أن السماء دولة أو مملكة، فنحن سنكون مواطنين هذه المملكة، ويسوع هو ملك الملوك.

السؤال الذي عادة ما يتم طرحه هو: «أين تقع السماء؟»، لا يقدم الكتاب المقدس إجابة لهذا السؤال، بل يخبرنا أن السماء هي المكان الذي فيه الله. الأرض هي موطن قدميه أما السماوات فهي عرشه. تُستخدم كلمة سماء في بعض الأحيان لتعني الفضاء الخارجي وسماء الطيور، وقد تحدث بولس عن خبرته عندما «أُخذ إلى السماء الثالثة» حيث عرش الله والمكان الذي ندعوّه السماء. يؤمن بعض المؤمنين المخلصين أن السماء هي مكان ما في هذا الكون، وربما يكون هذا ممكنًا، لكني أؤمن أنها بُعدٌ مختلف. لا يُمكنك الوصول للسماء عن طريق السفر عبر الفضاء، فهي نوع مختلف من الفضاء. عندما يموت المؤمن، لا يسافر إلى أماكن بعيدة في الفضاء، بل هو في الحقيقة يستيقظ في الأبعاد السماوية. يشبه هذا الأمر العمليات الجراحية؛ فأنت تدخل في النوم في غرفة العمليات، وعندما تستيقظ تكون في سرير في غرفة أخرى. نحن نغمض أعيننا هنا في الأرض لنفتحها في بيتنا حيث يوجد يسوع. كتب ستيفن لاوسن Steven Lawson ملاحظًا يقول: «سيكون هذا المكان - أي السماء - كما يقول أبنائي: «فظيع الجمال!»»^(٦)

يتكهن العلماء أنه قد يكون هناك أبعادًا مختلفة لما لدينا على الأرض، حيث يوجد هنا فقط ثلاثة أبعاد، وذلك لأنه بإمكان كائن له بُعدين أن يقوم

بأمور عظيمة بمجرد إضافة بُعد آخر. قد تكون السماء قريبةً منا ولا يُمكننا أن نراها، فيوجد الآن أصوات لا تتمكن آذاننا من سماعها، ويوجد أمور لا تتمكن عيوننا من رؤيتها. يتكهن توماس فينجر Thomas Finger ويقول: «من المتوقع أن تجلب السماء لخبراتنا أبعاداً متعددةً جديدة، حيث أن طرق تقديرنا لحساب التسلسل الزمني الحالية ستبدو غير مناسبة على الإطلاق في السماء؛ إلا أن إتيانها واستمراريتها سيكون على الأقل مُعترف به على الميزان الزمني الحالي. وبالطبع سيبدو الطول والعرض والارتفاع بمثابة معوقات صناعية من جانب الواقع الأكثر تعقيداً للأمور، لكن هذه الإحداثيات المكانية لن تكون عديمة المعنى إلى الأبد.»^(٧)

عندما نقول أن السماء قد تكون في بُعد آخر، نحن لا نقول إنها أقل حقيقية من الأرض. إنه ليس مجرد وجود غامض. نحن لا نخسر شخصياتنا عندما نذهب للسماء، ولا نصبح ملائكةً أو غيرها من المخلوقات. بل بالحري سنحوّل وسنتمجّد. سنكون على حقيقتنا أكثر مما كنا على الأرض. لن نكون أقل بل أكثر مما نحن عليه. يشرح بيتر كريفت Peter Kreeft أن السماء أكثر حقيقية من الأرض، فيقول: «إذا كانت الأرض الآن مجرد صورة للسماء، فنحن نعلم عن السماء ثلاثة أشياء على الأقل؛ أولاً: أنها أساسية وأكثر حقيقية من الأرض، ثانياً: يعني هذا المبدأ أن للسماء أبعاداً أكثر مما لدى الأرض، وليس أقل، ثالثاً: أن السماء أوضح وأكثر تفصيلاً ومعنوية من الأرض، وليست غامضة، فهي «محددة جداً»، ولهذا السبب تقول الصوفية أن السماء «تفوق الوصف». قد تكون أفكارنا عن السماء غامضة وقليلة وأنها ذات بُعد واحد، لكن عندما نقارن السماء الحقيقية بالأرض بدلاً من مقارنة أفكارنا عن السماء بالأرض، سنجد أن الأرض هي الغامضة والضئيلة وأحادية البُعد.»^(٨)

علينا أن نعترف بجهلنا عندما يأتي الأمر إلى الحديث عن العديد من الأمور التي في السماء. لقد أعطانا الرب كل ما يُمكننا أن نتعامل معه الآن، كل ما يُمكننا أن ندركه الآن، لكن هناك المزيد. يُشير والتر إيه ماير Walter A. Maier إلى الجهل في هذا الأمر فيقول: «غالبًا ما يشعر أي مبشر من المبشرين بالإنجيل بضغفه عندما يحاول أن يُصوّر إشعاع العوالم السماوية وروائع الخلود المجيدة التي «لم ترها عين ولم تسمع بها أذن». لدينا هنا على الأرض خمس حواس فقط، وجميعها تتصف بالمحدودية! أما في السماء قد يكون لدينا ٥٠٠ حاسة، كم ستكون غير محدودة! لكي نصف منازل الآب الكثيرة نحن نستخدم تقنيات اللغة البشرية، عندما لا يكون لدينا الكلمات الكافية التي نصف بها المشاهد الأرضية، كيف سنتمكن من تصوير الجمال والبهاء غير المتناهي الذي في بيتنا المبارك، فهو بلا مقارنة أعظم بكثير من أي أمر في هذا العالم، كما أن كل المحيطات مجتمعة في عالمنا أعظم بكثير من مجرد نقطة ماء واحدة.»^(٩) وكيف يتمكن جنين لم يولد بعد من وصف العالم الخارجي لجنين آخر؟ فالجنين يسمع أصوات فقط من العالم الخارجي، يسمع مجرد أحاديث وقد يسمع أغاني، لكن ليس لديه الكلمات ليصف بها ما لم يختبره بعد. نحن هنا مثل الأجنة التي لم تولد بعد!

يُشير إيريك سوير Erich Sauer إلى محدوديتنا الحالية فيقول: «من بين الملايين من الألوان (بالمقارنة بالأشعة فوق البنفسجية)، نحن «نرى» في شعاع ضوء ضئيل جدًا، كما أننا «نسمع» فقط القليل من بين الملايين من الأصوات»، ويتابع يقول: «بإمكان الرب الإله أن يرسم من حولنا وبطريقة سحرية أروع الصور، ونحن لا نرى هذه إلا إذا كانت تتحرك ما بين ٤٠٠

و٨٠٠ بليون متحرِّكًا من اهتزازات الأثير. بإمكان الله أن يشمل هذا الكون بأجمل الموسيقى، ونحن لا نتمكن من سماعها إذا تجاوز اهتزاز الهواء عن ٧٥,٠٠٠ اهتزازًا في الثانية الواحدة. فكم سيكون الأمر غبي إذا اعترضنا القول «أن الإنسان لم ير قط السماء أو الملائكة» كما لو كان قد تم إثبات عدم وجودهم وجوهرهم، وليس بالأحرى حقيقة أننا كبشر «عُمي وصم».» (١٠)

عندما نقرأ آخر إصحاحين من سفر الرؤيا، نفهم أن السماء مكان رائع الجمال. تجد وصفها بأنها مدينة فسيحة حيث أن الأمور التي تجد لها قيمة عالية هنا في الأرض تُستخدم هناك في الشوارع والأبواب. يصفها الوحي كما لو كانت حديقة خلابة ويوجد بها شجرة الحياة. هناك تعبيرات بالنفى تُستخدم للتعبير عما لا يُمكن أن نصفه بلُغتنا، فيقول أنه لا دموع ولا موت ولا ألم. لن يكون هناك أيضًا خطية في هذه المدينة. إنه أشبه بمحاولة وصف مشهد ساحر لإنسان معاق بصريًا، أو محاولة وصف موسيقى أوركسترا سيمفوني لإنسان أصم. يقول ماكس لوكادو Max Lucado: «عندما يأتي الأمر إلى وصف السماء، نكون جميعًا فاشلون سعداء.» (١١)

إن الأمور الجميلة التي نراها هنا على الأرض هي مجرد بزورًا صغيرة جدًا للجمال الحقيقي، بل ونقاط جمال ضئيلة وكذلك حُلْمًا باهتًا عن الجمال الأبدي. هناك أمر ما في الجمال بإمكانه أن يجذب الناس إليه؛ فهذا الجمال سواء الذي في الموسيقى أو الفن أو المناظر الجميلة من حولنا، هو فقط علامات على الطريق تُشير إلى الجمال الأعظم، أي إلى جمال يسوع المسيح. حتى في أكثر البيوت جمالًا، تجد أن الإنسان يسعى للمزيد من الجمال،

يسعى لجمال لا يستطيع أن يصفه. يقول بروس لوكيري Bruce Lockerbie: «هناك في السماوات سينكشف النقاب عن جمال مُفعم بالحيوية، وهذا لا يُمكننا التفكير فيه الآن. سنرى وسنعرف الجمال بذاته (يسوع المسيح)، سنرى مجد الله مُشع كـبعض الجواهر الثمينة، وهذا سيكون الضوء الذي سننير طريقنا، وسنراه وجهًا لوجه.» (١٢)

إن السماء هي المكان الذي سنحيا فيه ونتنفس بفرح. إنها السعادة التي لطالما سعينا إليها، سعادة كنا نعرف أنها حقيقية، سعادة تذوقنا القليل منها هنا. بالرغم من أن سعادتنا في المسيح حقيقية هنا على الأرض، إلا أن هناك دائمًا ظروف أو عمل أو حالات جسدية بإمكانها أن تحوّل بين استمرارية إحساسنا بهذه السعادة. كتب كاتب المزمور منذ زمن بعيد يقول: «تَعْرِفُنِي سَبِيلَ الْحَيَاةِ. أَمَامَكَ شَبَعُ سُرُورٍ. فِي يَمِينِكَ نَعَمٌ إِلَى الْأَبَدِ» (مزمور ١١٦: ١١).

في الرواية التي جاءت تحت اسم «النهاية» Deadline، كتب راندي الكورن Randy Alcorn مقطعًا جميلًا عن السعادة في السماء قائلاً: «لقد كان ثملًا، ليس فقط بمجرد الشعور بالسعادة، بل بسبب السعادة ذاتها؛ البلايين من نجوم السعادة النقية. كانت كل أشكال السعادة التي عرفها في الأرض مثل الاحتساء من نبع مياه منخفض ملوّث جزئيًا، بعيدًا عن مصدر التيار الرئيسي. أما الآن فهو يشرب من النبع ذاته، نبع السعادة ذاتها. كان هذا العالم قويًا جدًا ولامعًا بحق وغامرًا حتى أنه شعر أنه قد يفقد بصره ويتمزّق جسده الأرضي ويصبح فتات. إن السعادة التي في السماء مثل انفجار بركاني، فهي مذهلة ومثيرة، لكنها لا تهدأ. هي ليست كالسوف الذي يحدث

مرة في العمر ولمدة دقيقة ثم يختفي للأبد، بل هي ظاهرة مستمرة، إلا أن معرفتها أمر يُولد، فكلما زادت معرفته بها ازدادت تلك السعادة وقويت، كما لو كانت إمكانياته لاختبار السعادة تزداد مع مرور الوقت، مما يجعل اللحظة القادمة متجددة أكثر من سابقتها.» (١٣)

تخيل مكان لا تنتهي فيه السعادة أبدًا؛ مكان بإمكان السعادة فيه أن تزداد فقط، مكان فيه تزداد سعتنا للسعادة، مكان لا يُخالط فيه السعادة شيء، مكان تنتشر فيه السعادة في كل ناحية. كتب أحد المتشددین عن السعادة يقول: «هنا تجد السعادة بداخلك ودونك وفوقك وتحته وعنك. السعادة تنشر ذاتها فوق كل أعضاء جسدك وكل إمكانيات روحك،» (١٤) هذه السعادة تنعكس على كل وجه وعلى كل ما نفعل ونقول. كتب جون جيلمور John Gilmore يقول: «وكما رأينا، سنكون في السماء في حالة من الضحك، وهذا ليس بسبب أمور مضحكة أو هزلية، بل بسبب جوهر السعادة النقية التي تملأ المكان، فسيصبح فرح الرب هو فرحنا لدرجة لم نتوقع في يوم أنها ممكنة.» (١٥)

ستكون رؤية أكثر الأمور المدهشة عن السماء شديدة الجمال. كان موسى يتوق أن يرى الله إلا أنه لم يتمكن من رؤية وجه الله، أيضًا يريد الكثير من المؤمنين أن يروا وجه ذاك الذي نحب؛ فنحن نريد أن نرى وجه الله، وعندما نقابل شخصًا ما أول ما نراه هو وجهه، ونحن نسير بالإيمان عبر السنين، إلا أنه ليس الوقت المناسب لنرى؛ لكن سيأتي اليوم الذي فيه نرى المخلص وجهًا لوجه، وسننظر إلى عينيه وسنرى مصدر كل السعادة والحب والسلام، نظرة واحدة منه ستخبرنا أكثر مما تقوله لنا كل الكتب التي قرأناها. استمع إلى

هذه الكلمات التي جاءت في (رؤيا ٢٢:٤): «وَهُمْ سَيَنْظُرُونَ وَجْهَهُ، وَاسْمُهُ عَلَى جِبَاهِهِمْ».

إن كل آمالنا وأحلامنا تتحرك نحو هذا اليوم العظيم الذي سنرى فيه المسيح، ليس فقط سنراه بل سنمكث معه، لن نكون هناك لوقت محدد بل سننتقل للعيش في بيته العظيم هذا. يقول بيرنارد رام Bernard Ramm: «نحن نعرف الله في هذه الحياة بصورة غير مباشرة - وهذا بعلامات - وبالإيمان وليس بالعيان، لكن عندما نأتي لحالة المجد ستكون معرفتنا بالله وجهًا لوجه! تفشل الكلمات في التعبير عن المجد والجمال والعجب والشغف والنشوة التي ستحدث عندما نراه وجهًا لوجه»^(١٦) إذا كان هذا كل ما نعرفه عن السماء، لكان بالأمر الكافي ليثيرنا، فما الذي نريده أكثر من أن نراه وأن نكون معه؟ يحدث في الكثير من الأحيان أننا نشعر بوجود الله، فنعرف أنه موجود، إلا أننا لا نراه؛ أما هناك فهذا سيكون حقيقةً أبديةً. لا يكون لدينا سماء بدون، فبدونه نحن موتى، هذا بغض النظر عن روعة المكان. كتب وليام أور William Orr في كُتيب يُدعى «كيف ستكون السماء؟» يقول: «إن السماء هي المسيح والمسيح هو السماء. وجوده الجميل هو الذي يجعل السماء مُشتهاة لأنفسنا، فبدونه لن يكون هناك سماءً، أينما يكون... هي السماء»^(١٧)

يقول وليام باركلي William Barclay عن السماء: «قال يسوع أينما أكون أنا ستكونون أنتم أيضًا، وهذا بمثابة حق عظيم يضعه يسوع بأسلوب مبسّط. السماء بالنسبة للمؤمن هي حيث يوجد يسوع، فنحن لا نحتاج أن نُخمن كيف ستكون السماء. يكفي أن نعرف أننا سنكون دائمًا معه. عندما

نحب شخصاً بكل قلوبنا، تبدأ الحياة عندما نكون معه، ففي صحبته نكون أحياءً بحق. هكذا الحال مع المسيح، ففي هذه الحياة علاقتنا معه غامضة، نحن ننظر عبر زجاج مُعتم، هي علاقة متقطعة. هذا لأننا كائنات محدودة ولا يُمكن أن نعيش في الارتفاع دائماً. إلا أن أفضل التعبيرات عن السماء هي القول بأنها حالة أن نكون دائماً مع يسوع، ولن يفصلنا أمر عنه أبداً.» (١٨)

سؤال آخر يطرأ على الكثيرين وهو كم سيكون عمرنا في السماء؟ نحن لا نعرف. قال البعض أننا سنكون كعمر يسوع، فهو كان يبلغ من العمر حوالي ٣٣ عاماً عندما صُلب، إلا أن الكتاب المقدس لا يُجيب عن هذا التساؤل. يبدو تعليق راندي الكورن Randy Alcorn حكيماً، إذ يقول: «إن حالة دوام الشباب لا تقضي على الأعمار - بل هي تتضمن كل الأعمار. أي عُمر يبلغه أي فرد هنا على الأرض هو نسبة لشخص ما؛ فوالدة أمك مثلاً ترى في ابنتها ما تراه أنت في ابنتك من شباب وحيوية.» (١٩) إن الله في حالة شباب دائم، وأيضاً مصدر الفرح والحياة المتجدد. أحب أن أفكر في أننا سنكون دائماً في حالة شباب، باستثناء تقلبات الشباب وقلة خبرتهم. بل سنكون في حالة نضج تشبه نضج المسيح، وسيكون لدينا جسداً ممجداً. هذا سيكون أقصى التعبيرات عن الحياة الأبدية.

عبر أليكسندر ماكلارين Alexander Maclaren عن هذا الأمر بصورة جيدة جداً في واحدة من عظاته، قائلاً: «ماذا لو كانت حالة الشباب الدائم في السماء تعني - في ظل أمور أخرى - أن هناك متعاً بإمكانها الإرضاء دائماً إلا أنها لا تُتخِم؟ ماذا لو - وبعد جهود مضيئة - وجدنا هذه السعادة

المتجددة دائماً والتي كنا نبحث عنها هنا عبثاً وفي إلهاء دائم؟ ماذا لو أن التدفقات الجديدة المستمرة للنعم الإلهية، والرؤى الجديدة المستمرة عن الله، التي تجلب شعوراً بالدهشة المستمرة، بإمكانها أن تجعل قوة الشباب بالأمر العظيم؟ وماذا لو بعد كل هذا الذي تعلمناه وكل الذي تلقيناه لا يزال علينا أن نقول «لَمْ يُظْهَرْ بَعْدُ مَاذَا سَنَكُونُ»؟ حينها أعتقد وبكل المعاني المباركة والعميقة أن السماء ستكون في حالة شباب مستمر.» (٢٠)

ماذا سنفعل في السماء؟ يقول الكتاب المقدس أننا سنخدم الله، يعني هذا الأمر بالنسبة لي عدة احتمالات لا نهاية لها؛ لكن مرة أخرى علينا أن نعترف بجهلنا، فقد يرسلنا الرب لأداء مهام في مملكته، وربما يكون هناك عملاً لنعمله نحن لا ندركه الآن. فقد يشتغل الناس في كل أنواع الأنشطة الخلاقة، وقد تكون الموسيقى والفنون والدراسة من الأمور التي سنقوم بها. إلا أنه لن يكون عملاً شاقاً. مهما كان ما نفعل سيتم بحب وفرح. لن نخدم الرب وحسب، بل سنخدم بعضنا البعض. لقد تخيل ستيفن لاوسن Steven Lawson كيف سيكون الوضع، فيقول: «بالطبع نحن سنخدم الله لبضع ملايين من السنوات على كوكب ما، وقد نظير إلي كوكب آخر من بلايين التريليونات من الكواكب لمجرد أننا نرغب في تغيير المناظر، وذلك للبحث وللتطوير لعدة ملايين أخرى من السنوات.» (٢١)

قال تشارلز إتش سبيرجون Charles H. Spurgeon أن واحدة من الرغبات التي يتوق إليها هي أن يأخذ الإنجيل إلى مجموعة نجوم بعيدة ويكرز به هناك، فهو هنا يقترح أنه قد يكون كل أبناء الله منشغلين بذات

المهمة ألا وهي نشر إنجيل النعمة مع كائنات حية مختلفة.^(٢٢) هناك دائماً أمور جديدة لتتعلمها ولتعملها وأماكن لنذهب إليها. يُشير إيه إيه هودج A. A. Hodge إلى أنه: «كما أن المسيح لا نهاية له، كذلك السماء لا نهاية لها؛ فهناك مساحة وحافة لكل سعة ولكل خصوصية وهناك أيضاً تطوّر غير محدد في كل اتجاه، وهذا عبر كل الأبدية»، «ولن نسمع أبداً هناك أننا قد وصلنا أو قد انتهينا ...» «فطريق المفدين والممجدين سيكون دائماً صعوداً مع المسيح في اتجاه الله.»^(٢٣)

في السماء لن نأتي أبداً إلى نهاية ما نفعل، فالأمور لن تكون مملة أو متعبة؛ ولن يكون الزمن سبباً لمشكلة، فسيكون هناك دائماً وقت لفعل ما نحن هناك لأجله. لن يكون العمر عقبة، وذلك لأنه لن يكون هناك أمراض أو موت، فبعض الناس لن يتمكنوا من فعل الأمور التي كانوا يفعلونها في الأرض، ولن يكون هناك احتياج لمستشفيات أو عيادات. لن يكون هناك أماكن للجناز، وذلك لأن لا أحد سيموت. مهما كان ما يُعمل في السماء، سيكون بالأمر الجذاب والمثير. سنجد سعادتنا في عمله. فوق كل شيء آخر، سنمجد الله دائماً. يُمكنني أن أتخيل أننا سنسمع ترانيم المفدين أينما كنا في السماء. لن يكون هناك كلمات غضب أو كلمات بلا طعم. لن يكون هناك إدعاءات وكذب. بل سيحيط بنا الفرح والمحبة. سنذهب دائماً إلى أعمق وأعمق وإلى أعلى وأعلى في فرح الله الذي يفوق قدر المحيطات والجبال. يشرح جوين ماكليندون Gwynn McLendon ويقول: «هناك دائماً مرتفعات لتتسلقها، وأنهار لتعبرها وحدود لتكتشفها، وهناك دائماً حقائق لتتعلمها، وقوى لتطورها ومرتفعات لنصل إليها، هناك الكثير لنختبره في المسيح ولنحتويه ولنُعبر عنه؛ فالعديد من الإمكانات اللانهائية تتواجد أمام أبناء الله.»^(٢٤)

عندما نذهب للسماء لن نذهب إلى مكان ضئيل ومقيّد. بل سنختبر الحرية التي في المسيح. ستكون حرية محبته هناك عظيمة جدًا بحيث سيكون هناك دائماً أمورًا لنعملها ومهام لنقوم بها. لن يكون هناك نهاية لهذه الأمور، وليس هناك بيوتًا للمسنين. تقول رينيه باتشي Rene Pache: «إن اكتشافات المتعلمين في نطاق العظمة اللامحدودة، هو أمر يجعلنا في حالة من الدهشة؛ ولا يقل اعجابنا بالأمور الصغيرة بصورة لامحدودة، إلا أن كل هذا ليس إلا جزء متناهي الصغر من كون الله، وذلك كما يتضح من المنظور المحدود للإنسانية الطموحة. فكيف إذاً يتساءل المسيحيون عما سيفعلونه في السماء؟ يبدو الأمر لنا - على النقيض - أن كل دقيقة من هذه الأبدية الغنية ستكون مليئة بأكثر الأمور الهامة إثارة. فنحن قد تمكّنّا في خلال ستين عقدًا من الزمان من التنقيب في الكوكب الذي نعيش فيه، فكم من الوقت نحتاج إذاً لأن ندرك الله وكل أعماله؟» (٢٥)

هل ستكون السماء مكانًا ساكنًا لا نتعلم فيه شيئًا؟ لا أعتقد ذلك! بل سنتعلم الكثير بالتأكيد. لن ننتهي مما قد نعرفه عن الرب، ولن ننتهي مما قد نتعلمه عن سمائه الواسعة. ألن يكون من المدهش أن نسمع خبرات مؤمنين من دول وأماكن مختلفة؟ لا يُخبرنا الكتاب المقدس عن كيف سنتواصل في السماء. قد يكون لنا فقط إمكانية فهم كل الناس الذين يتحدثون لغتهم الخاصة، وربما سنتحدث لغة سماوية. كان الناس في سفر التكوين يتحدثون لغة واحدة، واستمر هذا حتى شتتهم الله بسبب كبرياء قلوبهم. من المحتمل أن المفديين الذين كانوا بين هؤلاء سيتحدثون ذات اللغة مرة أخرى. لن تكون السماء مكانًا للاسترخاء، بل مكانًا من الأنشطة والاكتشافات الرائعة.

يشير وليام هيندريكس William Hendricks إلى ذلك فيقول: «إن الكمال ليس حالة من السكون لا يفعل الإنسان فيه شيئاً لمجرد أنه قد وصل لكل شيء؛ بل إن الكمال هو تحقيق متزايد للقدرات دون ما قد تجده من عوائق. إن الراحة الأبدية تبدو وكأنها وعد قيّم لكبار السن الذين قد عانوا وتعبوا كثيراً في الحياة، فالسماء بمثابة راحة من التعب والوهن، إلا أنها ليست حالة من الكسل، بل هي حالة من الكثافة؛ كثافة في فعل ما هو مرغوب بدون عائق المحدودية.» (٢٦)

هناك أسلوب آخر لتوضيح هذا الأمر وهو أن نقول أننا دائماً سنرغب في المزيد. لن نصل لمرحلة نقول فيها: «لقد اكتفيت من هذا» أو «لا أريد المزيد»، فهناك دائماً رغبة في المزيد، فنحن سنعرف، إلا أننا سنرغب في معرفة المزيد؛ سنشرب من مياه النهر وسنرغب في المزيد، سنسمع أصوات المجد وسنرغب في المزيد أيضاً، وسيكون هناك دائماً المزيد. دائماً ما سنرغب أن نعرف المزيد عن الرب، والله سيُلبي رغباتنا هذه وسيلبّيها أكثر وأكثر. إن «العطش - باعتباره اشتياق - هو الأبدية، كما أن الطموح في معرفة الله هو مجد السماء، كذلك أيضاً العطش باعتباره الرغبة في المزيد منه، هو حالة العالم السماوي وأيضاً العنصر المكون لبركاته.» (٢٧) كانت هذه كلمات اليكساندر ماكلارين Alexander Maclaren في إحدى عظاته، وكذلك أيضاً هذه الجملة التي تقول: «إن السماء حالة من الاشتياق اللانهائي مصحوباً بثمر لامتناهي - اشتياق بمثابة بركة، اشتياق بمثابة حياة!» (٢٨)

يتحدث الكتاب في رسالة رومية عن الخليقة التي تئن وتشتاق ليوم الفداء؛ فعندما أخطأ الإنسان تأثرت كل الخليقة بسقوطه، وكما أن هناك فداءً

للإنسان، يؤمن الكثيرون من معلمي الكتاب المقدس إن الله سيجعل الخليقة في حالة جديدة. يوجد دليل على ذلك في (رؤيا ٢١: ١) حيث يقول: «ثُمَّ رَأَيْتُ سَمَاءَ جَدِيدَةً وَأَرْضًا جَدِيدَةً، لَأَنَّ السَّمَاءَ الْأُولَى وَالْأَرْضَ الْأُولَى مَضَتَا، وَالْبَحْرُ لَا يُوجَدُ فِي مَا بَعْدُ». يؤكد هنا الكتاب أن هذا الكون ليس كونًا مختلفًا تمامًا، بل كونًا متجددًا مفديًا. يتضح هذا الأمر أكثر في (رومية ٨: ٢٠-٢١) حيث يقول: «إِذْ أُخْضِعَتِ الْخَلِيقَةُ لِلْبُطْلِ - لَيْسَ طَوْعًا، بَلْ مِنْ أَجْلِ الَّذِي أَخْضَعَهَا - عَلَى الرَّجَاءِ. أَنَّ الْخَلِيقَةَ نَفْسَهَا أَيْضًا سَتُعْتَقُ مِنْ عُبُودِيَةِ الْفَسَادِ إِلَى حُرِّيَةِ مَجْدِ أَوْلَادِ اللَّهِ». إن مفهوم الفساد يعمل الآن في الكون، فالنجوم تخدم والأعاصير تحدث والفيضانات تقوم وهناك أيضًا زلازل، فهل سترك الله عمل يديه؟ تقول الدلائل أنه سيُجدد كل الكون وسيكون كله جزءًا من السماء.

فالسماء ستكون كبيرة جدًا! وقد رأى يوحنا أورشليم الجديدة نازلة من عند الله من السماء، ويقول الكتاب المقدس أن الله سيسكن مع الإنسان، فهو سيكون معنا، وكل الأشياء ستصبح جديدة وكاملة، كل الأشياء ستصل للمصير الذي حدده الخالق لها. قال روبيرت فارار كابون Robert Farrar Capon: «إن السماء الجديدة والأرض الجديدة ليسا إحلالة للقديم، بل هما حالة التجلي التي سيصبح القديم عليها، فإن حالة الفداء ليست هي الحالة التي تمت عليها الخليقة ثم أهملت، بل إنه قد تم تمجيد كل الخليقة بالحالة التي خُلقت عليها.» (٢٩)

يتحدث صموئيل روثرفورد Samuel Rutherford في واحدة من رسائله عن أفضل جزء من السماء، فيقول: «وعندئذ وكما هو هناك! ليس في الملابس

المعتادة لأيام الأسبوع، حيث إنه معنا هنا في الجزء العاشر من ليلة ندى مليئة بالنعمة والعذوبة، لكن في زواجه لديه رداء المجد وهذا أغنى وأثمن، ففي طرف واحد أو في زر واحد من ثوب جلاله يوجد ينبوع وهو أكبر وأكثر من مليون عالم، يالعمق البئر! ستعتقد بعد ذلك أن الوعاظ والسفراء الخطاة على الأرض هم من فعلوا ذلك، لكنهم أفسدوا مدائحهم عندما تحدثوا عنه وبشروا بجماله،^(٣٠) يُمكننا أن نقول «آمين» لهذه الكلمات، فنحن سنرى الملك في جماله!

فكيف لنا ألا نتغنى بينما كل هذا المستقبل المجيد أمامنا؟ بغض النظر عن المشاكل الحالية، بغض النظر عن حالات الفشل، بغض النظر عن ضعفاتنا، نحن ننظر للمستقبل ونتغنى. نعلم أن يسوع آتٍ لنا، ونعلم أن أجسادنا التي تضعف ستتحول إلى أجساد ممجدة، ونعلم أيضًا أن بيوتنا الأبدية في انتظارنا. كل هذا سيكون ممجدًا جدًّا، سيكون الكل مفعم بالحياة والفرح والحب. سنرى وجهه!

«سأرى وجهه يسوع يا له مرأى عجيب

إذ أرى من مات عني وفـداني بالصليب

كنت من خلف حجاب ناظرًا ملك السلام

فغدًا يأتي نهار ينجلي فيه الظلام

آه ما أبهج يوماً
فيه أهناً بالحبيب
إن ذاك الوقت دان
وسياتي عن قريب
يا سروري حين ألقى
الرب في دار الأمان
ومحيًا من فداني
سأراه بالعيان^(٣١).

الخلاصة

ليس بالضرورة أن يكون علم اللاهوت مادة مُملة، بل هي مادة تمثل مصدرًا للإلهام وللتشجيع وللبناء. إنه أمر يُمكننا التغني به، وهذا ما تعكسه كتب الترانيم. نحن نتغنى بالحق الذي نتعلمه في اللاهوت. من الشائع جدًا سماع الناس يقولون أنه لا يهم ما نؤمن به، بل إن ما نؤمن به هام للغاية. ما نؤمن به قد يكون مسألة حياة أو موت، وقد يُحدد ما إذا كنا سنعيش في فقر أو في غنى. فإن ما يؤمن به الفرد يهم في كل النواحي. أليس من الغريب إذًا أن تجد الناس يظنون أن ما نؤمن به لا يهم؟

ينبغي أن تكون حياتنا أغنية بسبب ما نؤمن به. فما نؤمن به عن الكتاب المقدس، عن الله، المسيح، والروح القدس، عن الخلاص، عن الكنيسة، وعن انقضاء كل الأشياء يحدد الكيفية التي نعيش بها. نحن كمسيحيين علينا أن نتغنى ليس فقط بأفواهنا بل أيضًا بالأسلوب الذي نحيا به «عَظَّمَ الرَّبُّ الْعَمَلَ مَعَنَا، وَصِرْنَا قَرِحِينَ» (مزمو ١٢٦: ٣).

هناك الكثير من التحديات في ثقافتنا اليوم، واللاهوت ليس مادة قديمة الطراز. بل يحتاج أن يُذكر بوضوح لنتمكن من مواجهة هذه التحديات. علينا أن ندافع عن الحقائق التاريخية التي لطالما كانت تؤمن بها الكنيسة

عبر القرون، وليس أن نُغيّر في اللاهوت، بل علينا أن ندافع عنه ونحيا بحسبه. ولا بد أن تُعلّم الكنائس مذاهبها الكتابية لأفرادها، فيجب أن يكون لدينا الرد عن سبب الرجاء الذي فينا، وينبغي أن يكون هناك صوتًا محددًا مصدره المنابر، فعلينا أن نُعلن الإنجيل. وعندما يؤمن الناس به سيريّدون أن يتغنوا به، يخبروا به، يعيشوا به.

إذا سألت المسيحيين عما يؤمنون به، سيفكر الكثيرون في الإجابة بل وسيجدون أنها بالأمر الصعب، وقد يعطي البعض ردود ضعيفة، ومن المحتمل ألا يفهم السائل أي أمر عن الحق الكتابي من هذه الردود. فلا بد إذا أن تُعلّم الكنيسة العقيدة بصورة واضحة، ولا بد لأي مسيحي أن يتحدث بوضوح عن أي معتقد مسيحي. إن المبادئ الأولية بالأمر الأساسي لأي نظام تهذيب في الحياة، وهذه لم تتغير من جراء المتغيرات التي حولنا، فليتنا إذا نتغنّى بما نؤمن به ونُعلّمه.

كلمة أخيرة

هناك أخبار سارة لك، وهذا هو الغرض من كتابة هذه الرسائل. الأخبار السارة هي أنه يمكننا أن نخلص بسبب العمل الذي عمله المسيح؛ لقد كان هذا هو الغرض من مجيئه للأرض. أتى المسيح ليخلص الخطاة. فقد تمرد أول رجل وامرأة ضد الله، ومنذ ذلك الوقت مضى كل الرجال والنساء إلى طرقهم الخاصة، وهذا ما يقوله الكتاب: «إِذِ الْجَمِيعُ أَخْطَأُوا وَأَعْوَزَهُمْ مَجْدُ اللَّهِ.» (رومية ٣: ٢٣). لقد أخطأنا من خلال عدة طرق، جمع يسوع كل توقعات الله حين قال أننا يجب أن نحبه الله محبة فائقة؛ ومن الذي استطاع فعل هذا؟ يقول الكتاب أنه لا أحد فعل ذلك. لقد أخطأنا جميعًا، كما لخص يسوع بقية الوصايا بقوله أنه يجب أن نحبه أقرباءنا كأنفسنا، ونحن نعلم أننا لم نفعل هذا!

بسبب الخطية صارت هناك هوة عظيمة تفصل بين الله والإنسان، فيقول الكتاب: «أَنَّ أُجْرَةَ الْخَطِيئَةِ هِيَ مَوْتُ». بسبب الخطية صرنا جميعًا منفصلين عن الله، وإذا ما واصلنا العيش بنفس الطريقة، سننتهي إلى الانفصال الأبدي عن الله. أعطانا الله الاختيار؛ فإذا لم نتجاوب معه ورفضنا الخلاص الذي قدّمه، فسيسمح لنا بأن نعيش حياة بدونه في الجحيم.

ترك يسوع غنى السماء وأتى إلى فقر الأرض كي ما يخلصنا. لقد عاش حياة كاملة بحيث استطاع أن يكون بديلاً عن خطايانا. إننا نستحق الموت عن خطايانا، ولكن يسوع أخذ مكاننا، ووُضع عليه إثم جميعنا؛ وعندما مات، صرخ بصوت عظيم: «قَدْ أُكْمِلَ»، هذا يعني أنه أتمَّ عمل الخلاص. الطريق إلى السماء أصبح مفتوحاً الآن، والخطاة يستطيعون الآن أن يتقدموا إلى الله القدوس بسبب عمل المسيح. يوجد الآن جسر بين الإنسان الخاطئ والله القدوس «وَلَكِنَّ اللَّهَ بَيَّنَّ مَحَبَّتَهُ لَنَا، لِأَنَّهُ وَنَحْنُ بَعْدُ خَطَاةٌ مَاتَ الْمَسِيحُ لَأَجْلِنَا.» (رومية ٨:٥).

الخلاص هو عطية مجانية. فلا تستطيع الخلاص بأعمالك الخاصة أو من خلال استمرارك في وضع المزيد من القوانين، فقط من خلال المسيح وعمله لأجلك يمكنك أن تأتي إلى الله «وَأَمَّا هِبَةُ اللَّهِ فَهِيَ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ بِالْمَسِيحِ يَسُوعَ رَبَّنَا». هل سمعت هذا؟ إنها عطية، وبطريقة أخرى يمكن القول أنه من خلال نعمة الله، فالأمر فضل غير مستحق مقدم من الله «لأنَّكُمْ بِالنِّعْمَةِ مُخَلَّصُونَ، بِالإِيمَانِ، وَذَلِكَ لَيْسَ مِنْكُمْ. هُوَ عَطِيَّةُ اللَّهِ.» (أفسس ٢:٨).

كيف تستقبل العطية؟ تقول: «أشكر يا الله»، تتقدم وتأخذها وتكون منفتحاً لاستقبالها. إذا كانت يدك ممتلئة، لن تتمكن من استقبال العطية؛ إننا نحول عن أنفسنا، عن طريقنا الخاطئ في الحياة، ونتجه نحو المسيح. لا نقوم بتنظيف حياتنا أولاً، نأتي فقط كما نحن والمسيح هو من يصنع التغيير. ما الذي تحتاج أن تفعله؟ آمن بيسوع كمخلص ورب لك. «أَنَّكَ إِنِ اعْتَرَفْتَ بِقِيَمِكَ بِالرَّبِّ يَسُوعَ، وَأَمَنْتَ بِقَلْبِكَ أَنَّ اللَّهَ أَقَامَهُ مِنَ الْأَمْوَاتِ، خَلَصْتَ.»

(رومية ٩:١٠). الإيمان يعني أن تسلم نفسك له، مثلما تلتزم في الزواج. الإيمان يعني أن تثق فيه، كما يحدث عندما تقوم بإيداع المال في البنك. الإيمان يعني أن تستند على وعده بأن يخلصك، كما تستند في الجلوس على مقعد.

إذا كنت مرتابًا من جهة أمر خلاصك، أو تريد أن تخلص، فتعال للمسيح الآن. لا تؤخر قرارك لمزيد من الوقت. يمكنك أن تصلي صلاة مثل هذه أو تصلي صلاة بكلماتك الخاصة تكون صادقًا فيها في كل كلمة وتعني كل كلمة تصليها.

يا رب،

أنا خاطئ. أعلم أنني لا أستحق أن أخلص. من فضلك اغفر لي وخلصني. أنا أقبل المسيح كمخلص ورب لي. أؤمن أنه مات لأجلي وقام من القبر. إن حُجتي الوحيدة أن يسوع مات لأجلي. شكرًا لأنك تسمع صلاتي. في اسم يسوع.

اسمك:

تاريخ اتخاذك هذا القرار:

إذا كنت قبلت المسيح، ابدأ في أن تخبر أشخاص آخرين عن يسوع. ابحث عن كنيسة جيدة تقدم تعليم كتابي. اتبع الرب من خلال اعتمادك إلى جسد المؤمنين. أعبد بانتظام مع مؤمنين آخرين، وادرسوا كلمة الله معًا. يمكنك الآن أن تصلي كل يوم وتعبر عن امتنانك، اسأل الله أن يرشدك. كلما قرأت كلمة الله، سيُعلِّمك. لا تقلق من جهة الأشياء التي لا تفهمها، فقط أطع الله في الأشياء التي تفهمها.

الحواشي الفصلية

الفصل الأول

1. Philip P. Bliss, The Worship Hymnal (Nashville: Lifeway, 2008) 338
2. Robert G. Lee, The Top Ten of Robert G. Lee (Grand Rapids: Baker, 1971) 49
3. Ibid 51
4. John R. Kohlenberger III, "Which Bible Translation is Best for Me?" (Moody Monthly, May 1987) 1819-
5. Ron Rhodes, Manuscript Support for the Bible Reliability (Website: Reason from the Scripture)
6. Robert Jeffress, How Can I Know? (Brentwood: Worthy, 2012) 49
7. John P. Newport, The Lion and the Lamb (Nashville: Broadman, 1986) 49
8. William L. Hendricks, A Theology for Children (Nashville: Broadman, 1980) 36

9. J. Sidlow Baxter, The Master Theme of the Bible (Wheaton: Tyndale, 1973) 19
10. William MacDonald, Our God is Wonderful (West Port Colborne: Gospel Folio, 1999) 112113-
11. Mary A. Lathbury, The Worship Hymnal (Nashville: Lifeway, 2008) 407
12. H. I. Hester, The Heart of Hebrew History (Liberty: William Jewell, 1955) 9
13. Stephen Brown, When Being Good Isn't Good Enough (Nashville: Thomas Nelson, 1990) 115
14. Alexander Maclaren, Expositions of Holy Scripture, St. John 18- (Grand Rapids: Baker, 1977) 380381-
15. John Burton, Sr., The Worship Hymnal (Nashville: Lifeway, 2008) 345

الفصل الثاني

1. Steven D. Boyer and Christopher A. Hall, The Mystery of God (Grand Rapids: Baker, 2012) 71
2. Wayne Gruden, Systematic Theology (Grand Rapids: Zondervan, 1994) 188
3. Erich Sauer, In the Arena of Faith (Grand Rapids: Eerdmans, 1956) 97

4. C. S. Lewis, *Miracles* (New York: MacMillan, 1959) 105106-
5. Stephen Charnock, *The Existence and Attributes of God* (Minneapolis: Klock & Klock, 1977) 154
6. Millard J. Erickson, *Christian Theology Vol. 1* (Grand Rapids: Baker, 1983) 274
7. Jack Cottrell, *What the Bible Says About the Creator* (Joplin: College Press, 1983) 268
8. Charnock, 190
9. Clark Pinnock, Ed., *Grace Unlimited* (Minneapolis: Bethany, 1975) 80
10. Robert A. Morey, *Battle of the Gods* (Southbridge: Crown, 1989) 226
11. A. W. Tozer, *The Knowledge of God* (New York: Harper, 1961) 117-118
12. Evert J. Blekkink, *The Fatherhood of God* (Grand Rapids: Eerdmans, 1943) 1718-
13. Walter Chalmers Smith, *The Worship Hymnal* (Nashville: Lifeway, 2008) 56
14. Samuel Trevor, *The Worship Hymnal* (Nashville: Lifeway, 2008) 171
15. Christopher R. Berner, *God Up Close and Personal* (Berwick: New Life, 2013) 113
16. R. C. Sproul, *The Holiness of God* (Wheaton: Tyndale, 1985) 55

17. James Muir, The 25 Wonders of God (Beaverton: Good Book, 2011) 81
18. Charnock, 211
19. Peter J. Kreeft, Everything you Wanted to Know About Heaven (San Francisco: Harper & Row, 1982) 102
20. Thomas Dubay, The Evidential Power of Beauty (San Francisco: Ignatius, 1999) 96
21. Muir, 214
22. Sam Storms, Pleasures Evermore (Colorado Springs: NavPress, 2000) 54
23. Norman Geisler, Systematic Theology, Vol. 2 (Minneapolis: Bethany House, 2003) 245
24. Muir, 221
25. Morey, 193
26. F. B. Meyer, Gospel of John (Fort Washington: Christian Literature Crusade, 1983) 250
27. Robert Grant, The Worship Hymnal (Nashville, Lifeway, 2008O) 24

الفصل الثالث

1. Dwight J. Pentecost, The Glory of God (Portland: Multnomah, 1978) 77

2. William L. Hendricks, A Theology for Children (Nashville: Broadman, 1980) 100
3. Robert G. Lee, The Top Ten of Robert G. Lee (Grand Rapids: Baker, 1971) 112
4. J. Sidlow Baxter, The Master Theme of the Bible (Wheaton: Tyndale, 1973O) 167168-
5. Wayne Gruden, Systematic Theology (Grand Rapids: Zondervan, 1994) 558559-
6. Ibid 561
7. Ibid 563
8. Leonard Sweet and Frank Viola, Jesus Manifesto (Nashville: Nelson, 2010) 40
9. Erich Sauer, In the Arena of Faith (Grand Rapids: Eerdmans, 1977) 25
10. Robert G. Lee, A Greater Than Solomon (Jefferson City: Le Roi, Originally Published 1935) 54
11. Charles Haddon Spurgeon, Metropolitan Tabernacle Vol. 42 (Pasadena: Pilgrim, 1977) 403
12. Samuel Rutherford, Letters of Samuel Rutherford (Edinburgh: Banner of Truth, 1984) 573

13. Will L. Thompson, The Worship Hymnal (Nashville: Lifeway, 2008) 475

الفصل الرابع

1. Jack W. MacGorman, The Gifts of the Spirit (Nashville: Broadman, 1974) 115116-
2. W. A. Pratney, The Nature and Character of God (Minneapolis: Bethany House, 1988) 408
3. Eric S. Fife, The Holy Spirit: Common Sense and the Bible (Grand Rapids: Zondervan, 1978) 61
4. Ibid 84
5. Lewis B. Smedes, Shame and Grace (San Francisco: Harper, Zondervan, 1993) 50
6. George Croly, The Worship Hymnal (Nashville: Lifeway, 2008) 331

الفصل الخامس

1. Nathan R. Wood, The Secret of the Universe (Grand Rapids: Eerdmans, 1965) 177
2. Ibid
3. Ibid

4. C. S. Lewis, *Miracles* (New York: MacMillan, 1959) 126127-
5. Ibid 125
6. Wayne Gruden, *Systematic Theology* (Grand Rapids: Zondervan, 1994) 255
7. J. Sidlow Baxter, *Majesty The God You Should Know* (San Bernadino: Here's Life, 1984) 40
8. George Blekkink, *The Fatherhood of God* (Grand Rapids: Eerdmans, 1943o) 17
9. Millard J. Erickson, *God in Three Persons* (Grand Rapids: Baker, 1995) 221
10. Ibid 234 – 235
11. Ibid 229
12. Steven D. Boyer and Christopher A. Hall, *The Mystery of God* (Grand Rapids: Baker, 2012) 71
13. Ibid 72
14. Ibid
15. William L. Hendricks, *The Doctrine of Man* (Nashville: Convention Press, 1977) 123124-
16. Ibid 59

17. C. S. Lewis, Miracles (New York: MacMillan, 1959) 110111-
18. Ibid 111
19. Norman Geisler, Systematic Theology Vol. 2 (Minneapolis: Bethany House, 2003) 252
20. Ibid
21. Reginald Heber, The Worship :Hymnal (Nashville: Lifeway, 2008) 68
22. Cornelius Plantinga, Jr., The Perfect Family (Christianity Today March 4, 1988) 24
23. Ibid 26
24. Frederick William Faber, The Christian Book of Mystical Verse by A. W. Tozer (Harrisburg: Christian Publications, 1963) 48-

الفصل السادس

1. Giant Sequoias (Three Rivers: Sequoia Natural History Association, 2002) 37
2. James B. Irwin, More Than Earthlings (Nashville: Broadman, 1983) 46
3. John M. Templeton and Robert L. Herrman, The God Who Would Be Known (New York: Harper & Row, 1989) 383
4. Herbert S. Zim, The Universe (New York: William Morrow, 1973) 57

5. Richard A. Swenson, More Than Meets the Eye (Colorado Springs: NavPress, 2000) 17
6. Snowcrystals.com
7. Thomas Dubay, The Evidential Power of Beauty (San Francisco: Ignatius, 1999) 194
8. Gene Edwards, The Beginning (Wheaton: Tyndale, 1992) 8889-
9. Dubay 171
10. Templeton and Herrman, 11
11. Swenson, 17
12. Forty Astounding Facts You Should Know About Your Amazing Human Body – Internet
13. Swenson, 40
14. Ibid
15. Swenson, 36
16. Isaac Watts, The Worship Hymnal (Nashville: Lifeway, 2008) 48

الفصل السابع

1. Steve Brown, Born Free (Grand Rapids: Baker, 1993O) 157
2. William L. Hendricks, The Doctrine of Man (Nashville: Convention Press, 1977) 97

3. Philip Yancey, What's So Amazing About Grace? (Grand Rapids: Zondervan, 1997) 70
4. Tullian Tchividjian, One Way Love (Colorado Springs: David C. Cook, 2013) 33
5. William L. Hendricks, A Theology for Children (Nashville: Broadman, 1980) 195
6. Michael Horton, The Gospel Driven Life (Grand Rapids: Baker, 2012) 79
7. Erwin W. Lutzer, How You Can Be Sure You Will Spend Eternity With God (Chicago: Moody, 2009) 61
8. Erwin W. Lutzer, Cries from the Cross (Chicago: Moody, 2003) 46
9. Tullian Tchividjian, Jesus+Nothing=Everything (Wheaton: Crossway, 2011) 85
10. Ibid 173
11. Brian Hedges, Christ Formed in You (Wapwallopen: Shepherd Press, 2010) 150
12. Ben Patterson, Waiting: Finding Hope When God Seems Silent (Downers Grove: InterVarsity, 1989) 84
13. Bernard Ramm, Them He Glorified (Grand Rapids: Eerdmans, 1963) 90, 135
14. Charles Stanley, Eternal Security (Nashville: Nelson, 1990) 71

15. D. M. Lloyd-Jones, Romans The Law: Its Functions and Limits (Edinburgh: Banner of Truth, 1975) 10
16. Robert Glenn Gromacki, Salvation is Forever (Chicago: Moody, 1973) 79
17. Ibid 85
18. Francis A. Schaeffer, True Spirituality (Wheaton: Tyndale, 1972) 73
19. R. T. Kendall, Once Saved, Always Saved (Waynesboro: Authentic Media, 2005) 25
20. Ibid 26
21. Lidie H. Edmunds, The Worship Hymnal (Nashville: Lifeway, 2008) 454

الفصل الثامن

1. Steve Brown, When Being Good Isn't Good Enough (Nashville: Thomas Nelson, 1990) 122
2. Boyd Hunt, Redeemed: Eschatological Redemption and the Kingdom of God (Nashville: Broadman & Holman, 1993) 172
3. Millard J. Erickson, Christian Theology Vol. 3 (Grand Rapids: Baker, 1985) 1043
4. Frank Stagg, New Testament Theology (Nashville: Broadman Press, 1962) 187

5. Warren W. Wiersbe, Real Worship (Nashville: Oliver Neeson, 1986) 92
6. Hunt, 209
7. F. B. Meyer, Gospel of John (Fort Washington: Christian Literature Crusade, 1983 Edition) 304
8. A. A. Hodge, Evangelical Theology: Lectures on Doctrine (Edinburgh: Banner of Truth, 1976) 183
9. Hunt, 236
10. Samuel J. Stone, The Worship Hymnal (Nashville: Lifeway, 2008) 346

الفصل التاسع

1. Boyd Hunt, Redeemed: Eschatological Redemption and the Kingdom of God (Nashville: Broadman & Holman, 1993, 269
2. Max Lucado, When Christ Comes (Nashville: Thomas Nelson, 2001) 5
3. Harold T. Bryson, Yes, Virginia, There is a Hell (Nashville: Broadman, 1975) 57
4. Hunt 339
5. William L. Hendricks, A Theology of Aging (Nashville: Broadman, 1986) 1920-
6. E. Y. Mullins, The Christian Religion in its Doctrinal Expression (Philadelphia: Judson, 1949) 488

7. Roy Clements, Walking in the Light (Eastbourne: Kingsway, 1989)
110
8. Morris Ashcraft, The Christian Hope (Nashville: Broadman, 1988)
127
9. Bryson, 139143-
10. Ibid 135
11. Randy Alcorn, Deadline (Sisters: Multnomah, 1994) 34
12. Ibid 343
13. Ibid 344345-
14. C. S. Lewis, The Great Divorce (New York: MacMillan, 1992) 1920-
15. William M. T. Shedd, The Doctrine of Endless Punishment
(Minneapolis: Klock & Klock, 1980 Reprint) 159
16. Peter Kreeft and Ronald Tacelli, Handbook of Christian Apologetics
(Downers Grove: InterVarsity, 1994) 303
17. J. Kerby Anderson, Life, Death and Beyond (Grand Rapids:
Zondervan, 1980) 167
18. Lelia N Morris, The Worship Hymnal (Nashville: Lifeway, 2008) 290

الفصل العاشر

1. George Barna, Barna Group Website (Oct. 21, 2003)
2. Murray J. Harris, From Grave to Glory (Grand Rapids: Zondervan,
1990) 200

3. Norman Geisler, Systematic Theology Vol. 4 (Minneapolis: Bethany House, 2005) 271
4. C. S. Lewis, Screwtape Proposes A Toast)London: Fontana, 1974) 90
5. Joni Eareckson Tada, Heaven . . . Your Real Home (Grand Rapids: Zondervan, 1995) 39
6. Steven M. Lawson, Heaven Help Us! (Colorado Springs: NavPress, 1995) 125
7. Thomas N. Finger, Christian Theology: An Eschatological Approach Vol. 1 (Nashville: Nelson, 1985) 166167-
8. Peter J. Kreeft, Heaven The Heart's Deepest Longing (New York: Harper, 1980o) 72
9. Walter A. Maier, He Will Abundantly Pardon (St. Louis: Concordia, 1948) 4
10. Erich Sauer, The Triumph of the Crucified (Exeter: Paternoster, 1977) 183
11. Max Lucado, When God Whispers Your Name (Dallas: Word, 1994) 175
12. Bruce D. Lockerbie, The Cosmic Center (Portland: Multnomah, 1986) 186

13. Randy Alcorn, Deadline (Sisters: Multnomah, 1994) 99
14. Thomas Brooks, The Works of Thomas Brooks Vol. 1 (Edinburgh: Banner of Truth, 1980O) 425
15. John Gilmore, Probing Heaven: Key Questions on the Hereafter (Grand Rapids: Baker, 1989) 255
16. Bernard Ramm, Them He Glorified (Grand Rapids: Eerdmans, 1963) 135
17. William W. Orr, What is Heaven Like? (Wheaton: Scripture Press, 1971) 12
18. William Barclay, The Gospel of John Vol. 2 (Edinburgh: St. Andrew Press, 1964) 181
19. Alcorn, 237
20. Alexander Maclaren, Expositions of Holy Scripture St. Mark Chapters 916- (Grand Rapids: Baker,
21. Reprinted 1974) 267
22. Lawson, 125
23. Charles Haddon Spurgeon, The Metropolitan Tabernacle Vol. 39 (Pasadena: Pilgrim, 1977) 573
24. A. A. Hodge, Evangelical Theology: Lectures on Doctrine (Edinburgh:

- Banner of Truth, 1976) 399400-
25. Gwynn McLendon Day, The Joy Beyond (Grand Rapids: Baker, 1979) 42
26. Rene Pache, The Future Life (Chicago: Moody, 1971) 368369-
27. William L. Hendricks, A Theology for Children (Nashville: Broadman, 1980) 222
28. Alexander Maclaren, Expositions of Holy Scripture Psalms 149- (Grand Rapids: Baker, 1977) 299
29. Ibid 300
30. Robert Farrar Capon, The Parables of the Kingdom (Grand Rapids: Zondervan, 1985) 148
31. Samuel Rutherford, Letters of Samuel Rutherford (Edinburgh: Banner of Truth, 1984) 633
32. Carrie E. Breck, The Worship Hymnal (Nashville: Lifeway, 2008) 612

١. أبواب السماء مفتوحة - بليك ويسترن
٢. الأعظم بلا مُقارنة - بليك ويسترن
٣. لاهوت نتغنى به - بليك ويسترن
٤. عظيم ورائع - بليك ويسترن
٥. فقط أتساءل - بليك ويسترن
٦. قاموس المصطلحات اللاهوتية - د. القس رفيق إبراهيم
٧. البطل - د. فادي كيرلس
٨. الضمير في الثقافات والأديان - القس رفعت طنبوس
٩. ثنائية فارقة - القس رفعت طنبوس
١٠. حياة الطريق - القس رفعت طنبوس